



# قلعة صلاح الدين

وقلاع إسلامية معاصرة



الدكتور عبد الرحمن زكي





قلعة صلاح الدين  
وقلاع اسلامية معاصرة

تصدر هذه السلسلة بمعاونة المجلس الأعلى  
لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية

الألف كتاب

(٢٨٨)

# قلعة صلاح الدين

وقلاع اسلامية معاصرة

تأليف

الدكتور عبد الرحمن زكي

الناشر

مكتبة النهضة المصرية ومطبعتها

١٩٦٠

طبعة النهضة المصرية

القاهرة - النجدة



# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## مقدمة

اصطلح علماء العمارة الإسلامية على تقسيم المنشآت الرائعة التي بناها المسلمون إلى ثلاثة أقسام : العماثر الدينية والعماثر المدنية والعماثر الحربية . وتشتمل الأولى على ما شيدوه من المساجد والأضرحة ، وتضم الثانية ، المدارس والقناطر والوكالات والقصور والدور والأسبلة ، وتنطوي الثالثة على الحصون والقلاع والأبراج والأسوار . . . إلخ . وقد نهض كثير من العلماء بكتابة الأبحاث المستفيضة عن العمارة الدينية والمدنية ، بينما كان نصيب العمارة الحربية متواضعاً إن لم يكن ضئيلاً . . ولا ننكر في الوقت ذاته أن هناك طائفة طيبة من أبحاث علماء الآثار الأجانب ، تناولوا فيها دراسة قلاع الشرق العربي وحصونه ، ولكن ما صدر عنها في اللغة العربية كان قليلاً جداً . .

ولذلك حاولت منذ سنوات زيارة بعض القلاع العربية ودراستها من ناحيتها الأثرية والتاريخية ، ونشرت بعض هذه الأبحاث في شتى المجلات . حتى أتاحت إدارة الثقافة العامة بوزارة التربية والتعليم لي الفرصة ، وكلفتني بتأليف هذا الكتاب « قلعة صلاح الدين وقلاع إسلامية معاصرة » ، فلبيت الدعوة شاكرًا ، وأرجو أن أكون قد وفقت .

إن القلاع كالأثار والمخلفات التاريخية ، ترتبط برباط وثيق بالتاريخ . فكم شاهدت من أحداث الماضي ! وما أكثر ما مر بها من المعارك ووقائع الحصار ! إن مئات القلاع والحصون المتناثرة على قمم الجبال ، والرابضة على سفوح الشواهد في سورية ومصر ، وتلك الرابضة على شواطئ بحارنا وفي قلب صحاريننا وودياننا ، لتحدثنا أو لكانها تروى لنا جميع أحداث تاريخنا المشترك . ومن يطالع صفحات هذا التاريخ في عصوره القديمة أو الوسيطة



(و)

وإلى ما بعدها . . . ليدرك مكانة تلك الحصون لما قامت به من مهام جسام .

\* \* \*

تناولنا في القسم الأول من هذا الكتاب ، الحديث عن قلعة الجبل ، المعروفة باسم منشئها السلطان الملك الناصر صلاح الدين الأيوبي ، مؤسس أسرة الأيوبيين ، تلك الأسرة التي نهض أفرادها بتشييد العمائر الحربية في سورية والأردن ومصر ، ولاغرو في ذلك ، فإن عصر هذه الأسرة ليتسم بالجهاد لتخليص البلاد من اعتداءات الصليبيين الذين غزوا البلاد وأرادوا البقاء فيها ، لكن لم تتحقق أمنيتهم ، وعادوا خائبين من حيث أتوا .

وتناولنا في القسم الثاني من الكتاب ، الحديث عن بعض القلاع المعاصرة التي شيدها الأيوبيون أيضاً والمماليك في أعقابهم . ونذكر بين تلك القلاع قلعة الجندي في قلب سيناء ، وحصون القاهرة وأبوابها ، وأسوار الإسكندرية وقلع السلطان قايتباي المجاهد وغيرها مما شيد على سواحل البحر الأبيض والأحمر . . . الخ .

ولكي لا تكون مادة الكتاب جافة ، رأيت أن أضفي على تلك القلاع طرفاً من ذكرياتها وأحداثها الماضية ، وإنها لكثيرة حقاً ولكني أوجزتها على قدر المستطاع .

وأرى نفسي مدينا حقاً إلى كافة الأعلام العرب وغير العرب ، ممن اعتمدت عليهم ، وفي طليعة هؤلاء ، المقرئ المؤرخ المصري ، وزميله الإمام القلقشندي مؤلف صبح الأعشى ، وعلى مبارك صاحب الخطط المعروفة ، وابن إياس . وكازانوف المستشرق المشهور ، والاستاذ العلامة كريس ويل ، وكتابه عن الأبحاث الأثرية في قلعة الجبل معروف عند رجال الآثار وغيرهم من رجال العلم والتاريخ .

وأرجو أن يكون هذا الكتاب الصغير مقدمة لمزيد من الأبحاث عن العمارة الحربية في بلادنا . والله الموفق دواماً .

عبد الرحمن زكي

مايو ١٩٦٠



# القسم الأول

قلعة صلاح الدين

قلعة الجبل







# قلعة الجبل

## العصر الأيوبي

(١١٧١ - ١٢٥٠ م).

## موضع قلعة الجبل

تنهض قلعة القاهرة على أحد المرتفعات التي تتصل بجبل المقطم<sup>(١)</sup> في موضع كانت تشغله قبة تسمى بقبة الهواء — قال عنها أبو عمرو الكندي في كتاب أمراء مصر :

« اعلم أن أول ما عرف في خبر موضع قلعة الجبل أنه كان فيه قبة تعرف بقبة الهواء بناها حاتم بن هرثمة والى مصر في سنة ( ١٩٥ هـ - ٨١١ م ) ولما بنى أحمد بن طولون القصر والميدان تحت قبة الهواء كان كثيراً ما يقيم فيها فإنها تشرف على قصره ، وعنى بها الأمير أبو الجيش خمارويه بن طولون . ولما زالت دولة بني طولون وخرب القصر والميدان كانت قبة الهواء مما خرب ثم عمل موضع قبة الهواء مقبرة وبنى فيها عدة مساجد<sup>(٢)</sup> . »

وذكر المقرئ أن « هذه القلعة شيدت على قطعة من الجبل تتصل بجبل المقطم وتشرف على القاهرة ومصر والنيل والقرافة فتصير القاهرة في الجهة البحرية منها ، ومدينة مصر والقرافة الكبرى وبركة الجيش في الجهة القبلية الغربية والنيل الأعظم

---

(١) أطلق على جبل المقطم طائفة من الأسماء . فكان الجزء الواقع منه شمالي القاهرة يسمى بالجبل الأحمر . والمرتفع الذي يبرز قليلاً نحو الغرب يسمى بالجبل ، وعليه شيدت القلعة وعرفت باسم قلعة الجبل . وكان هناك شرف يطل على هذا المرتفع الذي قامت فوقه القلعة ويعرف هذا الشرف باسم «الرصد» مذكور الوزير الأفضل مرصداً فوقه . وكان أبوه قد ابني عليه مسجداً عرف باسم جامع أمير الجيوش أو جامع الجيوش .

(٢) المخطط القرينية . ج ٢ ص ٢٠٢ .



في غربها وجبل المقطم من ورائها في الجهة الشرقية وكان موضعها أولاً يعرف بقبة الهواء ثم صار من تحته ميدان أحمد بن طولون ثم صار موضعها مقبرة فيها عدة مساجد . إلى أن أنشأها السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب أول الملوك بديار مصر على يد بهاء الدين قراقوش الأسدي في ( ٥٧٢ هـ — ١١٧٦ م ) وصارت من بعده دار الملك بديار مصر<sup>(١)</sup> إلى أيام الخديوي إسماعيل .

## أسباب بناء القلعة

ولم تكن فكرة بنائها إلا وليدة لتفحص بضعة من أسباب شتى اختمرت في رأس صلاح الدين . فقد ارتأى بثاقب بصره — إثر إزالته قوائم الدولة الفاطمية بمصر — أن هناك عيوناً تحوم حوله وتتحين الفرص للانقضاض عليه . فهنا شيعنة الخلفاء الفاطميين المنبثين في جوانح الوادي ، وهناك الملك العادل نور الدين محمود بن زنكي ، سلطان الشام .

فكان ينبغي أن يهيئ معقلاً يدرأ عنه العواصف التي قد تهب ؛ ويحميه من التوازع التي قد تنفجر . وبخاصة لأن قصور الفاطميين بمصر كان قد قسمها بين أمراءه للإقامة فيها .

وقيل إن السبب الذي حدا به إلى اختيار مكان قلعة الجبل « أنه علق اللحم بالقاهرة فتغير بعد يوم وليلة فعلق لحم حيوان آخر في موضع القلعة فلم يتغير إلا بعد يومين ولياليتين فأمر حينئذ بإنشاء قلعة هناك .

وقد أقام على عمارتها الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدي . فشرع في بنائها . كما بنى سور القاهرة الذي زاده في سنة ( ٥٧٢ هـ — ١١٧٦ م ) وقد اقتضاه ذلك هدم ما هناك من المساجد وإزالة القبور وتدمير الأهرام الصغيرة التي كانت بالجيزة ليستخدم حجارتها في عملية البناء .

وكانت أمنيته أن يجعل السور يحيط بالقاهرة ومصر والقلعة . بيد أنه لم تمتد حياته فتواري قبل أن يتم الغرض من السور والقلعة ، بل دون أن يحظى بسكنائها .

---

(١) الخطط القرينية ج ٢ ص ١٠١ .



وهنا توقف العمل . إلى أن كانت سلطنة الملك الكامل محمد بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب في قلعة الجبل واستنابته في مملكة مصر وجعله ولي عهده ، فآتم بناء القلعة ، وأنشأ بها الدور السلطانية وذلك في عام ( ٦٠٤ هـ — ١٢٠٧ م ) وما برج يقطنها حتى لفظ أنفاسه الأخيرة ، فاستمرت من بعده دارمملكة مصر<sup>(١)</sup> .

### صفة القلعة

وقلعة الجبل بناء على نشز عال يدور بها سور من حجر بأبراج وبدنات حتى تنتهى إلى القصر الأبلق ثم من هناك تتصل بالدور السلطانية على غير أوضاع الأبراج .

ولعل المقرئ يرى يقصد من عبارته الأخيرة أن في القلعة ظاهرة غير عادية في أسوار القلاع . فبدلاً من أن يكون حولها سور تام بأبراجه وبدناته نرى أن سورها تعترضه قصور فتقضى على وحدته .

بدأ صلاح الدين في تشييدها في عام ( ٥٧٢ هـ — ١١٧٦ م ) ولم تم وتمتخذ مقراً للملك إلا في عهد ابن أخيه الملك الكامل ( ٦٠٤ هـ — ١٢٠٧ م ) ، فهو الذى شيد فيها أول ما بنى بها من قصور ، وهو الذى أقام أبراجها الرئيسية ، ونقل إليها مقر الحكم .

وما يذكر أن صلاح الدين ترك كتابة تاريخية على باب المدرج في غربى القلعة مؤرخة سنة ٥٧٩ هـ ، ويشير هذا التاريخ إلى نهاية أعمال صلاح الدين في القلعة ولكن مما هو قين بالتزويه أن هذه الأعمال لم تكن خاتمة عمارتها ، فقد أضيفت إليها أجزاء كثيرة بعد ذلك التاريخ كما سنرى .

ويتبين من تخطيط القلعة أنها تتألف من مربعين من الأرض مستقيين . الشمالى منها يشبه مستطيلاً ذا أبراج بارزة ، ويفصله عن المربع الجنوبى حائط سميك وأبراج ضخمة . ويخرج المربع الجنوبى من الشمال مكوناً معه زاوية قائمة ، وحدود هذا المربع ليست منتظمة ويبدو أنه لم يكن في البداية جدران محصنة .

---

(١) الخطاط المقرئ ج ٢ ص ٢٠٣ .



ثم هناك قصر السلطان وملحقاته وهى الإيوان والإسطبلات ، وكان الإيوان يعال على الجهة الشمالية ويفصله عن الحصن المربع الشمالى ميدان كبير كان يقف فيه الضباط والجنود فى انتظار وبدء الاستقبال ، أما الإسطبلات فكانت فى أسفل القصر إلى الجنوب الغربى .

## تحصين القاهرة

وإذا كان المقصود من بناء القلعة فى بداية الأمر هو تهيئة معقل لصلاح الدين خشية الفتن والاضطرابات التى يشعلها أنصار الفاطميين والسلطان نور الدين ، فقد كان المرتضى من ورائها أصلاً هو تحصين القاهرة فى وجه الغزاة والمعتدين . فمثل صلاح الدين — وهو المحارب الفذ والقائد الممتاز — طالع بعينه اليقظة مدى حاجة القاهرة ومصر وما يقىها ، بل واستحثه لتنفيذ هذه الرغبة الجياشة ما أبصره بمدن الشام الكبيرة ، حيث شيدت لكل مدينة قلعة وسور .

فصمم الجندى الكبير على تشييد قلعة على المقطم تتصل بالسور . تكون بمثابة مركز هام لحشد الجنود وخزن العتاد .

وقد تردد أن القلعة كانت محصنة ضد القاهرة أكثر منها ضد الأعداء من الجهات الأخرى . ولكن الواقع أن هذا القول لم يكن صحيحاً إلا بعد إنشائها بزمان طويل . أما فى البداية فإنها لم تكن حصينة تماماً إلا من النواحي الخارجية . أما من ناحية القاهرة فقد قامت عمائر عديدة جعلت اتصال المدينة بالقلعة ميسوراً للغاية .

وحين نراجع خطة تحصين القاهرة ، التى وضعت فى عهد صلاح الدين<sup>(١)</sup> . يلوح لنا أن قلعة الجبل جزء هام من أسوار المدينة وأبوابها ، ويبدو للناظر طول أسوار القلعة البالغة حوالى ١٧٠٠ متر .

---

(١) الخطط القرينزية — ج ٢ ص ٢٣٣ .



وهي في الأصل على شكل مستطيل غير منتظم . والناحية الشمالية تظهر في بروز واضح ويفصلها عن جبل المقطم خندق عميق . والناحية الغربية تتجه نحو القاهرة وقبالة الزاوية الجنوبية الغربية المرتفع المسى الصورة . وفي الناحية الغربية باب المدرج ويصعد إليه بسلام محفورة في الصخر . وفي الزاوية الجنوبية الشرقية باب القرافة .

وبهذا نكون قد أتينا على شكل القلعة في عهد الإيبيين الأوائل .

ونستطيع في هذا السياق أن نقول — استناداً إلى شتى المصادر التاريخية الوثيقة — إن الجزء الأكبر من القلعة قد تم في سنة (٥٧٩ هـ — ١١٨٣ م) . أما البئر فالمحتمل أنها تمت في عام (٥٨٣ هـ — ١١٨٧ م) وهو العام الذي أسر في غضونه صلاح الدين كثيراً من الفرنجة استغلوا في حفرها وبنائها . ويؤيدنا في ذلك ما رواه أبو المحاسن نقلاً عن ابن عبد الظاهر ( وأعانه على عمله وحفر البئر التي بقلعة الجبل أسارى الفرنج وكانوا ألقا ) .

وكان حول القسم الشرقي من القلعة خندق ولا يزال أثره ظاهراً . فإن الصخر محفور في هذا القسم إلى عمق عظيم بحيث يضاعف ارتفاع الحائط .

وقد فصل صلاح الدين بين جبل المقطم وبين جزئه الواقع عليه القلعة بهوة كبيرة منعت أى عدو يسيطر على جبل المقطم من الإفادة على إشرافه على القلعة .

ولولوج القلعة بابان أحدهما الباب الأعظم المواجه للقاهرة ويقال له الباب المدرج وبداخله يجلس والى القلعة ومن خارجه تدق الحليلية قبل المغرب ، والباب الثانى باب القرافة وبين البابين ساحة فسيحة في جانبها بيوت وبجانبها القبلى سوق للمأكول ويتوصل من هذه الساحة إلى دركاه كان يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . وفي وسط الدركاه باب القلعة ويدخل منه في دهليز فسيح يؤدي إلى الجامع الذى تقام به الجمعة ، ويمشى من دهليز باب القلعة في مداخل أبواب رحبة فسيحة في صدرها الإيوان الكبير المعد لجلوس السلطان في يوم المواكب وإقامة دار العدل .

وبجانب هذه الرحبة ديار جليلة ، ويمر منها إلى باب القصر الأبقى ومن يده باب القصر رحبة دون الأولى يجلس بها خواص الأمراء قبل دخولهم الخدمة

الدائمة بالقصر وكان بجانب هذه الرحبة محاذياً لباب القصر خزائن القصر (١) .

ولكن المؤرخ الفلقشندى صاحب صبح الأعشى ، وقد فرغ من تأليف كتابه في عام ٨١٤ هـ . يختلف مع المقرئى في عدد الأبواب . فقد أبان أنه كان للقلعة ثلاثة أبواب أحدها من جهة القرافة وجبل المقطم وهو أقلها استعمالاً . والثاني باب السر ويختص بالدخول والخروج منه أكابر الأمراء وخواص الدولة كالوزير وكاتب السر ونحوهما ، وهو يقابل الإيوان الكبير الذى يجلس فيه السلطان أيام المواكب ، وهذا الباب لا يفتح إلا لدى وصول من يستحق الدخول أو الخروج منه . فيفتح له ثم يفتق والثالث وهو بابها الأعظم الذى يدخل منه باقى الأمراء وسائر الناس يرقى إليه فى درجات مناسبة حتى يكون مدخله فى أول الجانب الشرقى من القلعة ويتوصل منه إلى ساحة مستطيلة تنتهى منها إلى دركاه يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول ، وفى قبلى هذه الدركاه (دار النيابة) وهى التى يجلس بها النائب الكافل للحكم ، وقاعة الصاحب وهى التى يجلس بها الوزير وكتاب الدولة (ديوان الإلشاء) وهو الذى يجلس فيه كاتب السر . وكذلك ديوان الجيش وسائر الدواوين السلطانية .

ويتصدر هذه الدركاه باب يقال له باب القلعة . يدخل منه إلى دهليز فسيح على يسرة الداخل منها باب يفضى إلى جامع الخطبة (قلاوون) (٢) .

## قصة البئر

هذه البئر من العجائب التى استنبطها بهاء الدين قراقوش ، وزير صلاح الدين وقائد جيشه ، تحدث عنها ابن عبد الظاهر فقال :

« هذه البئر من عجائب الأبنية تدور البقر من أعلاها فتنتقل الماء من نقالة فى وسطها وتدور أبقار فى وسطها تنقل الماء من أسفلها ، ولها طريق إلى الماء ينزل البقر إلى معينها فى مجاز وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء ، وقيل إن أرضها ميامنة أرض بركة النيل وماءها عذب ، قيل إن هذه البئر لما نقرت جاء ماؤها حلوا فأراد

(١) خطط المقرئى ج ٢ ص ٢١٤ — ٢٠٥ .

(٢) باب القلعة الأصل كان موجوداً حتى أيام السلطان بيبرس . أما الباب الحالى فيرجع إلى عهد محمد على باشا .



قراقوش أو نوابه الزيادة في مائها فوسع تفر الجبل فخرجت منه عين مالحة غيرت حلاوتها . وذكر القاضى ناصر الدين شافع بن على فى كتابه عجائب البنيان أنه ينزل إلى هذه البئر بنحو ثلثمائة درجة .

ويقال إن هذه البئر كانت متصلة بالنيل بوساطة سرداب تنفذ منه مياه النيل إلى القلعة، وأنه حدث فى عصر الولاة العثمانيين أن فريقا من الثوار نفذوا إلى داخل القلعة عن طريق هذا السرداب .

### فترة انتقال

وعقب وفاة صلاح الدين فى سنة (٥٨٩هـ — ١١٩٣م) كانت مصر فى تقسيم إمبراطوريته من نصيب ابنه الملك العزيز الذى توفى فى ٥٩٥هـ تاركا ابنا صغيرا جعلت الوصاية عليه لبهاء الدين قراقوش بيد أن الملك الأفضل أخا الملك العزيز قبض على منصب الوصاية ولكن الملك العادل طرده منه وجعل مصر طعمة لابنه الملك الكامل وحكم الكامل مصر من سنة ٥٩٦هـ إلى سنة ٦١٥هـ باسم أبيه الملك العادل ثم من سنة ٦١٥هـ إلى ٦٣٥هـ باسمه الشخصى<sup>(١)</sup> .

---

(١) القرىزى — المخطوط ج ٢ ص ٢٣ .

## القلعة في عهد السلطان الكامل

( ٦٠٤ - ٦٣٥ هـ = ١٢٠٧ - ١٢٣٨ م )

قال ابن عبد الظاهر<sup>(١)</sup> « والمملك الكامل هو الذى اهتم بعمارتها (القلعة) وعمارة أبراجها ، البرج الأحمر وغيره فأكملت في سنة ٦٠٤ هـ ، وتحول إليها من دار الوزارة . »

وقد بنى الكامل في القلعة إيوانا وبابا للقصور السلطانية سماه باب السر وبابا يصل لحصن القلعة أو الجزء الشمالى منها بالجزء الجنوبى وهو المدينة السلطانية ويسمى هذا الباب باب القلعة — وبنى كذلك الإصطبلات السلطانية وبعض الأبراج وأبراج الحمام وخزانة الكتب ولعله شيد كذلك مسجداً ومقراً للوزير يسمى قاعة الصاحب . وفى القرن الخامس عشر ( عصر المقرئى ) لم يكن باقياً من هذه المنشآت إلا الشيء القليل .

ومع أن السلطان الكامل هو الذى نقل لأول مرة مقر الحكم والإدارة إلى القلعة فإن سيادة العنصر العسكرى فى البلاد لم تتم فى عهده وإنما فى عهد الملك الصالح نجم الدين أيوب الذى عظم نفوذ المماليك فى عهده وشيد لهم قلعة الروضة فسموا المماليك البحرية ولكنهم رجعوا إلى قلعة الجبل عند ما استقرت فى أيديهم مقاليد الحكم . ولم تلبث العمان أن قامت على أنقاض المقابر التى كانت تفصل هذه القلعة عن القاهرة حتى اتصلتا .

ومن منشآت السلطان الكامل فى القلعة — الإصطبل السلطانى الذى كان ملحقا بالقصر ، ولم يذكر أحد المؤرخين المسلمين تاريخ إنشائه ونراهم متفقين على ذكره بين منشآت عهد السلطان بيبرس . ونستغرب أن يفوت عليهم ذكره وعلى الأخص إذا لم نفس أن سلاطين آل أيوب كانوا من رجال الجهاد والحروب

---

(١) هو القاضي عبي الدين عبد الله بن عبد الظاهر ولد بالقاهرة وتوفى بها (١٢٢٣ — ١٢٩٢) اشتغل بكتابة التاريخ إلى جانب أعمال ديوان الرسائل للملك الظاهر — كتابه الأشهر الروضة البهية الزاهرة فى خطط المعزية القاهرة لم يصل إلينا وقد اقتبس منه المقرئى فى مواضع كثيرة .



ولا يغيب عن نظائرهم أمر الخيول والعناية بها . ومع أن المقرئ لم يفتحه أن يذكر أن الملك الكامل تحول من دار الوزارة إلى القاعة ونقل سوق الخيل والجمال والحير إلى الرميطة تحت القلعة .

ومن أعمال الكامل أيضاً — الميدان السلطاني تحت القلعة . ومن منشاته قاعة صاحب — أى قاعة الوزير — وكان أول من شغلها صفي الدين بن شكر وزير الكامل .

وقد كان موجوداً في أيام السلطان بيبرس جامع تلقى فيه الخطبة ، ولا يبعد أن يكون الكامل هو المشيد له . وشيد مكان هذا الجامع جامع محمد بن قلاوون المعروف .

## أبراج الحمام

ومشىء أبراج الحمام — الملك الكامل — ولقد ذكر ابن عبد الظاهر في كتابه دمايم الحمايم ، أن أبراج الحمام قد بلغ عتبتها في عام ٦٨٧ — ألفاً وتسعمائة طائر وكان يستخدم الحمام في نقل الرسائل . وما يذكر في هذا السياق أنه كانت هناك مراكز حمام في سائر نواحي المملكة في مصر والشام فيما بين أسوان والفرات .

## خزانة الكتب

وهذا عمل آخر يعزى إلى الملك الكامل — خزانة الكتب — التي دمرها حريق عام ( ٦٩١ هـ — ١٢٩٢ م ) وكانت في الأصل تؤلف مكتبة القاضي الفاضل ثم آلت إلى ابنه الأشرف أحمد لما أمر الكامل بوضع اليد على داره ونقل مكتبته إلى القلعة . وقد كان ذلك في يوم الأحد الموافق لليوم الخامس من جمادى الأولى عام ٦٢٦ هـ . ثم نقلت المجلدات النفيسة في اليوم السادس والعشرين ، وكانت تتألف من ثمانية وستين ألف مجلد . وبعد أيام حملت الخزائن الخشبية في تسعة وأربعين حملاً . وقيل إنه كان من جملة الكتب المستولى عليها كتاب الأيكة والغصون لأبي العلاء المعري في ستين مجلداً ، وقد جمعها القاضي الفاضل من مكتبات الفاطميين .

ومن ثم يتسنى لنا أن نلخص أعمال الملك الكامل في قلعة الجبل كما يأتي :

- ١ — الإيوان .
- ٢ — باب السر المؤدى إلى القصور السلطانية .
- ٣ — باب يصل بين قلعة الجبل ( المدينة العسكرية ) والقلعة ( المدينة السلطانية ) واسمه باب القلعة .
- ٤ — الإسطبلات السلطانية .
- ٥ — الأبراج .
- ٦ — أبراج الحمام .
- ٧ — خزانة الكتب .
- ٨ — قاعة الصاحب ( الوزير )
- ٩ — الجامع .

ونلاحظ أن عهدتنا في تاريخ القاهرة — الممقرىزى — لم يدون آثار الكامل في الخطط نخلت منها ، ولم يرجع إلى مصنفات السابقين من المؤرخين وينقلها عنهم ، فالممقرىزى كما نعلم أجاد وصف القاهرة التى عاش فيها وسرى فى الفصول التالية كيف انتفعنا بالخطط الممقرىزية .

### القاعة الصالحية

عقب وفاة الملك الكامل ( ١٢٣٨ م ) إلى انتهاء حكم الأيوبيين فى مصر ( ١٢٥٠ م ) لم يشيد أحد من سلاطين هذه الأسرة فى القلعة ما يستأهل التنويه ، ونكتفى بذكر القاعة الصالحية التى أمر بإنشائها الملك الصالح نجم الدين أيوب ( ١٢٤٠ — ١٢٤٩ م ) وظلت سكن الملوك إلى أن احترقت فى ٦ ذى الحجة عام ( ٦٨٤ هـ ) .

وإذا نحن اعتبرنا الملك عز الدين أيبك — من أسرة الأيوبيين لأنه كان الزوج الثانى للملكة شجرة الدر وجدناه بعد أن استقر بالقلعة قد أهمل



ليوان الكامل واتخذ المدرسة الصالحية مقراً للحكم والنظر في الشكاوى<sup>(١)</sup> ، وقد  
تنسب إليه قاعة الأعمدة .

## موجز أعمال العصر الأيوبي في القلعة

يعتبر كتاب الأستاذ كريزويل « التاريخ المعمارى للقلعة » الذى نشره معهد  
الآثار الفرنسية بالقاهرة أظهر المراجع المعمارية وأوثقها فى تاريخ عمارة القلعة ونقل  
عنه ملخصاً موجزاً لأسوار القلعة وأبراجها وأبوابها :

( أولاً ) يعزى إلى صلاح الدين الأيوبي بناء حائط السور بأبراجه النصف  
الدائرية ، ويبدأ هذا السور من الجانب الشرقى لبرج المقطم ويمتد نحو الجنوب  
والشرق والشمال حتى ينعطف ويقف لدى المكان الذى يشغله الآن المتحف الحربى  
وينسب إليه أيضاً البابان الخلفيان والجزء الداخلى من باب القرافة وباب المدرج  
وكذلك حائط السور الذى يمتد جنوبيه بما فى ذلك الجزء الخلفى من البرج النصف  
الدائرى الكائن بين الباب الأخير والباب المتوسط .

وبعبارة أخرى فإن صلاح الدين بنى هذا السور كاملاً وقوياً على قدر ما سمحت  
له الظروف المحيطة به . إذ أنه استدعى لفلسطين فى الحادى عشر من شهر مايو  
سنة ١١٨٢ فى ظروف عصية خلال الحروب الصليبية . فترك القاهرة وسورها  
وغاض غمار حروب طاحنة واشترك فى وقائع متوالية خرج منها منصوراً ، إذ هزم  
الصليبيين وانتزع منهم بيت المقدس فى شعبان سنة ٨٥٣ هـ — أكتوبر ١١٨٧ م .

ولما خلفه أخوه الملك العادل كانت الأمور قد استقرت قليلاً ووقفت الحروب  
موقتاً فانتهز العادل هذه الفرصة واستطاع بما لديه من الثروة ، وماله من النفوذ وبما  
تحت تصرفه من موارد الممتلكات الأيوبية أن يعيد تحصين المواقع الحربية  
الهامة فى دولته الوسيعة .

وما تزال قلاع حلب ودمشق وبصرى والقاهرة وأطلال حصون جبل طابور  
شاهدة على جهوده الكبيرة ونشاطه فى هذا السبيل .

---

(١) راجع كتاب النجوم والسلوك لابن تفرى بردى .

(ثانياً) وينسب إلى الملك العادل الأبراج الثلاثة الكبيرة السكّانة بالجانب القبلي وهي برج صفطة وبرج قرقيلان وبرج العلوة — والزيادة التي أضيفت لباب القرافة والجزء الخارجى ببرج الرملة وبرج الحداد والجزء الداخلى ببرج الصحراء والبرج الكبير الذى لم يتبق منه سوى قاعدته . والبرجان الكبيران المربعان فى الركن الشمالى الغربى من السور . وقد تمت أعمال العادل سنة ( ٦٠٤ هـ — ١٢٠٦/١٢٠٧ م ) .

وقد ذكر عماد الدين كاتب السر الذى كان موضع ثقة صلاح الدين والذى كانت جميع الوثائق فى متناول يده أن د محيط القلعة كان ٣٢١٠ أذرة هاشمية<sup>(١)</sup> .

---

(١) الذراع الهاشمى يساوى ٦٦ سم ستمترا .



## القلعة في عهد السلاطين البحريين

(١٢٥٠ - ١٣٨٢ م)

### الظاهر بيبرس

نصل إلى تاريخ القلعة في ظل السلاطين المعروفين بالمماليك البحرية ، فلا نجد للثلاثة السلاطين الأول منهم أعمالاً تستحق الذكر ، لأنهم لم يكونوا من طراز رابعهم ، الملك الظاهر ركن الدين بيبرس ، إلا إذا استثنينا قطز الجندى المجاهد ، هازم المغول في معركة عين جالوت والذي قتله غيلة بيبرس ليظهر بذلك مصر .

ولا ندرى كيف اتسع وقت بيبرس ليحكم ملكه الواسع ، ويدير شئون دولته ويقود الجيوش الظافرة ضد المغول والصليبيين والروم في أرجاء آسيا الصغرى والشام وأعالى الفرات والنوبة .

وإن دل هذا على شيء فعلى أنه أحد أفراد ذلك الطراز النادر من سلاطين مصر بل ملوك العالم أجمع .

فلنصنع إلى أقوال أبي المحاسن في مؤلفه « النجوم الزاهرة » ، ملخصاً أعمال بيبرس في القلعة <sup>(١)</sup> .

د عمر بقلعة الجبل دار الذهب وبرجة الجبارج <sup>(٢)</sup> قبة عظيمة محمولة على اثني عشر عموداً من الرخام الملون وصور فيها سائر حاشيته وأمرائه على هيئتهم ، وعمر بالقلعة أيضاً طبةتين مطاطين على رجة الجامع <sup>(٣)</sup> وأنشأ برج الزاوية <sup>(٤)</sup> المجاورة

(١) أبو المحاسن ( النجوم الزاهرة ) ج ٧ ص ١٩٠ .

(٢) الجبارج — الجبرج بالضم من طير الماء جمه جبارج وجباريج .

(٣) الجامع الذي كان موجوداً بالقلعة في ذاك العهد وقد هدمه الملك الناصر محمد بن قلاوون وأدخله في جامعته الذي أنشأ عام ٧١٨ هـ — وهذا الجامع لا يزال موجوداً .

(٤) هذا البرج لا يزال موجوداً في الزاوية البحرية الغربية من السور القديم البحري للقلعة ولما جدد محمد علي باشا سورها الحالى أصبح البرج في داخله ويطؤه الآن الجناح الغربي للمتحف الحربى .

لباب القلعة<sup>(١)</sup> وأخرج منه رواشن ، وبني عليه قبة وزخرف سقفها ، وأنشأ جواره طباقاً لهما ليكة أيضاً . وأنشأ تجاه برجيه باب القلعة داراً كبيرة لولده الملك السعيد . وكان في موضعها حفير فعقد عليه ستة عشر عقداً . لأنه كان يكره سكنى الأمير بالقاهرة مخافة من حواشيه على الرعية .

ومثل هذه المنشآت ، سنأتى على وصف كل منها على حدة كما تحدث عنها ابن عبد الظاهر الذى نقل عنه — فيما بعد — المقرئى بكثير من الحذر والعناية والدقة ، وكما أعاد النظر فيها المؤرخ محمد رمزى رحمه الله .

فما هى دار الذهب هذه ؟ وهل لها علاقة بالقلعة الظاهرية والدار الجديدة اللتين ورد ذكرهما فى كتاب ابن عبد الظاهر سكرتير بيبرس ،

يقول هذا المؤرخ إنه فى عام ٦٦٤ هـ نجزت عمارة القلعة الظاهرية المجاورة لباب سر قلعة الجبل المحروسة ، المتولى عمارتها الأمير عز الدين أيبك الفخرى ، وهى قاعة عظيمة قد افتن فى عمارتها وزخرفتها ، حتى كادت تبلغ الغاية أو النهاية ولما نجزت جلس بها السلطان ومد سماطاً ، وخلع على عز الدين الفخرى مشيدها ، وللصاحب محي الدين ( ابن عبد الظاهر ) قصيدة فى هذه المناسبة<sup>(٢)</sup> .

وذكر المقرئى عن الدار الجديدة أن الملك الظاهر بيبرس عمرها فى عام ( ٦٦٤ هـ — ١٢٦٦ م ) عند باب سر القلعة وعمل بها فى جمادى الأولى منها دعوة للأمراء عند فراغها<sup>(٣)</sup> .

ويرى كازانوف أن دار الذهب والقاعة الظاهرية والدار الجديدة أسماء على مسمى واحد ونحن من ناحيتنا نتفق معه على هذه النتيجة . فضلاً عن أنه لم يرد بالتفصيل شيء عن كل واحدة منها فى كتب المؤرخين المعاصرين . وهناك برج أمر بتشيدده الظاهر فى الزاوية المجاورة لباب القلعة .

---

(١) المقصود هنا باب المدرج الذى لا يزال موجوداً ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذى كان يوصل بينه وبين حوش القلعة من جراء وجود الباب الجديد الذى أنشأه محمد على فى سنة ١٢٤٢ بهوار الباب المدرج .

(٢) Bibl, Nat, Paris. Ms. 802

(٣) المخطوط المقرئى — ص ٣٤٥ .



وهذه القلعة التي عرف بها الباب الذي تسمى بها . كانت موجودة وشيدها الظاهر ثم هدمها الملك المنصور قلاوون ثم جدد باب القلعة على ما كان عليه في أيام المقرئ .

ونقلت بعد ذلك إلى دار العدل القديمة التي بناها بيبرس ومكانها اليوم إلى يمين الداخل إلى القلعة ويشغلها ميدان سارية العلم .

وقد بنيت هذه الدار ( دار العدل ) في سنة ٦٦١ هـ ، وصار السلطان يجلس بها لعرض العساكر في يومى الاثنين والخميس من كل أسبوع . وقد بدأ بالحضور في سنة ( ٦٦٢ هـ — ١٢٦٤ م ) فوقف إليه ناصر الدين محمد بن أبى نصر وشكا أنه أخذ له بستان في أيام المعز أيبك وهو بأيدي المقطعين وأخرج كتابا مثبتا وأخرج من ديوان الجيش ما يشهد بأن البستان ليس من حقوق الديوان . فأمر برده عليه فتسلمه . وأحضرت مرافقته في ورقة مختومة رفعها خادم أسود في مولاه القاضي شمس الدين شيخ الحنابلة تضمنت أنه يبغض السلطان ويتمنى زوال دولته لأنه لم يجعل للحنابلة مدرسا في المدرسة التي أنشأها بخط بين القصرين ولم يول قاضيا حنبليا وذكر عنه أمورا فادحة ، فبعث السلطان الورقة إلى الشيخ فحضر إليه وحلف أنه ما جرى منه شيء وأن هذا الخادم طرده فاختلف على ما قال ، فقبل السلطان عذره وقال : ولو شتمتني أنت في حل . وأمر بضرب الخادم مائة عصا .

وغلت الأسعار بمصر حتى بلغ إردب القمح نحو مائة درهم وعدم الخبز ، فنادى السلطان في الفقراء أن يجتمعوا تحت القلعة ونزل في يوم الخميس سابع ربيع الآخر منها ، وجلس بدار العدل هذه ونظر في أمر السعر وأبطل التسعير وكتب مرسوما إلى الأمراء ببيع خمسمائة إردب في كل يوم ما بين مائتين إلى ما دونهما . وأن يكون البيع للضعفاء والأرامل فقط دون من عداهم ، وأمر الحجاب فنزلوا تحت القلعة وكتبوا أسماء الفقراء الذين تجمعوا بالرميلة ، وبعث إلى كل جهة من جهات القاهرة ومصر وضواحيها حاجبا لكتابة أسماء الفقراء ، وقال والله لو كان عندي غلة تكفي هؤلاء لفرقتها ، ولما انتهى إحضار الفقراء أخذ منهم لنفسه ألوا وجعل

باسم ابنه الملك السعيد الوفا، وأمر ديوان الجيش فوزع باقيهم على كل أمير من الفقراء  
بعده رجاله .

وما برحت دار العدالة باقية إلى أن استحدث السلطان الملك المنصور قلاوون  
الإيوان فهجرت . وظلت مهجورة إلى أن هدمها قلاوون في عام ٧٢٢ هـ (١٣٢٢ م)  
وأقام على بقاياها الطبلخانة<sup>(١)</sup> .

وقد لعبت القلعة على عهد بيبرس دورا مشهودا . وبعبارة أوضح كانت مسرحا  
لأحداث كبرى في التاريخ المصري . يأتي في طليعتها التجاء الأمير أبي القاسم أحمد  
إلى مصر بعد أن استحوذ التتار على بغداد ، فلما سمع بسلطنة الملك الظاهر  
بيبرس وفد عليه مع جماعة من بني مهارش ، فوصلوا إلى القاهرة في الثامن  
من رجب عام ٦٥٩ هـ . وهنا ركب السلطان بيبرس للقائه وبصحبته الوزير بهاء  
الدين بن حنا ، وقاضى القضاة تاج الدين بن بنت الأعز ، والشهود والرؤساء والقراء  
والمؤذنون . فضلا عن اليهود بالتوراة . والنصارى بالإنجيل . في يوم الخميس  
فدخل من باب النصر وشق القاهرة ، وكان لدخوله يوم مشهود .

وحين حل يوم الاثنين الثالث عشر من رجب ، جلس السلطان الملك الظاهر  
والخليفة بالإيوان وأعيان الدولة بأجمعهم ، وقرئ نسب الخليفة ، وبويع بالخلافة ،  
بعد أن انقضت ثلاث سنوات ونصف السنة والناس بلا خليفة .

وفي يوم الجمعة السابع عشر من رجب ، خرج الخليفة المستنصر بالله عليه  
ثياب سود إلى الجامع بالقلعة ، وخطب خطبة بليغة ذكر فيها شرف بني العباس  
ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم

وفي مستهل شعبان من العام المذكور . تقدم الخليفة بتفصيل خاتمة سوداء ،  
وبعمل طوق ذهب وقيد ذهب ، وبكتابة تقليد بالسلطنة للملك الظاهر بيبرس .  
ونصب خيمة ظاهر القلعة . فلما كان يوم الاثنين رابعه ركب الخليفة والسلطان

---

(١) المخطوط المفرزية — ج ٣ ص ٣٣٥ .



والوزير والقضاة والأمراء ووجوه الدولة إلى الخيمة ظاهر القاهرة بقية النصر (١)  
فألبس الخليفة السلطان الملك الظاهر بيبرس خلعة الساطنة بيده وطوقه وقيدته .  
وصعد نحر الدين إبراهيم بن لقمان رئيس الكتاب منبرا نصب له ، فقرأ التقليد  
وهو من إنشائه وخطه . ثم ركب السلطان بالخلعة والطوق والقيد ودخل من باب  
النصر وقد زينت القاهرة له ، وحمل صاحب بهاء الدين التقليد على رأسه راكبا  
والأمراء يمشون بين يديه ، فكان يوما يقصر اللسان عن وصفه .

وقد أعد بيبرس للخليفة جيشا ليستعيد به بغداد من قبضة التتار . بيد أن الحملة  
قد بادت بالفشل . وحدث أن تولى الخلافة من بعده أحد أقاربه باسم الحاكم بأمر الله ،  
وخرج السلطان لاستقباله ( ٢٧ ربيع الأول عام ٦٦٠ هـ ) وهيا له البرج الكبير  
( المجاور لباب القراقة ) بداخل القلعة لإقامته وسكنه . ثم تحول الخلفاء فيما بعد  
إلى قلعة الكباش حتى عام ٩٢١ هـ لما تنازل آخر الخلفاء عن سلطتهم الروحية إلى  
السلطان سليم الأول العثماني .

## باب الدرفيل

وقبل ختام الحديث عن القلعة ، في عهد بيبرس ، نذكر شيئا عن باب سارية  
أو المدرج الذي أصبح على أيامه يتسمى باسم باب الدرفيل . وهو اسم لأحد قادة  
جيش بيبرس ، وهو الأمير حسام الدين لاشين الأيدمرى وكان يشغل منصب  
الدوادر وقد وافته المنية في عام ٦٧٢ هـ ( ١٢٧٣ / ٧٤ م ) .

وهناك رأى آخر يقول إن باب الدرفيل هو باب آخر لا يتصل بباب سارية  
أو المدرج ...

وفي الفترة القصيرة التي تربع فيها على العرش — السلطان بركة خان بيبرس —  
يصادفنا ذكر برج الرفرف وإن كان المقریزی يعزو بناءه إلى الملك الأشرف  
خليل بن قلاوون .

---

(١) كانت هذه القبة زاوية يسكنها فقراء المعجم وهي خارج القاهرة بالصحرَاء تحت الجبل  
الأحمر تجاه قبة الأمير يونس الدوادر الظاهري بآخر ميدان التيق من بحريه ، جددوها الملك  
محمد الناصر بن قلاوون و قد اندثرت هذه القبة .

## السلطان قلاوون

(٦٧٩ - ١٢٧٩ م)

كان أول مبنى شيده قلاوون في القلعة ، القبة . قامها في سنة ٦٨٥ هـ (١٢٨٦ م) ونرى أن تنقل عن ابن عبد الظاهر ما جاء بذكرها في مخطوطه .

« كان في غيبة ( السلطان قلاوون )<sup>(١)</sup> رسم ببناء قبة في الرحبة الحمراء بالقلعة المحروسة بمباشرة الأمير علم الدين المنصوري فجاءت من عجائب الأبنية التي ما عمر مثلها ملك في مملكة من الممالك . ومن عارض في هذا القول فليقل فلان في المكان الفلاني . فندم له ذلك . والذي بهذه القبة خاصة من العمد الكبار والصغار الملونة والمذهبة أربعة وتسعون عموداً خارجاً من الرواقات ، والذي ألصق بها من الذهب ألفان وثلاثمائة دست ذهباً مصرياً . وأما من الرخام فما لا تحصى قيمته ولا تحصى ، وفي جدران رواقاتها صفة قلاع مولانا السلطان قلعة قلعة وحصناً حصناً يبحارها وأنهارها وسهولها وجبالها ، وكتب على لوح رخام منها أن الشروع فيها كان في مستهل شعبان من هذه السنة .

وبما لظمه الشاعر فيها :

شيدت للملك كل قصر      يربى اعتلاء على البرابي  
فصرح بلقيس في انقضاض      وصرح هامان في انقضاض  
وقصر غمدان في انقلاء      وشعب بوان في انقلاب  
يا حسنها قبة تعالت      حتى تناهب إلى السحاب

ولما وصل مولانا السلطان جلس بهذه القبة فاستحل كالماء . وحضر صاحب حماة وعنه والأمراء جميعهم بها .



وقد أورد المقرئ في الخط أن قبة قلاوون هذه هيئت على أنقاض قبة  
بيبرس — وقد هدمت الأولى في يوم الأحد ١٠ رجب عام ٦٨٥ ، وانتهى العمل  
في الثانية في شوال من العام المذكور . ولنا ندرى أين كان موضع هذه  
القبة بالضبط .

وإلى قلاوون يعزى بناء دار النيابة ، في عام ٦٨٧ — ١٢٨٨ م وقد تطنها  
الأمير حسام طرنتطاي ومن بعده من نواب السلطنة . وما يذكر أن النواب كانوا  
يجلسون بشبا كها .

وقد أنشأ قلاوون أشتاتاً من الابنية لكن عماليكه بالقلعة ، كما هيأ برجا على  
مقربة من باب السر .

وقبل أن نخلف منشآت قلاوون ينبغي أن نشير إلى الحريق الهائل الذي شب  
في عام ٦٨٤ هـ ( ١٢٨٥ م ) ودمر قاعة الصالحية .

وفي أيام خلفه ابنه الخليل ( ٦٨٩ هـ — ١٢٩٠ م ) اندلعت حريق أخرى أتت  
على وصفها ابن عبد الظاهر سكرتير بيبرس وقلاوون و خليل فيما يلي :

« في ليلة الجمعة سابع عشر صفر وقعت نار بالآثار الشريفة السلطانية قرب  
الحزائن المعمورة وخزانة الكتب وغير ذلك فقوى فعلموا واستطار لهاها وارتفع  
وقدما . وعلت حتى كادت تذهب بالابصار وحضر مولانا السلطان لذلك معاجلا ،  
وفتحت الابواب ، وحضر المماليك السلطانية من الأمراء كلهم وغيرهم واقتحموا  
تلك النيران بنفوسهم ونقلت المياه من دخير الصهاريج وفتحت الابواب حتى  
صارت النار برداً وسلاماً . ودفع الله من المخاوف العظيمة ما هنالك .

وبرج الرفرف من تعمير الملك الخليل . يقول المقرئ عنه إنه قد جمعه  
عالياً يشرف على الجيزة كلها وبيضه وصور فيه أمراء الدولة وخواصها ، وعقد  
عليه قبة على عمد وزخرفها ، وكان مجلساً يجلس فيه السلطان حتى هدمه الملك الناصر  
محمد بن قلاوون في سنة ( ٧١٢ هـ — ١٣١٢ م ) .

## الناصر محمد بن قلاوون

السلطنة الأولى ( ٦٩٣ هـ — ١٢٩٣ م )

السلطنة الثانية ( ٦٩٨ هـ — ١٢٩٨ م )

السلطنة الثالثة ( ٧٠٩ هـ — ١٣٠٩ م )

هو في الحق — بناء دولة المماليك البحرية كما تشهد أعماله التي تنطق كلها بقوة شخصيته في قيادة الجيوش ، وإدارة الحكومة ، وتنظيم الملك ، خلع عن العرش مرتين ثم عاد إليه مرة ثالثة فحكم من عام ٧٠٩ إلى عام ٧٤١ وجلس أبناؤه العديدون على عرش مصر ، كل في دوره ، وكان قوامهم تسعة ، تابعوا على حكم وادى النيل من عام ٧٤١ هـ إلى عام ٧٦٢ هـ (١) .

ويعتبر الناصر مكملاً لأعمال صلاح الدين ويبرس وقلاوون . أدخل الرعب والفرع إلى جيوش الصليبيين والمغول . وبالرغم من انشغاله طوال حياته بالفتوح المستمرة كان معمرأ من الطراز الأول . خلد اسمه بما شيده من القناطر ، وحفره من القنوات ، وابتناه من القصور والمساجد . ولم ينافسه من ملوك المماليك منافس ،

نجاهه قد عمر خارج سور القاهرة القاطمى خمسة أحياء مستحدثة ، فازدهرت عاصمة ملكه ، وامتدت مساحتها (٢)

وفي عصره انتعش الفن الإسلامى ، وازدهرت العمائر ، وانتشر في مصر صنع الطرائف . بل ويلاحظ هواة الفنون الإسلامية أن غالبية معروضات المتاحف الفنية في أوروبا وأميركا والشرق من مخلفات عصر الناصر محمد وأمرائه دولته وكبار رجالاته .

(١) الخطط — ج ٣ ص ٣٤٥ — ٣٤٩ ( طبعة النيل ) .

(٢) S. L. Poole. Art of the Saracens in Egypt. P. 189-192



ولا مزية في أن العصر الذهبي الثاني للقلعة هو عصر السلطان الناصر . أما أول تلك العصور فهو أيام بيبرس الكبير ، هازم الصليبيين والتتار .

أجل هذا هو ثانيهما . وأما ثالثهما فهو عهد محمد علي .

ومنشآت الناصر محمد في القلعة ، تناولها المؤرخ المستشرق كازانوفا في « تاريخ القلعة » ، بالتقسيم إلى ثلاثة أقسام .

أولها — المنشآت التي ما زالت باقية إلى اليوم .

ثانيهما — المنشآت التي كانت باقية إلى أيام الحملة الفرنسية ووصفت في ذياك العهد .

ثالثها — المنشآت التي أتى وصفها في كتب المؤرخين شهاب الدين والقلقشندي والمقريزي .

ومنشآت القسم الأول هي :

( ١ ) الجامع :

بدأ العمل فيه عام ٧١٨ هـ ( ١٣١٨ م ) في موضع كان يشغله جامع آخر فهدمه السلطان كما هدم المطبخ والحوائجخانه والقراشخانه ثم تراءى له توسيعه في عام ٧٣٥ هـ ( ١٣٣٥ م ) ولما انتهى العمل جلس فيه السلطان واستدعى جميع مؤذني القاهرة ومصر وجل القراء والخطباء ، وعرضوا بين يديه ، وأنصت إلى آذانهم وخطاباتهم وقراءاتهم . فرتب عشرين منهم . وجعل عليه نفقات مكفيه وتقيض .

وهذا الجامع متسع الأرجاء ، مرتفع البناء ، كانت أرضيته مفروشة بالرخام وسقفه مبطن بالذهب . وبصدره قبة عالية يليها مقصورة مستورة هي والرواقات بشبابيك الحديد المحكمة الصنعة ويحف صحنه رواقات من جهاته (١) . وكانت بالصحن ميضأة .

---

(١) الخطط المقرية ج ٣ ص ٣٤٤ — ٣٤٥ طبعة النيل .

وأما وقد عني به زخارفه إذ كان بمثابة مسجد القصر الخاص ، وله بابان أحدهما بالواجهة البحرية المواجهة لباب القلعة وعلى يساره منارة ، والآخر بالواجهة الغربية وعلى يمينه منارة أخرى .

وأكبر أروقة الجامع ( إيوآناته ) الرواق الشرقي إذ يتكون من أربعة أروقة تتوسطها قبة كبيرة حلت على عشرة أعمدة ضخمة من الجرانيت وهذه القبة طراز خشبي به آيات قرآنية تعلوه مقرنص خشبي تعلوه قاعدة أخرى بها شيا بيك جصية وقد هدمت هذه القبة ثم جددتها السلطان قايتباي سنة ٨٩٣ هـ ( ١٤٨٧ م ) كما عمل للجامع مقبراً رخامياً ثم هدمت هذه القبة أيضاً ووجدتها أخيراً إدارة حفظ الآثار العربية (١)

وهذا الجامع وإن كانت تسوده البساطة من الخارج فلا مقبر نصات ولا زخارف ولا كتابات إلا أنه من الداخل كان غنياً بشئ الصناعات كما تدل على ذلك إقاماته ، فقد كسيت الجدران إلى ارتفاع نحو خمسة أمتار بوزره رخامية دقيقة طعمت بالصدف . وكان محرابه مكسواً بالرخام المحفور به زخارف دقيقة .

ولمنا الجامع منارتان حجريتان : الأولى على يسار الباب البحري ، والثانية على يمين الباب الغربي .

وقد قرأنا في لوحة رخامية مستطيلة كانت فوق باب الجامع البحري البسطين الآتين :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك  
سيدنا والسعيدة سيدتنا ومولانا السلطان الملك ...

كما قرأ على لوحة الباب الغربي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أمر بإنشاء هذا الجامع المبارك السعيد لوجه الله تعالى سيدنا ومولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد قلاوون الصالحى فى شهر سنة ثمانى عشرة وسبعائة من الهجرة النبوية .

كما قرأ طائفة من الآيات القرآنية على الطراز الداخلي تحت القبة . . وعلى المئذنة كتابة تحتوى على آية الكرسي .

### (ب) البرج (١) :

على أحد أبراج القلعة ، وعلى ارتفاع كبير من الجدار ، تقرأ كتابة واضحة نصها كما يلي :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ أَمْرُ بِنَايَةِ هَذَا الْبَرْجِ الْمُبَارَكِ السَّعِيدِ مَوْلَانَا وَسَيِّدِنَا الْمَلِكِ الْمَلِكِ النَّاصِرِ الْغَازِي فِي سَبِيلِ اللَّهِ الْحَاجِّ إِلَى بَيْتِ اللَّهِ وَفِيهِ رَسُولُ اللَّهِ نَاصِرِ الدُّنْيَا وَالدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ مَوْلَانَا السُّلْطَانِ الشَّهِيدِ الْمَلِكِ الْمَنْصُورِ . بِدَوِّهِ فِي جُمَادَى الْأُولَى .

### والفراغ . . . ثلاث (٢)

ويرجح التأريخ كذا لوفاً أن يكون بناء هذا البرج قد سُمِّحَ حوالي ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) وتخصصاً إذا كان هذا البرج هو الذي عندهم لما قال إن محمد بن قلاوون هدم الأرفف الذق شيدته أخوه خليل عام ٧١٢ هـ (١٣١٢ م) لكي يجلد بناءه ، ويحقل بجواره برجا على مقربة من الإسطبل نقل إليه المالِك . وهذا الترجيح يكون أقرب إلى الصواب إذا علمنا أن أول شهر جمادى الأولى في النص المذكور يوافق أول أيام عام ٧١٣ . وإذا أضفنا إلى هذا أنه فيما بين عامي ٧١٢ و ٧١٥ هـ تم لابن قلاوون تشييد أكثر عمارات القلعة أو تجديدها كالرفرف والإيوان والميدان ومجاري المياه . وفي ذلك يقول المقرئ في كتاب السلوك لدى الحديث عن أعمال السلطان في هذا التاريخ ،

وَأَكْثَرُ مِنَ الْعِمَارِ وَوُلِيَ أَقْسَمَتَهُ أَمِيرُ أَسْجُورٍ وَشَادَ الْعِمَارَ وَأَخْضَرَ الْعَبَائِلَ مِنْ سَائِرِ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ وَأَفْرَدَ لِلْعِمَارِ دِيواناً يَبْلُغُ مَصْرُوفُهُ فِي كُلِّ يَوْمٍ اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ دِرْهَمٍ إِلَى ثَمَانِيَةِ آلَافٍ ،

### (ج) الكتابة المنقوشة على باب السارية

(١) راجع خارطة القاهرة المرسومة عام ١٧٩٨ (الحملة الفرنسية) بالقرب من الرقم ٨٤

(٢) Corpus Inscript Arab. Ier fasc. P. 88

يلاحظ أن فان برشم قرأ كلمة ناصر . حصن .



## القسم الثاني من عمائر ابن قلاوون

### (١) الإيوان

لا ريب أن الإيوان كان أظهر عمائر محمد بن قلاوون في القلعة ، وقد شيد محمد علي باشا على أنقاضه جامعاً الكبير <sup>(١)</sup> وعرف بإيوان يوسف مدة طويلة ، ولذلك نسبته البعض إلى صلاح الدين خطأ ، وخير وصف لهذا الإيوان ورد في الخطط كما يلي <sup>(٢)</sup> .

لإيوان المعروف بدار العدل . أنشأه السلطان الملك المنصور قلاوون الآفني الصالح النجمي ثم بدده ابنه السلطان الملك الأشرف خليل واستمر جلوس نائب دار العدل به فلما عمل الملك الناصر محمد بن قلاوون الروك أمر بهدم هذا الإيوان فهدم وأعاد بناءه على ما هو عليه الآن ، وزاد فيه وأنشأ به قبة جليلة وأقام به عمداً عظيمة لقلها إليه من بلاد الصعيد ورخمه ونصب في صدره سرير الملك وعمله من العاج والأبنوس ورفع سمك هذا الإيوان وعمل أمامه رحبة فسيحة مستطيلة ، وجعل بالإيوان باب سر من داخل القصر وعمل باب الإيوان مسبوكة من حديد بصناعة بدیعة تمنع الداخل إليه وله باب يغلق فإذا أراد أن يجلس فتحه حتى ينظر منه ومن تخاريم الحديد بقية العسكر الواقفين بساحة الإيوان ، وقرر للجلوس فيه بنفسه يوم الاثنين ويوم الخميس ، فاستمر الأمر على ذلك وكان أولاً دون ما هو اليوم . فوسع في قبة وزاد في ارتفاعه ، وجعل قدامه دركاً كبيراً ، فجاء من أعظم المباني الملوكية . وأول ما جلس فيه عند انتهاء عمل الروك بعد مارسم لتقيب الجيش أن يستدعى سائر الأجناد ، فلما تكامل حضورهم جلس وعين أن يحضر في كل يوم مقدما ألوف بمضافيها مكان المقدم يقف بمضافيه ويستدعى من تقدمته على قدر منازلهم ، فيتقدم الجندي إلى السلطان فيسأله ابن من ، ومملوك

---

(١) أما الرحبة التي كانت قبالة الإيوان فكانتها الحوش الواقع تجاه الواجهة البحرية الشرقية لجامع محمد علي .

(٢) الخطط النفرزية . ج ٢ ص ٢٩٦ .

من ، ثم يعطيه منالا ، واستمر على ذلك من مستهل المحرم سنة خمس عشرة وسبعمئة إلى مستهل صفر منها وما برح بعد ذلك أن واضب على الجلوس به في يومى الاثنين والخميس وعنده أمراء الدولة والقضاة والوزير وكاتب السر وناظر الجيش وناظر الخاصة وكاتب الدست وتقف الاجناد بين يديه على قدر أقدارهم فلما مات الملك الناصر اقتدى به في ذلك أولاده من بعده واستمروا على الجلوس بالإيوان إلى أن استبد بمملكة مصر الملك الظاهر برقوق فالتزم ذلك أيضاً إلا أنه صار يجلس فيه إذا طلعت الشمس جلوساً يسيراً يقرأ عليه فيه بعض قصص . . . وكان موضع جلوس السلطان في الإيوان للنظر في المظالم فأعرض الملك الظاهر عن ذلك وجعل لنفسه يومين يجلس فيهما بالإصطبل السلطاني للحكم بين الناس وصار الإيوان في أيام الظاهر برقوق وأيام ابنه الملك الناصر فرج وأيام الملك المؤيد أغاموش من بقايا الرسوم الملكية لا غير .

وفي مخطوطة ميونيخ رقم ٤٠٠ ص ٢٩٢ . نقل كازانوكا في كتابه النفيس عن تاريخ القلعة أن مؤرخاً مجهولاً قال إنه في ٧ جمادى الثاني عام ٧٣٣ هـ شرعوا في هدم القبة بالإيوان بالقلعة وعمرروا القبة والإيوان على ما هو عليه اليوم ، وفرغوا في ربيع الآخر سنة أربع وثلاثين وجلس السلطان على الكرسي في الثاني والعشرين من ربيع الآخر المذكور .

ومن الصعوبة بمكان ، أن نقفوا إثر تاريخ هذا الإيوان ، كما جاء في كتب المؤرخين المسلمين أو الرحالة الغربيين . بيد أننا سنورد تنقلاً عما ذكره هؤلاء وهؤلاء . . .

ذكر ابن إياس في كتابه تاريخ مصر ، أنه في يوم السبت سادس عشر محرم عام ٩٢٨ هـ ( ١٥٢١ م ) سقطت القبة العظيمة التي كانت على الإيوان ، سقطت باكر النهار وهذه القبة من إنشاء محمد بن قلاوون . فلما سقطت قال الناس بزوال ملك الأمراء عن قريب ، وهذه القبة لها نحو مائتي سنة من حين عمرت . وكانت من خشب وفوقها رصاص . وكانت مغلفة بقبشاني أخضر ، ولم يعمر في مصر أكبر منها وكانت من نوادر الزمان . . .

نقاره وجاء ذكر الإيوان في كتاب رحلة M. Monconys<sup>(١)</sup>

نير الذي زار مصر وشاهد الإيوان الكبير في فبراير عام ١٦٤٧ م (١٠٥٦ هـ) ووصف أيضاً الرحالة مايوسيل<sup>(٢)</sup> بوردشارد بوكوك (١٧٤٩ م) ونيلون البراماركي (١٧٨٤ م)، وأخيراً كتاب الموسوعة الفرنسية وصف مصر.

### (ب) القصر السابق :

نقرأ وصف هذا القصر في الخطط<sup>(٣)</sup> قبل اندثاره — وكان قائماً في الجهة الغربية من القلعة حيث المكان الواقع على عين الداخل من البوابة الوسطى للقلعة إلى الساحة التي بها جامع محمد علي، وكان يشتهر إلى أوائل عام ١٩٤٦ السجن الحربي للجيش البريطاني ومساكن المساجين ويتبعه حديقة تطل على القاهرة هي اليوم ساحة العلم التي رفع العلم المصري عليها الملك السابق يوم ٩ أغسطس ١٩٤٦.

ولنعد إلى الخطط لقرأ ما كتبه المقرئ عن هذا القصر الذي قيل أنه انتهى بناؤه في مدة عشرة أشهر.

كان يشرف هذا القصر على الإسطبل التي أنشأها الملك الناصر محمد بن قلاوون في شعبان سنة ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) وانتهت عمارته في السنة التالية وأنشأ بجواره جنيحة ولما كمل عمل فيه سباطا حضره الأمراء وأهل الدولة ثم أقيمت عليهم الخلع وحل إلى كل أمير من أمراء المئين ومقدمي الألوف ألف دينار، واكل من مقدمي الحلقة خمسمائة درهم، ولكل من أمراء الطبلخانة عشرة آلاف درهم فضة، منها خمسمائة دينار، فبلغت النفقة على هذا القصر خمسمائة ألف درهم وخمسمائة ألف درهم، وكانت العادة أن يجلس السلطان بهذا القصر كل يوم للخدمة ما عدا يومى الاثنين والخميس فإنه يجلس للخدمة بدار العدل، وكان يخرج إلى هذا القصر من القصور الجوانية فيجلس تارة على تحت الملك المنصوب بصدر إيوان هذا القصر المائل على الإسطبل، وتارة يقعد دونه على الأرض والامراء وقوف. هذا

باب في تاريخ القاهرة

(١) Journal des voyages de M. Monconys. Lyon 1675. 1er partie. P. 168.

(٢) Maillet, 'Description de l'Egypte 1785 P. 491.

(٣) الخطط المرفوعة ج ٢ ص ٢٠٩.



ما تقدم خلا أمراء المشورة والقرباء من السلطان ، فإنه ليس لهم عادة بحضور هذا المجلس ولا يحضر هذا المجلس من الأمراء الكبار إلا من دعت الحاجة إلى حضوره ، ولا يزال السلطان جالسا إلى الثالثة من النهار فيقوم ويدخل إلى القصور الجوانية ، ثم إلى دار حرمة ونسائه ، ثم يخرج في آخريات النهار من قصوره الجوانية للنظر في مصالح مملكه ويعبر إليه إلى قصوره الجوانية خاصة من أرباب الوظائف في الأشغال المتعلقة به على ما تدعو الحاجة إليه ، ويقال لها خدمة القصر ، وهذا القصر تجاه بابه رجة يسلك إليها من الرجة التي تجاه الإيوان فيجلس بالرجة التي على باب القصر خواص الأمراء قبل دخولهم إلى خدمة القصر ويمشي من باب القصر في دهاليز مفروشة بالرخام قد فرش فوقه أنواع البسط إلى قصر عظيم البناء مشاعق في الهواء بإيوانين أعظمهما الشمالى يطل منه على الإسطبلات السلطانية ويمتد النظر إلى سوق الخيل والقاهرة وظواهرها إلى نحو النيل وما يليه من بلاد الجيزة وقراها . وفي الإيوان الثانى القبلى باب خاص لخروج السلطان وخواصه منه إلى الإيوان الكبير أيام الموكب ويدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية . وكان هذا القصر الأبقى رسوم وعوائد تغير كثير منها وبقيت بقايا من شعار المملوك ورسوم السلطنة ( إلى أيام المقربرى )

### الأسمطة السلطانية (١)

كانت العادة أن يعد بالقصر في طرفي النهار من كل يوم أسمطة جليلة لعامة الأمراء خلا البرانيين وقليل ما هم . فبكرة يعد سباط أول لا يأكل منه السلطان ثم ثان بعده يسمى الخاص قد يأكل منه السلطان وقد لا يأكل ثم ثالث بعده يسمى الظارى ، ومنه ما كول السلطان ، وأما في آخر النهار فيمتد سباطان الأول والثانى المسمى بالخاص ، وفي كل هذه الأسمطة يؤكل ما عليها ويفرق نوات ثم يسقى بعدها الأسماء المعمولة من السكر والآفاريه المطيبة بماء الورد المبردة وكانت العادة أن يبيت في كل ليلة بالقرب من السلطان أطباق منها أنواع من المطجنات والبوارد والفطر والقشطة والجبن المقلى والموز وأطباق فيها من الأقسام والماء البارد برسم أرباب النوبة في السهر حول السلطان ليتشاغلوا بالمأكل والمشروب عن النوم ،

ويكون الليل مقسوما بينهم بساعات الرمل فإذا انتهت نوبة نبهت التي تليها ثم ذهبت هي فنامت إلى الصباح ، وبلغ مصروف السباط في كل يوم عيد الفطر من كل سنة خمسين ألف درهم . منها نحو ألفين وخمسمائة دينار تنهبه الغلمان والعامه . وكان يعمل في سباط الملك الظاهر برقوق في كل يوم خمسة آلاف رطل من اللحم سوى الأوز والدجاج وكان راتب المؤيد شيخ في كل يوم لسباطه وداره ثمانمائة رطل من اللحم فلما كان من المحرم سنة ٨٢٦ هـ ( ١٤٢٣ م ) سأل الملك الأشرف برسبای عن مقدار ما يطبخ له في كل يوم بكرة وعشيا ، فقيل له ستمائة رطل في الوجبتين ، فأمر أن يطبخ بين يديه لأنه بلغه أنه يؤخذ بما ذكر لشاد الشربخانة ونحوه مائة وعشرون رطلا لجعل راتب اللحم في كل يوم بزيادة أيام الخدمة وتقصان أيام عدم الخدمة خمسمائة رطل وستة أرطال عن وجبتى الغذاء والعشاء ومن الدجاج ستة وعشرين طائرا .

وقيل إنه لما انتهى العمل من هذا القصر الكبير أولم السلطان في ذلك اليوم وجميع القضاة الأربعة وسائر الأمراء وقرأ الختمة ومد سباطا حافلا وملا الفسقية التي بالقصر سكرا بماء الليمون ووقف رؤوس النوبة على الفسقية يفرقون السكر على الناس بالطاسات ، وخلع السلطان في ذلك اليوم على المهندسين والبنائين والمرخين والنجازين والدهانين . فجمعوع ذلك ألفان وخمسمائة خلعة ، ووزع على النقباء خلع حرير وفرق على الفعلة كل واحد عشرة دنائير ، وفرق على الفقراء في ذلك اليوم خمسين ألف دينار ثم أحضر في آخر الليل المغاني وأرباب الآلات ووقدت وقده عظيمة بالقصر ، وأحرق حراقة نفض بالرميلة وكانت ليلة لم يسمع مثلها .

وفي أيام العثمانيين تحول القصر إلى مصنع للكسوة الشريفة كما ذكر البكرى وأيد هذا القنصل الفرنسي ما ييه في كتابه وصف مصر .

## القسم الثالث من عمائر محمد بن قلاوون

### (١) القصور الجوانية :

تقابل وصف هذه القصور في الخطط بعد ما ذكره المقرئ عن القصر الأبقى  
وسننقل ما كتبه عنها :

يدخل من هذا القصر إلى ثلاثة قصور جوانية منها واحد مسامت لأرض  
هذا القصر واثنان يصعد إليهما بدرج في جميعها شبابيك حديد يشرف على مثل  
منظرة القصر الكبير وفي هذه القصور كلها مجارى الماء مرفوعا من التل تديرها  
الآبقار من مقره إلى موضع ثم إلى آخر حتى ينتهى الماء إلى القلعة ، ويدخل إلى  
القصور السلطانية وإلى دور الأمراء الخواص المجاورين للسلطان فيجرى الماء في  
دورهم وتدور به حماماتهم وهو من عجائب الأعمال لرفعته من الأرض إلى السماء  
قريباً من خمسمائة ذراع من مكان إلى مكان ، ويدخل من هذه القصور إلى دور  
الحريم وهذه القصور جميعها من ظاهرها مبنية بالحجر الأسود والحجر الأصفر  
موزرة من داخلها بالرخام والفصوص المذهبة المشجرة بالصدف والمعجون وأنواع  
الملونات وسقفها كلها مذهبة قد موهت باللأزورد والنور ، يخرق في جدرانها  
بطاقات من الزجاج القبرصى الملون كقطع الجواهر المتألقة في العقود وجميع الأراضي  
قد فرشت بالرخام المنقول إليها من أقطار الأرض مما لا يوجد مثله ، وتشرف الدور  
السلطانية على بساتين وأشجار وساحات للحيوانات البديعة والآبقار والأغنام  
والطيور والدواجن .

### (ب) السبع قاعات :

كانت تشرف على الميدان وباب القرافة عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون  
وأسكنها سراريه ومات عن ألف ومائتى وصيفة مولدة سوى من عداها من بقية  
الأجناس . وقد يكون موقعها اليوم قصر الجوهرة الواقع في الزاوية الجنوبية  
الغربية بالقلعة .



( ج ) باب النحاس :

كان هذا من أجل أبواب الدور السلطانية . عمره الناصر وزاد في سعة دهايزه والظاهر أن هذا الباب كان في أبواب القصر المخصص لسكنى الملك وحرمة . وقد زال بزوال القصر الذى كان مركبا على أحد دهايزها بقاعة الجبل .

( د ) باب القلعة (١) :

يستفاد مما ورد في كتاب صبح الاعشى عند الكلام على القلعة (ج ٢ ص ٣٧٢) أن باب القلعة كان واقعا في أحد الأسوار الداخلية الواقعة في القسم الشمالى الشرقى في مباني قلعة الجبل . وكان السور الذى فيه هذا الباب يفصل بين الساحة التى كانت خلف باب القلعة العمومى وبين الدور السلطانية . وكانت هذه الساحة يجلس بها الأمراء حتى يؤذن لهم بالدخول . ويستفاد مما ذكره المقرئى في خطظه عند الكلام على باب القلعة ( ص ٢١٢ ج ٢ ) أنه عرف بذلك لأنه كان هناك قلعة ( برج مرتفع ) بناها الملك الظاهر بيبرس ثم هدمها الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٥ هـ ( ١٢٨٦ م ) وبني مكانها قبة ثم هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون . وجدد باب القلعة على ما هو عليه في زمن المقرئى وعمل له بابا ثانياً

وقد اندثر هذان البايان بسبب إزالة السور الذى كان فيه البايان المذكوران وقد كانا واقعين على مسافة قريبة خلف باب القلعة الحالى ، ويستفاد مما هو مبين على خريطة القاهرة رسم سنة ١٨٠٠ أن هذا الباب كان يسمى باب المدافع ، وفي سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٦ م ) جدد محمد على باب القلعة الحالى وهذه البوابة واقعة بعد البوابة الوسطى على اليسار تجاه الباب البحرى الشرقى لجامع الناصر محمد بن قلاوون ، وتوصل إلى ثكنات الحرس سابقاً والمتحف الحربى .

( هـ ) دار النيابة :

وتنقل فيما يلى ما جاء في كتاب الخطط المقرئية عن دار النيابة :

« كان بقاعة الجبل دار نيابة بناها الملك المنصور قلاوون في سنة ٦٨٧ هـ سكنها

---

(١) محمد رمزى بك - تعليقات كتاب النجوم الزاهرة - ج ٨ ص ٤٥ و ج ٩ ص .

الأمير حسام الدين طرنتاي ومن بعده من نواب السلطنة وكانت النواب تجلس بشبا كما حتى هدمها الملك الناصر محمد بن قلاوون في سنة ٧٣٧ هـ وأبطل النيابة وأبطل الوزارة أيضاً فصار موضع دار النيابة ساحة فلما مات الملك الناصر أعاد الأمير قوصون دار النيابة عند استقراره في نيابة السلطنة ، فلم تكمل حتى قبض عليه فولى نيابة السلطنة الأمير طشتمر ، ثم قبض عليه فتولى بعده نيابة السلطنة الأمير شمس الدين آن سنقر في أيام الملك الصالح اسماعيل بن الملك الناصر محمد بن قلاوون ، فجلس بها في يوم السبت أول صفر سنة ٧٤٣ هـ (١٣٤٢م) في شباك دار النيابة وهو أول من جلس بها من النواب بعد تجديدها وتوارثها النواب بعده ، وكانت العادة أن يركب جيوش مصر يومى الاثنين والخميس في الموكب تحت القلعة ، فيسيرون هناك من رأس الصورة إلى باب القرافة ، ثم تقف العسكر مع نائب السلطنة وينادى على الخيل بينهم ، وربما نودى على كثير من آلاف الجند والخيم والجركوات والأسلحة ، ثم يطلعون إلى الخدمة السلطانية بالإيوان بالقاعة فإذا مثل النائب في حضرة السلطان وقف في ركن الإيوان إلى أن تنتهى الخدمة فيخرج إلى دار النيابة والأمراء معه ويمد السباط بين يديه كما يمد سباط السلطان ويجلس جلوساً عاماً للناس ويحضره أرباب الوظائف وتقف قدامه الحجاب وتقرأ القصص وتقدم إليه الشكاة ويفصل في أمورهم فكان السلطان يكتب بالنائب ولا يتصدى لقراءة القصص عليه وسماع الشكاوى تعويلاً منه على قيام النائب بهذا الأمر ، وإذا أقرئت القصص على النائب نظر فإن كان مرسومه يكفي فيها أصدره عنه ، وما لا يكفي فيه إلا مرسوم السلطان أمر بكتابته عن السلطان ، وأصدره فيكتب ذلك ويذبه فيه على أنه بإشارة النائب ويميز عن نواب السلطان بالمسالك الشامية بأن يعبر عنه بكافل المملكة الشريفة الإسلامية ، وما كان من الأمور التي لا بد له من إحاطة علم السلطان بها فإنه إما أن يعلمه بذلك منه إليه وقت الاجتماع به أو يرسل إلى السلطان من يعلمه به ويأخذ رأيه فيه ، وكان ديوان الإقطاع وهو الجيش في زمان النيابة ليس لهم خدمة إلا عند النائب ، ولا اجتماع إلا به ولا يجتمع ناظر الجيش بالسلطان في أمر من الأمور ، فلما أبطل الملك الناصر محمد بن قلاوون النيابة صار ناظر الجيش يجتمع بالسلطان ، واستمر ذلك بعد إعادة النيابة وكان الوزير وكاتب السر يراجعان النائب في بعض الأمور دون بعض ، ثم اضمحلت نيابة السلطنة في أيام محمد بن قلاوون وتلاشت أوضاعها فلما مات أعيدت بعده ولم تزل إلى أيام الظاهر برقوق ، وآخر من

ولها على أكثر قوانينها الأمير سودون الشينخي ، وبعده لم يل النيابة أحد في الأيام الظاهرية ثم إن الناصر فرج بن برقوق أقام الأمير تماراز في نيابة السلطنة فلم يسكن دار النيابة في القلعة ولا خرج عما يعرفه من حال حاجب الحجاب ولم يل النيابة بعد تماراز أحد ، وكانت حقيقة النائب أنه السلطان الثاني وكانت سائر نواب الممالك الشامية وغيرها تكاتبه في غالب ما تكاتب فيه السلطان ويراجعونه فيه كما يراجع السلطان ، وكان يستخدم الجند ويخرج الإقطاعات من غير مشاورة ويعين الأمرة لكن بمشاورة السلطان ، وكان النائب هو المتصرف المطلق التصرف في كل أمر فيراجع في الجيش والمال والخير والبريد وكل ذي وظيفة لا يتصرف إلا بأمره ولا يفصل أمراً مفضلاً إلا بمراجعته ، وهو الذي يستخدم الجند ويرتب في الوظائف إلا ما كان منها جليلاً كالوزارة والقضاء وكتابة السر والجيش فإنه يعرض على السلطان من يصلح ، وكان قل الأيجاب في شيء بعينه (١) .

#### ( و ) الطباق — مكينات الجند (٢)

عمرها الملك الناصر محمد بن قلاوون وأسكنها المماليك السلطانية وعمر حارة تختص بهم وكانت الملوك تعني بهم غاية العناية حتى إن الملك المنصور قلاوون كان يخرج في غالب أوقاته إلى الرحبة عند استحقاق حضور الطعام للمماليك ويأمر بعرضه عليه ويتفقد لهم ويختبر طعامهم في جودته وردائه ، فترأى فيه عيباً اشتد على المشرف والاستدار ونهرهما وحل بهما منه أي مكروه ، وكان يقول كل الملوك عملوا شيئاً يذكر به ما بين مال وعقار وأنا عمرت أسواراً وعملت حصوناً ما نعمة لي ولأولادي وللمسلمين وهم المماليك ، وكانت المماليك أبداً تقيم بهذه الطباق لا تبرح فيها فلما تسلط الملك الأشرف خليل بن قلاوون سمح للمماليك أن ينزلوا من القلعة من النهار ولا يبيتوا إلا بها فكان لا يقدر أحد منهم أن يبيت بغيرها ، ثم إن الملك الناصر محمد بن قلاوون سمح لهم بالنزول إلى الحمام يوماً في الأسبوع

(١) المخطوط المقيزي . ج ٣ ص ٣٤٨ — ٣٥٠ .

(٢) لم تكن هذه الطباق دوراً بعضها فوق بعض بل كانت قاعات متجاورة لكل جماعة من طباق خاص بهم ، وكانت هذه الطباق واقعة في الحوش الذي به اليوم الشكنات والمتحف الحربي وجامع سيدي سارية .



فكانوا ينزلون بالنوبة مع الخدام ثم يعودون آخر نهارهم ولم يزل هذا حالهم إلى أن انقرضت أيام ابن قلاوون ، وكانت للماليك بهذه الطباق عادات جميلة . أولها أنه إذا قدم بالمملوك تاجره عرضه على السلطان ونزله في طبقة جنسه وسلبه للطواشي ، فأول ما يبدأ به تعليمه ما يحتاج إليه من القرآن الكريم وكانت كل طائفة لها فقيه يحضر إليها كل يوم ويأخذ في تعليمها كتاب الله تعالى ومعرفة الخط والفرن بآداب الشريعة وملازمة الصلوات والاذكار ، وكان الرسم إذ ذاك ألا تجلب التجار إلى الماليك الصغار ، فإذا شب الواحد من الماليك علمه الفقيه شيئا من الفقه ، وأقرأه فيه مقدمة فإذا صار إلى سن البلوغ أخذ في تعليمه أنواع الحرب من رمي السهام ولعب الرمح ونحو ذلك . فيتسلم كل طائفة معلم حتى يبلغ الغاية في معرفة ما يحتاج إليه ، وإذا ركبوا إلى لعب الرمح أو رمي النشاب لا يجسر جندي ولا أمير أن يحدّثهم أو يدنو منهم فينتقل إذن إلى الخدمة ، وينتقل في أطوارها رتبة بعد رتبة إلى أن يصير من الأمراء فلا يبلغ هذه الرتبة إلا وقد تهذبت أخلاقه وكثرت آدابه وامتزج تعظيم الإسلام وأهله بقلبه ، واشتد ساعده في رماية النشاب وحسن لعبه بالرمح ومرن على ركوب الخيل ، ومنهم من يصير في رتبة فقيه عارف أو أديب شاعر أو حاسب ماهر . هذا ولهم أزمة من الخدام وأكابر من رهوس النوب يفحصون عن مال الواحد منهم الفحص الشافي ويؤاخذونه أشد المؤاخذة ويناقشونه على حركاته وسكناته ، فإن عثر أحد من معلميه الذي يعلمه القرآن أو الطواشي الذي هو معلم إليه أو رأس النوبة الذي هو حاكم عليه على أنه اقترف ذنبا أو أخل برسم أو ترك أدبا من آداب الدين أو الدنيا قابله على ذلك بعقوبة مؤلمة شديدة بقدر جرمه ، فلذلك كانوا سادة يدبرون الماليك وقادة يجاهدون في سبيل الله وأهل سياسة يبالغون في إظهار الجميل ويردعون من جار أو تعدى ، وكانت لهم الإدارات الكثيرة من اللحوم والأطعمة والحلاوات والفواكه والكسوات الفاخرة والمعاليم من الذهب والفضة بحيث تنسج أحوال غلبانهم ويفيض عطاؤهم على من قصدهم ثم لما كانت أيام الظاهر برقوق راعي الحال في ذلك بعض الشيء إلى أن زالت دولته في سنة إحدى وتسعين وسبعمائة فلما عاد إلى المملكة رخص للماليك في سكنى القاهرة وفي التروح فنزلوا من الطباق من القلعة ، ونكحوا نساء أهل المدينة ، وأخذوا إلى البطالة ، ونسوا تلك العوايد ثم تلاشت الأحوال في أيام ( م ٣ — قلعة الجبل )

الناصر فرج بن برقوق ، وانقطعت الرواتب من اللحوم وغيرها حتى عن ممالك  
الطباقة مع قلة عددهم ، ورتب لكل واحد منهم في اليوم مبلغ عشرة دراهم من الفلوس ،  
فصار غذاؤهم في الغالب القول المسلوق عجزا عن شراء اللحوم وغيره . هذا وبقي  
الجلب من الممالك هم الرجال الذين كانوا في بلادهم ما بين ملاح سفينة ووقاد  
في تنور خباز ومحول ماء في غيط أشجار ونحو ذلك . واستقر رأى الناصر على  
أن تسليم الممالك للفقهاء يتألفهم بل يتركون وشئونهم فبدلت الأرض غير الأرض  
وصارت الممالك السلطانية أرذل الناس ، وأدناهم وأخسهم قدرا ، وأشجعهم نفسا ،  
وأجهلهم بأمر الدنيا ، وأكثرهم إعراضا عن الدين ، لاجرم أن خربت أرض مصر  
والشام من حيث يصب النيل إلى مجرى الفرات بسوء إياالة الحكام ، وشدة عبث الولاة  
وسوء تصرف أولى الأمر حتى إنه ما من شهر إلا ويظهر من الخلل العام ما لا يتدارك  
فرطه ، وبلغت عدة الممالك السلطانية في أيام الملك المنصور قلاوون سنة ألف وسبع مائة  
فأراد ابنه الأشرف خليل تكميل عدتها عشرة آلاف مملوك وجعلها طوائف فأفرد  
طائفتي الأرمين والجركس وسماها البرجية لأنه أسكنها في أبراج بالقاهرة فبلغت  
عدتهم ثلاثة آلاف وسبع مائة وأفرد جنس الخطأ والقبجاق وأنزلهم بقاعة عرفت  
بالذهبية والزمردية وجعل منهم جمدارية وسقاة وسماهم خاصكية وعمل البرجية  
سلاحدارية وجمعدارية وجاشنكيرية وأوشاقية ثم شغف الملك الناصر محمد بن قلاوون  
بجلب الممالك من بلاد أذربك وبلاد توريز وبلاد الروم وبغداد وبعث في طلبهم ،  
وبذل الرغائب للتجار في حملهم إليه ودفع فيها الأموال العظيمة ثم أفاض على  
من يشتريه منهم أنواع العطاء من عابة الأصناف دفعة واحدة في يوم واحد ولم  
يراع عادة أبيه ومن كان قبله من الملوك في تنقل الممالك في أطوار الخدم حتى  
يتدرب ويتمرن كما تقدم وفي تدريجه من ثلاثة دنانير في الشهر إلى عشرة دنانير  
ثم نقلته من الجامكية إلى وظيفة من وظائف الخدمة بل اقتضى رأيه أن يملا أعينهم  
بالعطاء الكثير دفعة واحدة فأتاه من الممالك شيء كثير رغبة فيما لديه حتى كان الأب  
يبيع ابنه للتاجر الذي يجلبه إلى مصر وبلغ ثمن المملوك في أيامه إلى مائة ألف درهم  
فأدونها . وبلغت نفقات الممالك في كل شهر إلى سبعين ألف درهم ثم تزايدت حتى

صارت في سنة ثمان وأربعين وسبعمائة مائتين وعشرين ألف درهم<sup>(١)</sup>

### ( ز ) الطبلخانة

شيدت الطبلخانة تحت القلعة فيما بين السلسلة (باب العزب)<sup>(٢)</sup> وباب الدرج في مكان دار العدل القديمة التي هدمها الناصر محمد بن قلاوون عام ٧٢٢ هـ (١٣٣٢ م) وصار ينزل إلى عمارتها بين الفينة والفينة وتولى عمارتها آق سنقر . شاد العمار ، ووجد في أساسها أربعة قبور عليها قطع رخام منقوش عليها أسماء المقبورين وتاريخ وفاتهم فنبشوا ونقلوا قريبا من القلعة .

وكانت الطبلخانة ساحة بغير سقف فلما ولي الأمير سودون طاز أمير أخور وسكن الإسطبل السلطاني عمر هذه الطابق فوق الطابق ، وكان الغرض من عمارتها صحيحة فإن المدرسة الأشرفية كانت حينئذ قائمة تجاه الطبلخانة . ولما كان زمام الفتن بين أمراء الدولة تحصن فوقها طائفة ليرموا على الإسطبل والقلعة فأراد ببناء هذه الطابق فوق الطابق أن يجعل بها رماة حتى لا يقدر أحد يقيم فوق المدرسة الأشرفية ، ومن المحتمل أن تكون دار المحفوظات الحالية قد شيدت على أنقاض الطبلخانة ، ونحن لانعلم بعد ما صارت عليه هذه الطبلخانة فيما بعد وفي أي عصر أهمل شأنها وزال استخدامها .

### ( ح ) الخوش :

استهل العمل فيه على أيام الملك الناصر محمد بن قلاوون ، سنة ٧٣٨ هـ (١٣٣٨ م) وكانت مساحته أربعة فدادين . وكان موضعه بركة كبيرة قطع ما فيها من الحجر لعمارة قاعات القلعة حتى صارت غورا كبيرا .

وحينما شرع في العمل ، ألقى على عاتق كل أمير من أمراء المئين تقديم مائة رجل ومائة بهيمة لنقل التراب ، كما عهد بنفس الشيء إلى كل أمير من أمراء الطبلخانة ، وندب الأمير أبقا عبد الواحد شاد العمار ، للإشراف على عملية البناء .

(١) الخطط القرينية ج ٣ ص ٣٤٦ — ٣٤٨ .

(٢) ليس هو باب العزب القائم اليوم بل على مقربة منه .



وتوافد من لدن كل أمير جنده ودوابه كما مثلت الأسارى ، وسخر والى القاهرة ووالى مصر الناس ، واستقدمت رجال النواحي ، وجلس استادار كل أمير فى خيمة ووزع العمل عليهم بالانصاب . ومضى العمل على النسق المراتب ، يواليه بعناية الأمير أقبغا الذى كان لا ينفك يستحث الناس فى سرعة العمل وإتقانه . وكان الملك الناصر يحضر يومياً بنفسه يتفقد مسيرة العمل .

وبما يذكر أن العمال نالهم من مشاق العمل ضرر بالغ مرجعه شدة الحر وقسوة الجو .

ونفض العمال أيديهم من البناء بانقضاء ستة وثلاثين يوماً ، وصار معداً الإعداد الذى وضع له فى بداية الأمر .

وكان أن حشد فيه ألفا رأس من الغنم والابقار جلبت من الصعيد والوجه البحرى . ثم أجرى الماء بين جوانحه من القلعة ، وقد قيل إن أعداد الأغنام بلغت بعد موت الملك الناصر ثلاثين ألف رأس سوى أتباعها ، ولسبب ما أبطأ استعمال الحوش للحيوانات .

وفى أيام الملك الظاهر برقوق ، اتخذ الحوش مقراً للاحتفال بالمولد النبوى الشريف ، ومكان هذا الحوش اليوم — القسم المنخفض من مباني القلعة فى الجهة الشرقية منها حيث يوجد الآن ديوان كتنخدا . وهو القاعة الكبيرة التى تسمى قاعة العدل — أنشأها محمد على فى سنة ١٢٢٩ هـ ( ١٨١٤ م ) وكان يجلس فيها كتنخدا أى وكيل الوالى لنظر أمور الدولة ومصالح الناس ، ويوجد فى الحوش الآنف الذكر دار الضرب القديمة التى كانت فى وقت ما داراً للمحفوظات — وجلها داخل سور القلعة الحالية .

### ( ط ) الإسطبلات :

كان أول من استحدث الإسطبلات بالقلعة — الملك الكامل واستمرت فى أيام خلفائه ، ولكن على عهد محمد بن قلاوون زادت نموا ونشاطا واتسعت رحابها — فهو بحق لا يعتبر منشئها ولكن مجددتها وبحيها .

وقد أسهب المقرئ في الكلام عن هذه الإسطبلات . وهي مجموعة من المباني كان يقيمها بعض كبار أمراء دولتي المماليك بغية سكنى الأمير هو وأسرته وبماليكه وخيوله — فكان الإسطبل يشمل قصر السكنى ويوتا لماليكه وإسطبلات لجياده ومخازن لمثورتها وحفظ سروجها — ومثال لها : إسطبل قوصون الذي كان بجوار مدرسة السلطان حسن ، وله بابان أحدهما من الشارع بجوار حدوة البقرة ، والثاني قبالة باب القلعة المعروف بباب السلسلة — أنشأه الأمير علم الدين سنجر الجقदार ، ولكن ابتاعه منه الأمير سيف الدين قوصون ، وصرف له ثمنه من بيت المال . وما لبث أن زاد فيه قوصون ، وأضاف بداخله عدة عمائر بين دور وإسطبلات . . . لجاء قعراً عظيماً .

وموضع إسطبل قوصون<sup>(١)</sup> اليوم المنطقة التي تتضمن القصر الأثرى الباقي إلى اليوم خلف جامع السلطان حسن المعروف بقصر يشبك أو بقصر الأمير أقبردى الدوادار وقد حرف العامة الاسم إلى بردق فأصبح يعرف بقصر بردق — والأرض الفضاء المحيطة بهذا القصر التي كانت تعرف بحوش بردق والأرض القائم عليها الآن مدرسة عثمان باشا ماهر الواقعة خلف القصر بشارع قرقول المنشية ، والأرض القائم عليها النصف الغربي من عمارة والده الخديوى إسماعيل الشهيرة بعمارة خليل أغا المظلة على ميدان صلاح الدين خلف جامع السلطان حسن .

وكانت وظيفة ناظر الإسطبلات جليلة القدر في أيام المماليك ، وأول من استحدثها الملك الناصر محمد بن قلاوون .

ويستفاد مما ذكره المقرئ أن الإسطبل السلطاني في أيام الناصر محمد مكانه اليوم بمجموعة المباني التي بها مخازن وورش الجيش المصرى بالقلعة الواقعة على يمين الداخل من باب العزب الذي كان يسمى قديماً باب الإسطبل — في المسافة الممتدة بين جامع أحمد أغا إلى نهاية الورش من جهاتها الغربية والقبلية والشرقية — هذا مع العلم بأن المكان الحالى للإسطبل المذكور ليس في منسوب أرضية قلعة الجبل .

(١) محمد رمزى — تعليقات النجوم الزاهرة — ج ٩ ص ١١٠ — ١١١ .

بل هو في مستوى أوطى مما عليه في القلعة ويحيط به السور الأسفل الغربي المشرف على ميدان صلاح الدين (١) .

### (ى) الميدان:

والى هنا قد تكلمنا عن مشتملات قلعة الجبل الرئيسية في داخلها وخارجها ، ولا بد أن نحول حديثنا إلى ميادينها حيث يتدرب الجند ويعرض الجيش .

لقد احتوت القاهرة على ميادين شتى ، والحديث عنها ليس هذا بمجاله ، فسنعصر الحديث الآن عن ميادين القلعة . فنلجأ إلى تحدثنا في البعث ، وهو المقريزى .

كان أهم تلك الميادين — وما زال إلى اليوم — قره ميدان ، أو الميدان الأسود ، وهو الذى يطلق عليه المقريزى ميدان القلعة .

مثل هذا الميدان من بقايا ميدان أحمد بن طولون . جده الملك الكامل ابن العادل فى عام ٦١١ هـ ( ١٢١٤ م ) ، ثم عني به الملك الصالح نجم الدين أيوب عناية زائدة وأنشأ حوله الأشجار . فجاء من أحسن الميادين . وفى عام ٦٥١ هـ هدمه الملك المعز أيبك التركمانى فزالت آثاره . وفى عام ٧١٢ هـ ( ١٣١٢ م ) عمره الملك الناصر محمد بن قلاوون وحفر فيه الآبار والسواقي ، وغرس خلاله النخيل والأشجار ، وأدار عليه سوراً من الحجر ، وبني حوضاً للنيل من خارجه . فتأق ميداناً فسيح المدى يمتد تحت سور القلعة من باب الإسطبل إلى قرب القرافة . ويستفاد مما أورده ابن إياس فى كتاب « بدائع الزهور » ( ص ٥٦ ج ٤ ) أن السلطان الأشرف قنصوه الغورى عمر هذا الميدان عمارة لم يسبق لها مثيل فى سنة ٩٠٩ هـ ( ١٥٠٣ م ) فردم أرضه بالطين وعلى أسواره وجعل له باباً كبيراً مطلاً على الرملة وعليه قصر فاخر . وأنشأ بالميدان بستاناً غرس فيه جميع أنواع أشجار الفاكه وهياً به مقعداً وبيتاً كما أقام فى الجهة الغربية منه قصراً حافلاً ومنظرة ، وغير ذلك من المباني الفاخرة .



ومن هذا يتبدى أن ميدان القلعة والميدان الأسود أو قره ميدان مكانه اليوم ميدان صلاح الدين ، ويقال له ميدان المنشية .

ويقول المقرئى إن الملك الناصر لما انتهى من تعديل هذا الميدان نزل إليه ولعب فيه الكرة مع أمرائه وخلع عليهم . واستمر يلعب فيه يومى الثلاثاء والسبت . وصار القصر الأبقى يشرف على هذا الميدان . وإذا ركب السلطان إليه نزل من درج تلى قصره الجوانى . فينزل السلطان إلى الإسطبل الخاص ، ثم إلى هذا الميدان وهو راكب ، وخواص الأمراء فى خدمته فيعرض الخيول الخاصة للتفسيح — وفى هذا الميدان يصلى السلطان أيضاً صلاة العيدين ويكون نزوله إليه فى يوم العيد ، وصعوده من باب خاص من دهليز القصر غير المعتاد النزول منه . فإذا ركب من باب قصره ونزل إلى منفذه من الإسطبل إلى هذا الميدان ينزل فى دهليز سلطاني قد ضرب له على أكمل ما يكون من الآبهة فيصلى ويسمع الخطبة ثم يركب ويعود إلى الإيوان الكبير ويمد سباطه . . . إلى أن كانت سنة ٨٠٠ هـ ( ١٣٩٨ م ) فصلى الملك الظاهر برقوق عيود النحر بجامع القلعة لتخوفه بعد وقعة الأمير على باى فمجر الميدان (١) .

#### ( ك ) قناطر مياه القلعة :

ومن أظهر الأعمال الجليلة التى ما انفك أثرها باقياً إلى اليوم تشهد بعلو رأى الملك الناصر محمد — قناطر المياه التى أمر بتشيدها لنقل المياه بوساطتها إلى القلعة . وهو مشروع جبار يدل على بعد نظره ، ومهارة مهندس ذلك العصر الذهبى فى تاريخ القلعة بل وعلى تقدم مصر الهندسى فى ذلك الحين .

ولقد أفرد المقرئى عدة صفحات من كتابه لوصف هذه القناطر العظيمة . وسننقل عنه ما جاء فيه لئى نصل إلى جواب هذا السؤال : « من أين تستقى القلعة ؟ » . . .

جميع مياه القلعة عن ماء النيل تنقل من موضع إلى موضع حتى تمر فى جميع

---

(١) الخطط المقرئية ( الطبعة الفرنسية ) ج ٢ ص ٢٢٨ و ٢٢٩ .

ما يحتاج إليه بالقاعة . وقد عني الملوك بعمل السواقى التى تنقل الماء من بحر النيل إلى القاعة عناية عظيمة — فأنشأ الملك الناصر محمد بن قلاوون فى سنة ٧١٠ هـ (١٣١٠ م) أربع سواقى على النيل تنقل الماء إلى السور ، ثم من السور إلى القاعة ، وعمل تقالة من المصنع الذى عمله الظاهر بيبرس بجوار زاوية تقي الدين رجب التى بالرميلة تحت القاعة إلى بئر الإسطبل — فلما كانت ٧٢٨ هـ (١٣٢٩ م) عمل الملك الناصر على حفر خليج من ناحية حلوان إلى الجبل الأحمر المطل على القاهرة ليسوق الماء إلى الميدان الذى عمله بالقاعة . ويكون حفر الخليج فى الجبل فتزل لكشف ذلك ومعه المهندسون ، فجاء قياس الخليج طولاً اثنين وأربعين ألف قصبة ، فيمر الماء فيه من حلوان حتى يحاذى القاعة فإذا حاذىها بنى هناك خبائيا تحمل الماء إلى القاعة لينصير الماء بها غزيراً كثيراً دائماً صيفاً وشتاء لا ينقطع ولا يتكافى لحمله ونقله ، ثم يمر من محاذة القاعة حتى ينتهى إلى الجبل الأحمر ، فيصب من أعلاه إلى تلك الأرض حتى تزرع . وعندما أراد الشروع فى ذلك طلب الأمير سيف الدين قطلو بك ابن قراسنقر الجاشنكير أحد أمراء الطبليخانة بدمشق بعد ما فرغ من بناء القناة ، وشق قناة للماء إلى القدس فحضر ومعه الصناع الذين عملوا قناة عين بيت المقدس على خيل البريد إلى قلعة الجبل فأنزلوا . ثم أقيمت لهم الجرايات والرواتب ، وتوجهوا إلى حلوان ، ووزنوا بحرى الماء ، وعادوا إلى السلطان ، وصوبوا رأيه فيما قصد ، والتزموا بعمله . فقال : كم تريدون ؟ قالوا ثمانين ألف دينار . فقال ليس هذا بكثير .

فقال كم تكون مدة العمل فيه حتى يفرغ ؟ قالوا عشر سنين . فاستكثر طول المدة . ولما تشاور الأمراء لم يعارضه فيه أحد إلا الفخر ناظر الجيش . فإنه قال : بمن يحفر السلطان هذا الخليج ؟ قال : بالعسكر . قال : والله لو اجتمع عسكر آخر فوق العسكر السلطانى وأقام سنين ما قدروا على حفر هذا العمل فإنه يحتاج إلى ثلاث خزائن من المال . ثم هل يصح أولاً ؟ فرجع السلطان عن عمله .

ثم أعاد السلطان — قطلو بك وعمله — إلى دمشق ومات عقب ذلك فى سنة ٧٢٩ هـ (١٣٢٩ م) .

فلما كانت سنة ٧٤١ هـ (١٣٤٠ م) اهتم الملك الناصر ثانية بسوق الماء إلى القاعة ، وتكثيره بها لسقى الأشجار وملء الفساقى ولأجل مراحات الغنم والأبقار .

فطالب المهندسين والبنائين ونزل معهم ، وسار في طول القناطر التي تحمل الماء من النيل إلى القلعة حتى انتهى إلى الساحل . فأمر بحفر بئر أخرى ليركب عليها القناطر حتى تتصل بالقناطر العتيقة فيجتمع الماء من بئرين ويصير ماء واحدا يجرى إلى القلعة . فعمل ذلك ثم أحب الزيادة في الماء أيضا فركب ومعه المهندس إلى بركة الحبش<sup>(١)</sup> وأمر بحفر خليج صغير يخرج من البحر ويمر إلى حائط الرصد<sup>(٢)</sup> وينقر في الحجر تحت الرصد عشرة آبار يصب فيها الخليج المذكور ويركب السواقي على الآبار لتنقل الماء إلى القناطر العتيقة التي تحمل الماء إلى القلعة زيادة لمائها ، وكان بين أول هذا المكان الذي عين لحفر الخليج وبين آخره تحت الرصد أملاك كثيرة وبساتين عدة — فندب الأمير ألبغا عبد الواحد لحفر هذا الخليج واشترى الأملاك من أربابها — فحفر الخليج وأجزاه في وسط بستان إصاحب بهاء الدين بن حنا وقطع لإنشاء وهدم الدور وجمع عامة الحجارين لقطع الأحجار ونقر الآبار — وصار السلطان يتعاهد النزول للعمل كل قليل — فعمل عمق الخليج من فم البحر أربع قصبات وعمق كل بئر في الحجر أربعين ذراعا . ولكن توفي السلطان قبل تمام هذا العمل — فبطل وانطمر الخليج بعد ذلك .

---

(١) هذه البركة كانت واقعة جنوبي مدينة مصر فيما بين النيل والجليل ولم تكن بركة بالمعنى المعروف وإنما كانت حوضاً من الأراضي الزراعية يغمرها ماء النيل وقت فيضانه سنوياً بواسطة خليج بنى وائل . فكانت الأرض وقت أن يغمرها الماء تشبه البركة .

(٢) يعرف اليوم بجبل إسطنبول عنتر تجاه قرية أثر النبي جنوبي مصر القديمة . ويعلوه الآن مبنى جده محمد علي وجعله مخزناً للبارود باسم جبخانه أثر النبي ، وتسميه العامة إسطنبول عنتر ، وإليه ينسب جبل الرصد المذكور — وحائط الرصد هذا هو جبهة الجبل الغربية التي تشرف على قرية أثر النبي ( محمد رمزي ) .



## القلعة في أعقاب عصر الملك الناصر بن قلاوون

طالعنا في الفصل السابق تلك الآثار الخالدة من العمارات الجليلة التي شادها السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون في قلعة القاهرة . والتي يتضامل شأنها تدريجياً حتى شغلها العثمانيون حيناً من الدهر وأتوا على ما كانت عليه من روعة وجمال . فلما وفد الفرنسيون على مصر ، في أخريات القرن الثامن عشر ، كانت خرائب بالية قد تحدرت أحجارها عن ماضيها .

ففي أيام خلفاء محمد بن قلاوون — الأبناء والأحفاد — شيد بعضهم طائفة من القاعات والقصور الصغيرة ، كان منها قاعة الدهيشة والبيسرية .

### قاعة الدهيشة :

تحدث عن هذه القاعة المقريري في خططه . فقال :

عمرها السلطان الملك الصالح عماد الدين إسماعيل بن محمد بن قلاوون في سنة خمس وأربعين وسبعمائه . . . وذلك أنه بلغه عن الملك المؤيد عماد الدين صاحب حماه أنه عمر بحماه دهيشة لم يكن مثلاً فقد قصد مضاماته وبعث الأمير أقبغا المهندس لكشف دهيشة حماة وكتب لنائب حلب ، ونائب دمشق بحمل ألفي حجر بيض ، وألفي حجر حر من حلب ودمشق ، وحشرت الجبال لحملها حتى وصلت إلى قلعة الجبل ، وصرف في حملها كل حجر من حلب ودمشق اثنا عشر درهماً ومن دمشق ثمانية دراهم ، واستدعى الرخام من سائر الأمراء وجميع الكتاب ورسم بإحضار الصناع للعمل ، ووقع الشروع فيها حتى تمت في شهر رمضان منها ، وقد بالغ مصروفها خمسمائة ألف درهم سوى ما قدم من دمشق وحلب وغيرها ، وعمل لها من الفرش والبسط والآلات ما يحل وصفه بها<sup>(١)</sup> .

وقد قيل إن والده الناصر محمد بدأ في عمارتها ولم ينته منها فأكملها ابنه هذا . ولم يستطع أحد بعد تفسير كلمة دهيشة — قد تكون «حماماً» أو ما يشبه المدرسة أو الربع<sup>(٢)</sup> .

(١) الخطط المقريرية ج ٢ ص ٢١٢ .

(٢) كازانوف — تاريخ القلعة بالفرنسية .

### قاعة البيسرية :

وشيد السلطان الملك الناصر حسن ، أحد أبناء الملك محمد بن قلاوون ، الذي  
اشتهر مسجده الرائع قبالة القلعة ، قاعة البيسرية . ومثل هذه القاعة خصها المقريني  
بعنايته — كعمده دائماً — فنراه يقول :

كان ابتداء بنائها في أول يوم من شعبان سنة ٧٦١ هـ ونهاية عمارتها  
في ثامن ذي الحجة من السنة المذكورة فجاءت من الحسن في غاية لم ير مثلاً ،  
وعمل لهذه القاعة من الفرش والبسط ما لا تدخل قيمته تحت حصر . فمن ذلك تسعة  
وأربعون ثياباً برسم وقود القنابل جملة ما دخل فيها من الفضة البيضاء الخالصة  
المضروبة مائتا ألف وعشرون ألف درهم وكلها مطلية بالذهب . وجاء ارتفاع بناء  
هذه القاعة طويلاً في السماء ثمانية وثمانين ذراعاً وعمل السلطان لها برجا يبيت فيه  
من العاج والابنوس مطعم يجلس بين يديه وأكتاف وباب يدخل منه ، وفيه  
مقرنص قطعة واحدة يكاد يذهل الناظر إليه بشبابيك ذهب خالص وطرافات  
ذهب مصوغ وشرافات ذهب مصوغ ، وفيه مصوغة من ذهب . صرف فيه ثمانية  
وثلاثون ألف مثقال من الذهب ، ويصدر إيوان هذه القاعة شباك حديد يقارب  
باب زويلة يطل على جنيحة بديعة الشكل (١) .

## القلعة في عهد السلاطين الجراكسة

( ١٣٨٢ - ١٥١٧ )

جرى ملوك أسرة الجراكسة على السكنى في أبراج القلعة ، وتركوا جزيرة الروضة ، حيث عاش معظم المماليك البحرية .

وأول سلاطين الجراكسة السلطان الملك الظاهر أبوسعيد برقوق ( ٧٨٤ هـ — ١٣٨٢ م ) ومن أظهر أعماله في القلعة أنه جدد عمارة القناة التي تحمل ماء النيل إلى قلعة الجبل ، وجدد عمارة الميدان من تحت القلعة بعد ما أضناه الخراب ، بل ورواه وزرع فيه القرطوغرس به النخيل ، وعمر صهريجاً يملأ بالمياه ومكتباً لتعليم أولاد المسلمين القرآن الكريم وجعل عليه وقفاً ، كما عمر أيضاً بالقلعة طاحونا وسيلا تجاه باب الضيافة قبالة القلعة ، وابتاع بسطا جديدة لدار العدل عام ( ٧٨٧ هـ — ١٣٨٥ م ) .

وقد أورد المقرئى في كتاب السلوك ، أن في تاسع جمادى الأولى من ( عام ٧٩٠ هـ أو ما يليه ) قدمت طوائف من المجندين ونزلوا تحت القلعة وشرعوا في حفر خندق في القلعة وراء أسوارها ، وتوعير طريق باب القلعة ( باب القرافة ) ، وتوعير باب الحوش وباب الدرفيل ، كما تزايد الاهتمام بتحصين القلعة ونقل الأحجار إليها لاستخدامها في المنجنيق .

وفضلاً عن ذلك ، أمر ببناء حائط بين باب الدرفيل وسور القلعة ، وأن يقام حائط آخر في جوار باب الدرفيل إلى الجبل ، وسد باب الدرفيل وباب سارية ( الباب المدرج ) تحت دار الضيافة .

وهناك كتابة منقوشة تعزز أعمال التحصين التي سلفت<sup>(١)</sup> ، وهي بادية في جدار القلعة ، الذي يعزى إلى الخديوى اسماعيل أمر تجديده .

---

(١) موضع الكتابة الأصلية غير موضعها الحال . وقد لاحظ كازانوف أن في جزء من قلعة السور المجاورة فراغاً مساحته تماثل لوحة الكتابة المذكورة .



« بسم الله الرحمن الرحيم ، أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان الملك الظاهر أبو سعيد برقوق على يد المقر الأشرف السيفي جركس الخليلي أمير أخور المملكي الظاهري وذلك بتاريخ شهر ( ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة ) ،

وقد لعب جركس الخليلي هذا دوراً كبيراً في أيام برقوق . فهو الذي كان يباشر بناء مستشفى برقوق الكبير ، وهو مشيد خان الخليلي المعروف وقنطرة الخليلي . وقد قتل في إحدى الحملات العسكرية بالقرب من دمشق في ١١ ربيع الثاني عام ٥٧٩١ م ( ١٣٨٩ م ) بعد انقضاء وقت قليل على انتهاء عمارة سور القلعة .

وتولى العرش بعد برقوق ابنه فرج ( ٨٠١ هـ — ١٣٩٩ م ) وله من العمر ثلاث عشرة سنة . فأمر بتشييد مسجد الحوش عام ( ١٨١٢ هـ — ١٤٠٩ م ) وكان هذا الجامع في داخل قلعة الجبل بالحوش السلطاني — وصار يصلى فيه الخدم وأولاد الملك الناصر محمد إلى أن قتل فرج على يد الأمير شيخ الزعيم الكبير . وقد سبق هذه الجريمة حدوث اضطرابات في القاهرة وكان الأمير استبقا الزردكاش في القلعة ، فلما سمع بمصير الأحوال وقرب وصول الأمير شيخ بعد مطاردته فرج ، شرع في تحصين القلعة واختزان الطعام والماء . ولكن لم يجد كل هذا واستحوذ الأمير شيخ على القلعة وعزل فرج وانتهى الأمر بموته وولى مكانه المستعين سلطاناً على مصر وكان العوبة في يده ، وما لبث الأمر طويلاً حتى كسب العرش لنفسه ( ٨١٥ هـ — ١٤١٢ م ) .

واهتم السلطان شيخ المؤيد بتحصين القلعة . ولكن أحداً من المؤرخين لم يف تلك الأعمال حقها من التفصيل ، ومن أظهر تلك الأعمال القيمة بالتسجيل تشييده جامعاً على مقربة من سور القلعة : يسميه المقرئى ( جامع الصوه ) ، وكان موقعه بين الطبلخانة وباب القلعة ( المدرج ) .

وقد ذكر المؤرخ ابن إياس بأن هذا السلطان كان لا يقيم بالقلعة إلا قليلاً وكان — في معظم أيامه — يلوذ ببית ابن البارزى في بولاق ، إلى أن مات بعد مرض لم يمهله طويلاً ، وترك العرش لابنه أحمد .

وتمر السنون سراعاً ، ولا يذكر المؤرخون شيئاً عن عمارة القلعة . سنون عددها

خمسون على وجه التقريب إلى أن يجلس على العرش السلطان الأشرف قايتباي (٨٧٢ هـ - ١٤٦٧ م) اللهم إلا السلطان جقمق الذي نازع منافسه السلطان يوسف برسباي نخله وسجنه وتولى الحكم بدلا منه . وما يذكر أن لهذا السلطان لوحة نقشت عليها الكتابة الآتية وثبتت في الحائط الايمن لمدخل باب السارية ويفهم منها ما تم على يديه في القلعة .

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم . أمر بتجديد هذا سلم المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقنا الملك الأعظم سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محب العدل في العالمين ملك البرين والبحرين خدام الحرمين الشريفين سلطان العرب والعجم وصاحب السيف والقلم والبند والعلم أفضل من حكم في عصره بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية والسواحية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره (بتاريخ شهر) جمادى الآخرة سنة إحدى وخمسين وثمانمائة . »

ولم يتناول ابن إياس أعمال السلطان قايتباي في القلعة إلا أنه جدد عمارة الإيوان الكبير بالقلعة . وأنشأ المقعد الكبير والبيتين اللذين في الحوش السلطاني .

وهناك على اليمين - نقش باسم قايتباي (١٤٦٧ - ١٤٩٦ م) يشمل الكتابة التالية :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على آله وصحبه وسلم .

أمر بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطان من فضل الله تعالى وحسن عطائه ونعمته سيدنا ومولانا مالك رقنا سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محب العدل في العالمين أبو الفقراء والمساكين ملك البرين والبحرين خدام الحرمين الشريفين مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أطال الله ملكه . »

وخلف قايتباي ابنه الناصر محمد (١٤٩٦) ولم تمتد حياته فقد قتل بعد سنوات قلائل ، خلفه ثلاثة سلاطين ضعاف تعاقبوا على العرش وهم على التوالي . قانصوه الأشرفي وجانبلاط وطومان باي الأول تميز عهدهم بقصر فترة الحكم ، وتكاثر

الاضطرابات ، وانتهاء كل منهم بالعزل ، نتيجة لحياج الممالك ، ومحاصرتهم القلعة لطردهم .

وبالرغم من وجود لوحة رخامية مستطيلة عليها كتابة بالفسخ الجميل ما زالت باقية في مكانها إلى اليوم تحمل اسم السلطان أبو نصر طومان باي ، فإتأ نرى أن قصر مدة حكمه (١) لا تسمح بإجراء العمارة التي نوه بها في تلك اللوحة ، ولنعقد عن يقين أنها تعزى للسلطان جنبلاط (٩٠٥ — ٩٠٦ هـ) يؤيدنا في ذلك ما أورده المؤرخ المصري ابن إياس في كتابه . قال :

إن السلطان ( جنبلاط ) أخذ في أسباب تحصين القلعة بالمدافع وتركيب المكاحل وادخر فيها ما يحتاج إليه من بقساط ودقيق وجبن وعسل وخطب وعليق وملا الصهاريج بالماء . وأدخل في القلعة أشياء كثيرة من احتياج المطبخ ثم بنى برجاً محيطاً على باب السلسلة وبنى باباً بالحجر على باب المدرج وحصن الأبراج التي حول القلعة . ثم إن السلطان صار ينزل إلى الرميطة ويكشف على البنائين الذين يبنون الأبراج — وكاد يأمر بهدم قبة مدرسة السلطان حسن لولا أن راجعه في ذلك الأمير تغرى بردى الاستادار .

تمت كل هذه التصليحات لتقوية مباني القلعة خوفاً من غزو العثمانيين مصر . فقد أصبحوا يهددون مصر من ناحية حدودها الشمالية الشرقية في جهة الشام — وظهر أثر حملتهم على أيام السلطان قانصوه الغوري وهزيمته في معركة مرج دابق قرب حلب واستشهاده تحت سنابك الخيل . ولم تقاوم أسوار القلعة أو أبراجها قبالة جنحافل العثمانيين ومدفيعتهم الخفيفة في الميدان واستقرت مصر طيلة ثلاثة قرون تقريباً في إغفاءة عميقة . إلى أن أنهضها من سباتها محمد علي .

فإذا عمر فيها السلطان قانصوه ؟ . . . .

لندع ابن إياس يجيب لنا عن هذا السؤال — فهو مؤرخ هذا العصر الأوحد يشاركه زميله ابن زنبيل الرمال — يذكر ابن إياس أن السلطان أنشأ الميدان الذي

---

(١) كانت مدة حكم طومان باي الأول ثلاثة شهور و ١٣ يوماً فحسب .



كان تحت القلعة ونقل إليه أشجاراً من الشام وأجرى إليه ماء النيل من سواقي نقالة وأنشأ به المناظر والبحيرة<sup>(١)</sup> والمقعد والمبيت . ووجد غالب عمارة القلعة منها قاعة الدهيشة وقاعة البيسرية وقاعة العواميد وقاعة البحيرة وأنشأ المقعد القبلي الذي بالحوش ووجد عمارة المطبخ الذي في القلعة ووجد عمارة القصر الكبير الذي بالقلعة .

في تلك الأيام كان السلطان الغورى يدبر ملكاً واسماً — الملك الذى ذكره أبو الطيب المتنبى وهو يمدح كافور الأخشيدى :

يدبر الملك من مصر إلى عدن إلى العراق فأرض الروم فالنوب

كانت مصر والشام وبلاد العرب وبعض الجزيرة والقسم الجنوبي من آسيا الصغرى في سلطان ملوك مصر في معظم العصور الإسلامية . وكانت كذلك أيام الغورى وبلغت الاساطيل المصرية سواحل الهند — وبني عليها قلاعاً لحماية التجارة وقد اجتمع الغورى زمنه في الاحتفاظ بسلطان المصريين في تلك الأرجاء على رغم البرتغاليين . وكان بعض أمراء الهند يستنجدون على الفرنج فيرسل الاساطيل والجند حيناً بعد حين .

ولسنا تؤرخ مصر الإسلامية ، ونحن نقصر كلامنا على تاريخ القلعة أيام الغورى . ومعيننا في هذا المؤرخ ابن إياس الذى يقول في حوادث المحرم سنة ٩١٥ هـ (١٥٠٩ م)

« من الوقائع اللطيفة أن في يوم الخميس ليلة الجمعة خامس عشرة . نزل السلطان إلى الميدان ونصب خيمته كبيرة . وملا البحيرة التى أنشأها هناك من ماء النيل من المجراة التى أنشأها . ثم رسم بجمع كل ورد في القاهرة ووضع في تلك البحيرة . وجمع قراء البلد قاطبة والوعاظ . وعلق أحمالاً بها قناديل — وفرش حول البحيرة الفرش الفاخرة . وعزم على القضاة الأربعة . وسائر الأمراء من كبير وصغير

---

(١) عبد الوهاب عزام — مجالس السلطان الغورى ص ٥ — مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر .

وأرباب الوظائف من المباشرين وأعيان الناس قاطبة . وبات السلطان تلك الليلة بالميدان وبات عنده الأتابكي وجماعة من الأمراء .

ومد تلك الليلة أسبطة حافلة أعظم من سباط المولد . فد في السباط أربعة آلاف صحن صيني . ورسم بأن تعمل المأمونية الحمية وكل قطعة نصف رطل . وكان من الأرز والدجاج والغنم ما لا ينحصر . ومن اللحم ألف وخمسمائة رطل . ومن الدجاج ألف طير . ومن الأوز خمسمائة طير ، ومن الغنم المعاليق خمسون معلوقا ، ومن الرمسان الرضع أربعون رميساً ، حتى قيل صرف على ذلك السباط فوق الألف دينار بما فيه من حلوى وفاكهة وسكر وغير ذلك ، وكانت ليلة مشهورة .

وكان الغورى مولعاً بالحدائق والأزهار وإجراء المياه في الحدائق واتخاذ الأحواض والنافورات يدل على ذلك ما انتهجه في ميدان القلعة ومثل هذا الميدان وصفه الشاعر الشربني مترجم الشاهنامة ، وذكره ابن إياس كثيراً . يقول في حوادث جمادى الآخرة سنة ٩١٥ هـ ( ١٥٠٨ م ) .

وفيها كان انتهاء العمل من المجراة التي أنشأها السلطان كما تقدم . فدارت هناك الدواليب وجرى الماء في المجراة حتى وصل إلى الميدان الذي تحت القلعة .

ثم إن السلطان صنع سواقى نقالة . وبني ثلاثة صهاريج تمتلئ من ماء النيل يرسم الممالك الذين يلعبون الرمع في الميدان وشرع في بناء بحيرة في وسط ذلك البستان الذي أنشأ بالميدان فكان طول تلك البحيرة نحواً من الأربعين ذراعاً وقيل أكثر من ذلك وبني هناك عدة مقاعد ومناظر ومظلات على ذلك البستان .

وفي حوادث ذى الحجة سنة ٩١٥ هـ ( ١٥٠٨ م ) .

وفي هذه السنة أئنت الأشجار التي غرسها السلطان بالميدان ، وأخرجت ما شتله بها من الأزهار ما بين ورد وياسمين وبان وزنبق وسوسان وغير ذلك من الأزهار الغريبة ، فكان السلطان يوضع له دكة كبيرة مطعمة بالعاج والابنوس ويفرش فوقها مقعد مخمل ينطع ويجلس عليه وتظله فروع الياسمين وتقف حوله الممالك الحسان بأيديهم المذبات ينشون عليه ويلق في الأشجار الأقفاص فيها طيور مسموع ما بين هزازات ومطوق وبلايل وشحارير وقمارى وفواخت وغير ( م ٤ — قلعة الجبل )

ذلك من طيور المسموع ، ويطلق بين الأشجار دجاج حبشى وبط صينى وحجل وغير ذلك من الطيور المختلفة ، إلى أن يقول ، وقد صار هذا الميدان جنة على الأرض .

وقد عاش بمصر ، في عصر الغورى . علماء كبار أمثال جلال الدين السيوطى والسخاوى والقسطلانى وزكريا الأنصارى .

وقد ترك السلطان الغورى اسمه على أحد عقود قناطر المياه الكبيرة التى كانت تنقل الماء إلى القلعة .

وهناك لوحة رسمها جنتيلي بلىنى Gentile Bellini تمثل استقبال الغورى لسفير البندقية فى القلعة ويرى فيها السلطان جالسا على المصطبة التى بناها فى الحوش (١) . ونلاحظ أنه بدون سقف ، وقد كان أول من جلس على التكة السلطان قايتباى ، ولما اعتلى العرش السلطان طومان باى الثانى آخر ملوك الشراكسة ( ١٥١٦ — ١٥١٧ م ) أمر بهدم المصطبة المذكورة وأعادها تكة كما كانت فى أيام قايتباى — وكانت قد تهدمت فأصلحها وكسيت بالجوخ الأصفر وصار يجلس عليها للمحادثات كما كان يجلس قايتباى وقد قال ابن إياس عنها :

قد عادت التكة للحكم وانهدمت مصطبة الظلم  
وصار طومان باى بين الورى يمشى الشاء مع الضغم  
فيا له من ملك عدله قد شاع بين العرب والعجم

وفى أيام العثمانيين يحى ذكر ديوان الغورى وديوان قايتباى والسلم الذى يتوسط الديوانين . . . وكذلك حوش الديوان — ونلاحظ وجود تلك العمارات فى خريطة الفرنسيين التى وضعوها عام ١٧٩٨ كما تظهر السبع حدرات والباب الوسطانى . . .

وبهذا ينتهى تاريخ القلعة على عهد دولة المماليك الشراكسة .

---

(١) هناك : أى آخر عن هذه اللوحة المحفوظة فى متحف اللوفر بباريس يقول إنها تمثل أحد سلاطين آل عثمان فى الأستانة .



## القلعة في أيام القلقشندي والمقریزی

في القرن الخامس عشر

اجتمعت لدينا جميع العناصر الضرورية التي تتألف من المتون الطويلة التي وردت في موسوعتي المقریزی والقلقشندي . وهما مؤرخان مصريان عاصرا القلعة أزهى أيامها . وبما سجلناه في سفرهما الضخمين نستطيع بسهولة أن نعطي للقارى وصفاً واضحاً للقلعة في منتصف القرن الخامس عشر .

والآن لنتمثل أن زائراً وفد على مصر عام ١٤٤٨ مثلاً ، فما الذي كانت تقع عليه عيناه ؟ . . .

عقب خروجه من باب زويلة ، ميمماً صوب الجنوب ، يجد هذا الزائر أمامه طريقين : أحدهما يصل إلى القسطنطينية إلى جهة الجنوب وهو طريق الصليبية ، وثانيهما يفضى إلى الشرق أى القلعة وهو طريق الدرب الأحمر ، فإذا عبر حى التبانة تفرع الطريق إلى فرعين : أولهما إلى يمينه ويصل إلى ميدان الرميطة ( صلاح الدين ) حيث جامع السلطان حسن يواجه باب السلسلة وإلى داخله يلقى المساكن التي تتألف منها ملحقات مباني القلعة في أيام الأمن والرخاء كالمقاعد والقاعات التي شيدها السلاطين قبل مائة عام ( القرن الرابع عشر ) .

ويرى الزائر — إثر اجتيازه باب السلسلة — إسطبلات السلطان والمقعد المعد للاستقبال الذي يطل على ميدان الرميطة والمسجد الذي شاده السلطان فرج بن برقوق عام ٨١٢ هـ ( ١٤١٠ م ) . وإلى اليمين تقابله إسطبلات السلطان التي تتصل بباب السلسلة بوساطة مبنى كان يستعمل سجناً للأمراء الكبار وكان يسمى ( الحراقة ) يوصل إليه بدرج . ومن المحتمل أن تكون هذه الحراقة في الأصل مكاناً يقذف منه الوقود الملتهب على الأعداء الذين يجرمون على اقتحام القلعة عن طريق باب السلسلة (١) وسكنها بعض الأعوام أحد الأمراء المكلفين بمراقبة ميدان الرميطة .

---

(١) اتخذ هذا المكان بعد عام ١٨٨٢ سكناً للقائد البريطاني بالقلعة وقد أشارت بعض المراجع التاريخية إلى هذه الحراقة . ففي النجوم الزاهرة ذكر أبو الحسن المقعد من الإسطبل السلطاني المعروف بالحراقة كما ورد أيضاً سكنه بالحراقة من باب السلسلة .

ولنراجع — بعد هذه النظرة العابرة — تلك المنشآت التي شاهدها الزائر فهناك خلف مسجد الإسطبل يوجد طريق منحوت في الصخر يسير بمحاذاة السور المنيع الذي يحيط بالقلعة . وإذا تطلعنا إلى أعلى رأينا المدرجات البديعة والمنشآت الجميلة ذوات المناظر الآسرة . جدرها مبنية بالحجارة الصفراء والسوداء بالتبادل ، ومن أجل هذا سمي القصر الرئيسي بالقصر الأبق ، ويجاور هذا القصر ويبرز عن حائطه بين الحوش والإسطبل برج يحمل كتابة تدل على أنه شيد في عام ٧١٣ هـ . ( ١٣١٣ م ) على أيام محمد بن قلاوون .

وإذا خلفنا باب السلسلة يبدأ الزائر في الصعود فيلوح على يساره بعض المساكن . تحول عدة منها إلى جامع حديث البناء يعرف اليوم بمسجد الملك المؤيد — ونستمر في الصعود فنجد إلى اليمين باب السر المخصص للسلطان أو لمن يمرق كلفة السر — وكان السلاطين يسهرون على العناية بمراقبة هذا الأمير ، وقد قيل إن السلطان بيبرس جاء مرة متخفيا وكان الجميع يعتقدون بغيابه في الشام فلم يفتح له الباب حتى فاه بكلمة السر « العلايم » ، ويفضى هذا الباب إلى شرفة كبيرة شيد عليها الإيوان — المقعد الكبير المخصص للاستقبالات السلطانية .

ثم نوالى الصعود لنلقى نظرة على مباني الطبلخانة التي تحولت أيام بيبرس إلى قاعة العدل للنظر في شئون الرعية ، وإذا تركنا الطبلخانة صعدنا بواسطة سلم كثير الدرج اسمه سلم المدرج له باب بنى في أيام بيبرس بمعرفة الأمير الدرفيل ولذلك عرف بهذا الاسم ، ويؤدى هذا الباب إلى سلم المدرج ، وما يذكر أن السلطان برقوق شيد حائطا يربط هذا الباب بالمبنى المجاورة التي أشرنا إليها على يسارنا وهي محجوزة بين أسوار القلعة العالية وهذا الحائط شيد برقوق .

ونحن إلى هنا لم نعبأ أسوار القلعة الأصلية ، ولم نتجول في مبانيها الرئيسية وأمل من الأهمية بمكان ، أن نذكر شيئا قينا بالإشادة . وهو أن القلعة في ذياك العهد كانت تنطوى على ثلاثة نطاقات : النطاق الأول ( القسم ) وهو النطاق العسكرى المخصص للسكنات ذوات الأبراج والأسوار المنيعة ، والثانى يشتمل على القصور

والمساكن التي يشغلها السلطان ورجال الحاشية والأشباع من عسكريين ومدنيين ،  
وهذان يعلمان النطاق الثالث الذي في أسفلهما وتتألف مبانيه من الطبلخانة والإسطبل  
السلطاني والمساكن التي تعاقبت على أبصارنا .

وانستهل زيارتنا للنطاقين الأول والثاني .

فإذا صعد الزائر على سلم المدرج الذي يحاذي الجدران لمسافة خمسين متراً لقي  
نفسه داخل برج مربع يؤدي إلى الداخل ثم إذا لف يمينه لقي نفسه في قلب القلعة كما  
كانت عليه في أيام صلاح الدين ، وهنا يتعين أن نتوقف بعض الشيء لنقول إن  
الغرض من اتباع هذا النظام الهندسي في بناء الباب الرئيسي للقلعة هو عرقلة المهاجمين  
الذين يحاولون اختراق القلعة من ناحية هذا الباب ، ولا يغرب عن البال أن القلعة  
لم تحاصر أبداً ، ولم يقتحمها عدو من هذا الباب — الشيء الذي أفضى إلى إهمال  
استعماله على مر الأيام .

وهنا تقابلنا كتابة نستدل منها على تاريخ إنشاء القلعة في عام ( ٥٧٩ هـ )  
( ١١٨٣ م ) هذا هو باب المدرج من إنشاء صلاح الدين (١) .

---

(١) باب المدرج هو باب القلعة العموي القديم الذي أنشأه صلاح الدين في سنة ٥٧٩ هـ  
( ١١٨٣ م ) وقد ورد في الخطط المرفيكية ( ج ١ ص ٢٠٤ ) باسم الباب المدرج ولا يزال  
موجوداً ولكن بطل استعماله وسد الطريق الذي كان يوصل بينه وبين حوش القلعة بسبب وجود  
الباب الجديد الذي أنشأه محمد علي في سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٦ — ٢٧ ) بجوار الباب القديم  
المذكور والباب الحالي يعرف بالباب الجديد أو الباب العموي أو الباب البحري ونضيف على  
هذا ما جاء عن الباب المدرج في كتاب وصف مصر وخريطة القاهرة الملحقة به التي رسمها رجال  
الحملة الفرنسية سنة ١٨٠٠ .

كان الباب المذكور يعرف في ذلك الوقت بباب مستعقظان وهم طائفة من عساكر الجيش  
العامل وظيفتهم المحافظة على البلاد والدفاع عنها وكان هذا الباب خاصاً بهم وكان يوجد باب آخر  
يقع غربي باب المدرج يسمى باب الإنكشارية وهم طائفة من العساكر التركية أرسلتهم الدولة  
العثمانية للمحافظة على مصر ، وكان هذا الباب خاصاً بهم وكان يوجد خلف باب الإنكشارية من  
الداخل باب آخر يسمى الباب المشرك ؛ لأنه كان شركة بين المستعقظان والإنكشارية يرون  
منه معاً .



وإذ يصل الزائر إلى داخل النطاق العسكرى فى القلعة يأتى قبالة ميداناً فسيحاً تحيط به المخازن والمساكن التى يشغلها المماليك وغيرهم . ويرى أمامه برجاً كبيراً منعزلاً اسمه برج القلعة الذى بناه بيبرس .

وإذا أراد الصعود فوق السور شاهد أمامه القاهرة بمساجدها ومآذنها وقبابها التى شيدها السلاطين والمماليك حديثاً ورأى أيضاً عن يمينه تلال المقطم التى أصبحت القلعة مفصولة عنها بعد ما استبدلوا بأحجارها فاقتلوها من محاربتها وأصبحت بذلك حصناً منيعاً لا يمكن الاقتراب منه من ناحية الشرق .

وقد حاول محمد بن قلاوون أن يحول هذا المنخفض الصخرى إلى بساتين وغازيات لكن أهمل المشروع لما يتكبد من أموال ووقت وعناء .

---

== وفى ولاية محمد على على مصر جدد أكثر أبواب القلعة وأسوارها . ومن ذلك أنه جدد باب الإنكشارية فى سنة ١٢٤٠ هـ ( ١٨٢٥ م ) وهذا الباب لا يزال موجوداً واسكنه سدود البناء مكانه غرب باب القلعة العموى البحرى تجاه باب الدفترخانه القديمة . ولما تبين له أن باب المدرج وباب الإنكشارية لا يصلحان لمرور العربات والمدافع ذات العجل ألشأ فى سنة ١٢٤٢ هـ ( ١٨٢٧ م ) باب القلعة العموى الحالى الذى يعرف بالبوابة العمومية أو الباب الجديد ومهد له طريقاً منحدرة لتسهيل الصعود إلى القلعة والتزول منها تعرف اليوم بشارع الباب الجديد ، وهذا الباب يجاوره من الشرق باب المدرج القديم ومن الغرب باب الإنكشارية وقد بطل استعمال هذين البابين من ذلك الوقت اكتفاء بالباب العموى الحالى . ثم جدد أيضاً الباب الصرك وهو الذى يلى الباب العموى من الداخل وهو بذاته باب السر الذى سماه ابن إياس ( ج ٤ بدائع الزهور طبعة استانبول ) باب السبع حدرات لأن الطريق الذى بينه وبين باب المذب أرضها منحدرة وكان بها قديماً سبع حدرات يفصل بين الحدة والأخرى درجة من الحجر وهذا الباب يعرف اليوم بالبوابة الوسطانية . ويدخل منها إلى الحوش الذى فيه جامع محمد على وجامع الناصر محمد بن قلاوون البوابة الداخلية بالقلعة [ تعليق الأستاذ محمد بك روى بالنجوم الزاهرة ج ٩/٨ ] .

وباب السر المذكور أعلاه كان لأكابر الأمراء وخوفا الدولة كالوزير وكاتم السرونحوها ويتوصل إليه من الصوة . وهى بقية ما بنيت عليه القلعة من جهة القاهرة ، وكان يقع مقابل الإوان الكبير الذى يجلس فيه الساطان أيام الموابك ، وكان يفتح ولا يفتح إلا لمن يستحق الدخول والخروج منه ثم يفتح وهذا الباب هو الذى يعرف اليوم بالباب الوسطانى .

وفي نهاية السور — في النقطة الجنوبية الشرقية — يقف برج ينتهي لديه سور صلاح الدين حيث باب القرافة الذي يطل على الصحراء ، ويظهر أن هذا الباب كان قليل النفع ، ويحتمل أنه بنى في الأصل ليؤدي غرضاً واحداً هو أن يكون منفذا لحماية القلعة والهروب منه إذا هوجمت القلعة وضيق الحصار على المدافعين .

وتصميم بناء هذا الباب عادى وليس على نمط بناء باب سارية .

ولكى يكمل الزائر زيارته عائداً إلى باب سارية . ينبغي عليه أن يمر باب القلعة الذى سمي باسم البرج السابق ذكره . وهذا الباب يصل بين النطابقين: النطاق العسكرى والنطاق السلطانى .

وهذا الأخير يحتوى على مساكن كبار الموظفين فى الدولة كنائب السلطان والوزير ( صاحب ) وغيرهما .

ومن باب القلعة يخرج الاجناد والماليك إلى النطاق السلطانى للعرض العسكرى، والاشتراك فى المواكب والحفلات والاعياد والأحداث الكبرى أو الخروج للجهاد . وإن كانوا يخرجون لتنفيذ مؤامرة لإزالة السلطان عن عرشه أو لإحداث شغب .

والمباني التى يحتوى عليها النطاق السلطانى تدل دلالة واضحة على أبهة الحكم فى عهود السلاطين المماليك — ولا سيما فى أيام محمد بن قلاوون .

ويواجه باب القلعة الجامع الذى بناه هذا السلطان بمئذنتيه الرشيقتين المكسوتين بالقاشاني الأخضر المنقوش بالكتابة الحسنة . ويقع جنوب شرقى الجامع بئر يوسف .

ويتصل الجامع بقصر السلطان من ناحيته الجنوبية ، أما الواجهة الغربية فتطل على الميدان الكبير للإيوان ، هذا الإيوان الذى يمتاز بمقعده الكبير الذى تغطيه

قبة يكسوها الخزف المموه الأخضر وتحمل القبة العمدة العالية ، وقد قيل إن منشئ هذا الإيوان الأصلي كان الملك الكامل ابن شقيق صلاح الدين . بناء على طراز الإيوانات الفاطمية ، ثم جدد قلاوون وابنه فيما بعد . ويلاحظ أن هناك شها كبيراً بين طراز عمارتي الجامع والإيوان<sup>(١)</sup> .

وقبالة الجامع والإيوان وباب القلعة ميدان فسيح يحشد فيه الجند ورجال الحاشية والأتباع في ملابسهم الفضفاضة وعليها أسلحتهم البيضاء ودرقاتهم المستديرة .

ولم يك هناك في هذا المكان شيء يحجب هذه المنشآت عن المدينة ، فكلها عالية شيدت على ربوة تتألف من أرصفة يعلو بعضها فوق بعض . وكانت القصور تكشف إلى مسافة بعيدة من النيل والأهرام .

والقصر الأباقي أول ما يلتفت الأنظار بين تلك المنشآت . في ركنه برج هائل اسمه الخرجاء ، اتصل به عدة قاعات تفضى إلى قصر آخر مقام على نفس الطراز ، وكانت تستند جدرانها على الصخر وإلى أسفلها الإسطبلات بمحاذاة السور الطبيعي للقلعة . وكان هناك درج له أبواب يستخدمه السلطان في النزول إلى الإسطبل دون أن يراه أحد .

أما الزاوية الجنوبية الغربية للقلعة فكان يشغلها قصر الاستقبالات ، ومن بعده إلى الشرق يمر الزائر إلى قصر الحرم السلطاني وكان ملحقا به مبان كثيرة يشغلها الحشم والخدم . وقد امتدت إلى الزاوية الشرقية للقلعة . وكان يتصل الحرم بالقصر بوساطة باب النحاس ، كما يتصل أيضا بالجامع بوساطة باب الستارة ، وقد أقيمت على جانبي القصر القاعات الضخمة التي شيد منها محمد بن قلاوون سبعاً وقد عرفت بالسبع قاعات أو ( السبع حدارات ) وإحداها عرفت بقاعة الفضة .

---

(١) راجع وصف الإيوان في الصفحات السابقة.



ثم شيد فيما بعد السلطان حسن بن قلاوون بالقرب منها قاعة البيسرية وكانت تتوسط تلك القاعات وتحيط بتلك القصور الحدائق الغناء التي تغذيها مياه النيل .

وقد كان في وسع السلطان إذا أراد أن يتخذ الدرج الخاص في قصره ويهبط إلى الإسطبلات ثم يخرج من باب السلسلة فالميدان .

وهذا ما يستطيع أن يشاهده الزائر بعد انتهاء جولته في النطاق السلطانية، ولم يبق إلا دار الضيافة المجاورة للقلعة حيث كان ينزل فيها الملوك الأجانب وسفراؤهم، وكانت تلاصق الباب الرئيسي للقلعة وتجاور الطبلخانة التي سبق الحديث عنها . .

---

## القلعة في أيام العثمانيين

١٥١٧ - ١٧٩٨

حين تلاشت مقاومة المصريين للجيش العثماني ، وطلق العدو ببسط جناحيه على ربوع القاهرة ، نودي في حى الصليبية وقناطر السباع بأن يخلي الأهالي بيوتهم نظراً لأن السلطان سيقصد القلعة للإقامة فيها . فأطاع الناس الأمر واحتل العثمانيون دورهم في الحال .

وبعد أيام ، صعد السلطان سليم إلى القلعة في موكب نفخ ونحواليه جنده . وما انفك أن احتجب عن أنظار الناس ، ولم يجلس على التكة كما جرت العادة من قبل . ومنذ ذلك اليوم أهملت القلعة إهمالاً شائئاً . . .

فقد ربطت الجياد في الحوش لدى الإيوان الكبير وباب الجامع ، وصار روث الخيل أكواما متناثرة على الأرض . وبدأ ديب الخراب يتجول في دورها ويفشى محاسنها . وامتدت الأيدي تتزع رخامها وحلياتها وتمتص ما تضمنته أحشاؤها من نقوش وتحف . . .

فتجردت قاعنا البيسرية والدهيشة والقصر الكبير وما إليها من الأماكن الهامة من بديع رخامها وطرائف زينتها ، وافترق الإيوان الكبير إلى أجل عمده المسلوقة . لا شيء إلا لأن السلطان - غفر له الله - شامت له هويته وإعجابه أن يشحنها إلى استانبول ، عاصمة ملكه ، التي ابتغى أن يخلع عليها زينة وأبهة من أنقاض القلعة خاصة والقاهرة عامة . . .

وباليت الأمر قد قصر على فك نقائس القلعة ونقلها ، بل تمادى أيضاً إلى القصور والمساجد ، بل واستباح حرمت الدور . . . دور الناس الآمنين . فكان إلى القاهرة وهو على رأس جماعة وهم يهجمون على البيوت شبه عصابات اللصوص ، ينزعون منها الرخام والطرائف ، رضى أصحاب البيوت أم لم يرضوا .

وفي الوقت الذي كان هؤلاء يجدون في أعمال النهب والتخريب كان كبار العثمانيين يستلبون الكتب الثمينة من المدرسة المحمودية والمؤيدية والصرغتمية وغيرها من مدارس القاهرة .

ويقضى الأمر بالسلطان — في سبيل تحقيق أمانه — بترحيل عدد كبير من أصحاب الصناعات والحرف المصريين ، إلى استانبول . وبذا حرم مصر من أعمالهم الجميلة التي ازدانت بها القاهرة خلال أيام المماليك . وقيل إن السلطان أرسل بدلا منهم عدداً من الصناع الأتراك .

وشرع السلطان سليم في مبارحة مصر ، عقب أن استطالت إقامته بها ثمانية أشهر إلا أياما قلائل ، كان يتردد إبانها بين القلعة وجزيرة الروضة ، بل وقضى معظمها بالمقياس ، دون أن يحاول ألبة الجلوس على سرير الملك بالقلعة .

وزايل في اليوم الثالث والعشرين من شعبان سنة ٩٢٣ هـ ( ١١ سبتمبر ١٥١٧ م ) بيت ابن السلطان قايتباي ، ومر بالقلعة في موكب زاخر بالعظمة يسبقه ملك الأمراء خير بك . ولم يخترق الموكب قلب القاهرة بل فضل السلطان السير في خارجها .

وسلم مقاليد الحكم إلى الأمير خير بك الذي خان سيده السلطان الغوري وانضم إلى العثمانيين . وما إن تسلم الزمام حتى صعد إلى القلعة في موكب نفخ مخترقا الصليبة بالفجر . وتستولى عليه الرغبة الملحة في إصلاح مبانيها . فيرسل في طلب البنائين والنجارين والمبطلين ليصلحوا ما أفسده العثمانيون .

دأب خير بك على إصلاح القلعة بينما كان العثمانيون دائمي السطو على دور الأربكية فينزعون أبوابها وسقوفها ونوافذها ويحملونها على الجمال ليبيعها في الأسواق بأبخس الأثمان . بل أكثر من ذلك كان جنودهم ينزعون أخشاب طباق القلعة ويستخدموها في إيقاد النار لطهو الطعام .

وكان الأمير خير بك قد أمر قائد جنود الإنكشارية بالصفود بهم إلى القلعة وإحضار مكاحلهم وبنادقهم معهم . فلما وصلوا إلى ثكناتهم أمروا بإدخال تلك



المكاحل والأسلحة في الزردخانة ، كما أمرهم بالإقامة في طباق القلعة وألا ينزلوا إطلاقاً إلى الميدان .

وفي يوم ٢٧ ذى القعدة عام ٩٢٦ هـ ( ٢٠ ديسمبر ١٥٢٠ م ) أخذ خير بك مفاتيح الامكنة التي في القلعة وسلبها لجماعة من الأتراك وطرده البوابين والغلمان ، كما أبطل الطهارة وأقام جماعة من الترك عوضهم ، وأبطل المقرئين الذين كانوا يتلون في القلعة والمؤذنين كذلك .

رأينا الجنود الإنكشارية<sup>(١)</sup> تحمي القسم الشمالى من القلعة خلفاً للباليك ، وبعد زمن شغلت طائفة العرب القسم الجنوبي منها . إلا أن هذا التجاور كان مدعاة لأن يذنب الشجار بين جنود الطائفتين مراراً في القلعة ويتحول منها إلى أحياء المدينة القريبة فيسود المهرج والمرج عدة أيام .

وظلت الطائفتان تضطلمان بأعمال الحامية التركية إلى جانب السلب والنهب والاعتداء ، حتى وصلت الحملة الفرنسية إلى وادى النيل .

وكانت المباني الملحقة بالقسم السفلى من القلعة والمجاورة لباب السلسلة مخصصة لرجال العرب ، أما المباني الأخرى التي تنهض على امتداد الميدان فكانت مقر الباشا ( الوالى ) — ولم يكن هذا القصر على شيء من الفخامة .

فقد وصفه دومايه بقوله : « إن القاعة التي يعقد فيها الباشوات مجتمعاتهم طويلة ووسيلة . بيد أنها خالية من الزينة . عُلقت على جدرانها سبعة تروس سميكة من خشب الساج قيل إن السلطان سليم — وكان قوياً مجيداً للرماية — أصاب الترس واخترق سهمها في مرة واحدة ، وقد كان معروفاً أن السلطان أرسل هذه التروس والرمح ليظهر للمصريين مدى قوته .

---

(١) وقد سمي باسمهم سور الإنكشارية وهو الاسم الذى أطلقه الفرنسيون عليه .

## مسجد السارية ( سليمان باشا )

يقال إنه كان في موضعه جامع قسطة . شيد في الأصل للجنود الإنكشارية ، الذين أمروا بعدم مبارحة القلعة ، حتى لا يصطدموا بطائفة العزب في القسم الأسفل من القلعة . بينما كان مسجد ابن قلاوون قد تهدمت أركانه ، وأهملت أحواله ، وصار لا يصلح لإقامة الصلاة فيه .

وكان هذا المسجد الذي أنشأه بالقلعة الوالي سليمان باشا عام ٩٣٥ هـ ( ١٥٢٨ م ) على طراز مساجد الأستانة . استنبط طرازه من بعض الكنائس البيزنطية — تعلوه قبة كبيرة مكسوة بالقاشاني . قبالتها صحن كبير مكشوف تحيط به أروقة ذوات قباب صغيرة كسيت بالقاشاني أيضاً .

وفي داخل المسجد كتابة تاريخية عن إنشاء هذا الجامع نصها :

قد بنى وعمر الجنب العالى بموك سلطان السلاطين سليمان سلطان بن سليم خان من آل عثمان أدام الله دولته إلى يوم الدين وهو أمير الأمراء المصريين سليمان باشا اللهم اجعله من الفائزين مسجداً لوجه الله المعين طلباً لمرضاة رب العالمين ليعبدوا فيه عبادة الله وكان تاريخه فاركعوا لله مع الراكعين .

( وحساب هذه العبارة بالنقط عام ٩٣٥ هـ ) .

## مسجد أحمد كتنخدة

وقد شيد مسجد آخر بالقلعة في العهد العثماني ، وقد بناه الوالي أحمد كتنخدة ( ١١٠٩ هـ — ١٦٩٨ م ) ، وعلى أحد جدره كتابة باللغة التركية يستدل منها على اسم منشئه وتاريخ إنشاء المسجد وقد بين على خريطة القاهرة التي وضعها رجال الحملة الفرنسية في عام ١٧٩٨ باسم مسجد العزب .

## الوالى إسماعيل باشا التركى

وقد ذكر المؤرخ المصرى عبد الرحمن الجبرتى وأيده دومايه قنصل فرنسا فى مصر أن الوالى إسماعيل باشا التركى ( ١١١١ هـ - ١١١٦ هـ ) نهض بإصلاحات شتى فى مبانى القلعة لاسيما فى زاويتها الجنوبية الغربية حيث سكن الباشوات ، وكذلك زمم قاعة الغورى التى بالبستان . وبني صهريجا بداخل القلعة وأنشأ الحمام البديع بقره ميدان ونقل إلى القلعة حوض رخام كان قطعة واحدة أنزلوه من السبع حدرات .

## رضوان كتنخدا الجلفى

ثم يحىء دوز رضوان كتنخدا الجلفى ، أحد زعماء البكوات فى القاهرة — الذى يتغلب على منافسيه من زعماء الأحزاب الكثيرة التى عرفتها القاهرة فى ذياك العهد ويتحد مع إبراهيم بك ، وبدورهما يضمنان أيديهما مع الوالى د قيور أحمد ، فأزالوا من طريقهم جميع المنافسين بمؤامراتهم .

وتخلصت القاهرة من مكائد الأحزاب وأنانية رجالها ، وأصبحت تحت رحمة اثنين من الأمراء الأقوياء . وسرى ما تم فى القاهرة من الأحداث فى أيامهما لأنها تعطى صورة لهذه العاصمة .

كان لكل من هذين الأميرين متجه يهدف إليه فى رياسته ، فكان إبراهيم صاحب السلطان وقائد الجيوش ومدير السياسة ، على حين كان رضوان مؤلف القلوب وقبلة القصاد ، وكان الأميران على اختلاف اتجاهيهما متآلفين فقضيا فى رياستهما سبع سنين ونيفاً .

فعلى ضفة الخليج المصرى ابتاع رضوان داراً أصلاً بيت التاجر الغنى الشرايى ، وهى التى كان بها العمودان المعروفة ( بثلاثة ولىة ) كانت واقعة على بركة الأزبكية وموضعها اليوم ما يلى حديقة الأزبكية وميدان الأوبرا وكانت تلك البركة آنذاك متنزهاً من متنزهاة القاهرة المحبوبة تحيط بها بيوت أعيان التجار والأمراء ،



فلما اشتراها الأمير رضوان بالغ في زخرفتها وعقد على قاعدتها العالية قباباً عجبية الصنعة منقوشة بالذهب المحلول واللازورد والزجاج الملون . وكانت الأنوار تسطع في هذه القباب في أثناء الليل فيكاد يخطف بهاؤها ورواؤها الأبصار . وكان للأمير فوق ذلك من الناحية الشمالية الغربية من هذه البركة منظره بديعة تطل من الغرب على الخليج الناصري ومن الجنوب على بركة الازبكية ومن الشمال على بركة أخرى استحدثها الأمير بتوسيع مجرى الماء في الخليج بالقاهرة مما يلي قنطرة الدكة وأنشأ في صدر البركة مجلساً خارجاً ، بعضه على عدة قناطر لطيفة وبعضه داخل البغيط المعروف ببغيط المعدي وبواسطه بحيرة تملأ بالماء من أعلى وينصب منها إلى الحوض من أسفل ويمجرى إلى البستان لسقي الأشجار ، وابتنى قصراً آخر بداخل البستان مطلاً على الخليج ، فكان يتنقل في تلك القصور التي نسقها أبدع تنسيق . وقصارى القول أن قصور رضوان كانت تتألق دواما بالأنوار الساطعة ويخضع عليها الفن المصرى آيات الروعة والإبداع ، وتجتمع في أبنائها هامات العصر من الأدباء والعلماء . فلا غرو أن افتن الشعراء في مدح رضوان ، وفي العمل على الاتصال به . من هؤلاء عبد الله بن سلامة المعروف بالإدكاوى نسبة إلى بلده التي ولد فيها ( إدكو ) ومصطفى اللقيمي والسيد السديدي وقاسم التونسي وغيرهم . فقد امتدحه هؤلاء جميعاً وأنشؤا فيه المقامات والتوشیحات ورأينا الإدكاوى يجمع كل ما قاله الشعراء في هذا الأمير ويتخذ منه مجموعة يسميها ( النوائح الجنانية في المدائح الرضوانية ) ولا يكاد يوجد شاعر في ذلك العصر لم يتصل بالأمير رضوان ، إلا أن رضواناً قد أضله ما هو فيه من نعمة فترك أمر البلاد واتبع طريق الشهوات وجاهر بالمعاصي .

ظل الأميران يقبضان على دفة الحكم في البلاد ، حتى أنعم الأمير إبراهيم برتبة البكوية على أحد رجاله ، فشق ذلك على إبراهيم بك الشركسى ، ونمت بينهما الضغائن حتى قتله بيده فأصبح الأمير رضوان شيخ البلد وحده إلى أن ظهر شأن عبد الرحمن كتبخدا الإنكشارية فأخذ يعرضد ممالك الأمير ويقربهم على أمراء رضوان والقضاء على سلطته فتنبه هذا الأخير لذلك واستولى على القلعة وبعض أبواب أحياء القاهرة وجامع المحمودية وجامع السلطان حسن واجتمع إليه أغلب

أمرائه وكادت تتم له الغلبة لولا أن سعى إليه الأمير عبد الرحمن كتمخدا وأعوانه لإجراء الصلح وطلع بهم إلى الأمير رضوان وخدعوه بكلامهم فحسنت نيته وسلم بنصحهم .

وعقب أن نزل إلى داره من « قوصون » اغتتم أعداؤه الفرصة وبيتوا أمرهم ليلاً ، واستولوا على القلعة وبعض الأبواب ، بينما كان رضوان آمناً في بيته ، فلم يشمر إلا وهم يطلقون عليه المدافع . وكان الحلاق يحاق له رأسه فسقطت الجلال على داره فأمر بالاستعداد ، وطلب من يعتمد عليهم فلم يجد أحداً منهم يقف بجانبه فحارب فيهم إلى قرب الظهيرة حتى أصيب في ساقه برصاصة من مملوكه الصغير (صالح) الذي لاذ بخصومه . ولما أصيب رضوان طلب الخيل وخرج من ثقب في جدار بستانه ، والى قاصداً البساتين فلم يتبعه أحد ونهبوا داره . ثم التجأ إلى قرية الشيخ عثمان بالصعيد حيث مات بشرق أولاد يحيى ودفن فيها عام ١٧٥٤ .

وعمر رضوان بك باب القلعة بالرميلة ، وهو الباب المعروف بباب العزب (١) وعمل حوله هاتين البدنتين العظيمتين الباقيتين والزلافة التي كانت موجودة إلى أواخر أيام محمد علي .

## الوالى محمد يحيى باشا

( ١٢٠٠ هـ - ١٧٨٥ م )

وكانت القلعة ، في ذياك العهد ، شبيهة بالمدينة المستقلة ، تتمتع بعزلتها — لها مساجدها وميادينها وبيوتها وحماماتها ومقابرها . فيها بيت المال وسكن الباشا وفرقة جنود الإنكشارية .

ولما كانت الحامية العسكرية العثمانية تتصل في هذا العهد بالقلعة أوثق اتصال لسكن أفرادها في ثكناتها مع أتباعهم ، وكان لكبار ضباطها كلمة مسموعة في حكم البلاد ، فقد رأينا أن نورد عدة صفحات للكلام عن هذه الحامية .

---

(١) هو باب السلسلة قديماً .

## الحامية العثمانية والأوجاقات السبعة<sup>(١)</sup>

كانت مهمة الحامية العثمانية بمصر الدفاع عنها والاشتراك في حروب السلطان . وكذلك كانت لها اختصاصات أخرى غير حربية . فهي تساعد الباشا والصناجق (حكام المحافظات والأقاليم من الأتراك والأمراء المصريين) في توطيد الحكم العثماني في مصر . وفي الوقت نفسه تراقب الباشا والصناجق وتوازن سلطتهم . وكان رؤساء الحامية يحضرون اجتماعات ديوان القاهرة . وهم كهيئة رسمية لهم كلمة مسموعة في إدارة البلاد ويتضح ذلك فيما كانوا يقدمونه من المطالب إلى الباشا إذا ما أحسوا منه خروجاً على العرف القديم . وكلما فكروا في استحداث قاعدة جديدة يعدلون بها نصوص قانون سليمان . وكذلك كان رجال الحامية العثمانية يشتركون في صيانة الأمن في القاهرة ، ويسامون في حكم الأقاليم وفي جميع الأموال الأميرية .

والحامية العثمانية في مصر اشتملت على عناصر مختلفة . فهي كانت تضم أخطا من العسكر من العثمانيين والمماليك والعرب والشوام والمغاربة . وبالتدريج أخذ عنصر المماليك في الحامية يقوى على حساب العنصر العثماني . وكان عدد الحامية يتراوح بين ١٢ ألفاً و ١٥ ألفاً<sup>(٢)</sup> وكانت مقسمة إلى سبعة أوجاقات ( فرقة من الجند ) وهي :

المتفرقة والجاوشان والكوكليان والتفنجكيان والجراكسة والمستحفظان أويكشيجهزيان والعزيان . وكان لكل أوجاق أغا أي رئيس وكتعدا . وباش اختيار أي رئيس القدماء فيه . وجماعة الاختيارية . والجوريجية أي الضباط .

---

(١) المجلد في التاريخ المصري — تأليف بعض هيئة التدريس بكلية الآداب جامعة القاهرة ص ٢٥٥ — عام ١٩٤٢ .

(٢) مثال لعدد وحدات الحامية العثمانية في مصر في سنة ١٠٧٤ هـ ( ١٦٦٤ م ) ويوضح أهمية أوجاق مستحفظان ٣٢٦٥ متفرقة — ١٢٦٩ جاوشان — ١١٥٤ كوكليان — ٩٠٧ تفنجكيان — ٨٣٣ جراكسة — ٨٩٩ مستحفظان — ١٣٥٦ عزيان — مجموعها ١٣٦٧٣ .

( م هـ — قلعة الجبل )



وكاتب يمثل الأوجاق في ديوان الروزنامة لكي يساعد في صرف مرتبات الأوجاق ولنعرض بشيء من الإيجاز لهذه الأوجاقات كل على حدة .

١ — أوجاق متفرقة (١) : أهم أعمال هذا الأوجاق حفظ القلاع التي تحيط بمصر مثل قلاع الاسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور وأسوان وأبريم . ولكل من هذه القلاع طوائف من المتفرقة المشاة والفرسان والطوبجية مع جماعة الأطباء وناخبي البورى والمعماريين وللنجارين . ويشرف هذا الأوجاق أيضاً على تشييل القوافل ، ونقل الغلال ومختلف البضائع والمهمات بين الصعيد والقاهرة والسويس ويتولى هذا العمل قافلة باشى ، أى رئيس القافلة . وكذلك يعنى أوجاق المتفرقة بجمع البارود اللازم لشئون الدفاع عن مصر الذى يرسل جانب منه إلى السلطان .

٢ — أوجاق جاوشان ( جمع جاويشية ) : كان العمل الرئيسى لهذا الأوجاق تحصيل الاموال الاميرية من الملتزمين وتوريدها إلى خزينة الروزنامة ومن واجبه أيضاً الإشراف على شئون الغلال الاميرية . وكان المحتسب فى العهد العثمانى من رجال الجاوشان . وتناخص اختصاصاته فى الإشراف على الأسواق وضبط الموازين والمكايل وتسعير المواد التجارية وضبط الأمن .

٣ — أوقاجات كوكلويان وتفتكيان وجراكسة (٢) كانت هذه الأوجاقات من فرقة الاسباهية أى الفرسان ، ويشرف كبارؤها على الباشا ومنهم أغلب رجال الضبط وهم يشرفون أيضاً على حكم الأقاليم عن طريق من يقيم بها من رجال هذه الأوجاقات من الجورجية والمتولية (٣) وحكام الأقاليم لم يكونوا يبتون فى أمر إلا بعد مشورتهم ، وكان الباشا ينص عليهم فى كل فرمان يصدره متعلقاً بحكم الأقاليم

---

(١) متفرقة فى الأصل التركى تدل على أنهم كانوا أصحاب نوع من الإقطاعيات .

(٢) كوكلويان أى المتطوعون وتفتكجيان أى حملة البنادق وجراكسة هم المالك الذين طلبوا إلى السلطان سليمان الانخراط فى سلك الحماية العثمانية .

(٣) الجورجى الحائز لرتبة عسكرية تعادل اليوزباشى وتأتى بمعنى الكبير من رجال الحفظ فى الأرباب أو عين من أعيان النصارى فى الأرياف ، والمتولية أى الذين يتولون الإشراف على الأمن فى الأقاليم .

ومن أعمالهم أيضا المحافظة على الجسور ومساعدة الملتزمين في تحصيل الأموال من الفلاحين .

٤ — أوجاق مستحفظان (١) . وهؤلاء هم الإنكشارية ، وكانوا أقوى الأوجاقات وأكثرها عددا ، وعرفوا بأوجاق السلطان ومهمتهم مساعدة الباشا في تنفيذ أوامر السلطان : كما كانت لهم رقابة عليه ، ومنهم طائفة من كبار أصحاب المناصب مثل كتبخدا الباشا في بعض الأحيان ، وأغا الإنكشارية الذي كانت له الرياسة العليا على ضبط مدينة القاهرة .

وكذلك سردار الحج ( أى قائد القوة العسكرية المرافقة للحجاج ) وسردار الخزينة ( قائد القوة المرافقة للخزينة المرسلة للسلطان ) .

٥ — أوجاق عربان ( رجال البحرية من حملة البنادق ) : كان لرجال هذا الأوجاق عدة اختصاصات ، فمنهم بحارة ترسانة الإسكندرية والسويس . وكان من رجاله أمين البحرين ، وهو المشرف على ساحل بولاق ومصر القديمة ، فيما يتعلق بالسفن وبالضرائب المفروضة على الغلال الواردة على هذين الساحلين ، وكذلك كانت لهم اختصاصات بوليسية فتألف منهم مرا كز البوليس بالقاهرة ، ويشرفون أيضاً على الملاهي والبهلاوانات والحواة والبغايا .

ولم تعرض مصر طوال العهد العثماني حتى قدوم الحملة الفرنسية لخطر الاعتداء من الخارج ، وليس معنى ذلك أن قوات الحامية العثمانية ظلت راكدة ، ولم تشارك في أية حروب في أثناء هذه القرون ، فالجيش العثماني المملوكي اشترك في حروب السلطان في أوقات وفي ميادين مختلفة ، فمثلا عندما هاجم الصدر الأعظم أحمد كوبريللي جزيرة كريت اشتركت الحامية العثمانية المصرية في هذه الحروب ، وأرسلت قوة من ألفي جندي .

---

(١) مستحفظان أى رجال الحفظ ويسمون بكيجريان أى المعسكر الجديد .

وانتهى ذلك الهجوم بانتصار العثمانيين بانتزاع كريت من أيدي البنادقة في سنة ١٦٦٩ وفي أثناء الحروب الطويلة بين الدولة العثمانية والنمسا في النصف الثاني من القرن السابع عشر اشترك الجند العثماني المصري في هذه الحروب في أكثر من ميدان . فأرسلت على دفعات قوات إلى رودس وأدرنة والقسطنطينية وسالونيك وبلغراد ، وفي الحرب الروسية التركية التي وقعت في عهد كترين الثانية في النصف الثاني من القرن الثاني عشر اشتركت فرق من الجند العثماني المملوكي في هذه الحرب . ووصلت حتى رومانيا .

---



## القلعة في أيام الفرنسيين

١٧٩٧ — ١٨٠١

هزم الفرنسيون في معركة ( أبو قير ) الحربية ، ولكنهم اقتصروا على الممالك في معركة ( إمبابة ) . ودخل نابليون القاهرة في الرابع والعشرين من يوليو عام ١٧٩٨ ، وجعل مقر رئاسة الجيش العامة في قصر محمد الآلاني بخط الساكت ( فندق شبرد اليوم ) .

وفي السابع والعشرين من سبتمبر في العام ذاته ، أمر الفرنسيون أهل القلعة بمبارحة منازلهم والنزول إلى المدينة للسكن فيها ، وأصعدوا إلى القلعة مدافع ركزوها بعدة مواضع ، وهدموا أبنية كثيرة ، وشرعوا في بناء جدر وكراتك وأسوار وقوضوا أبنية عالية . وأعلوا مواضع منخفضة وغيروا مواضع القلعة وأبدلوا محاسنها ومحو ما كان بها من معالم السلاطين وآثار الحكماء والعظماء وما كان في الأبواب العظام من الأسلحة والدروق والبلط والحراب الهندية وهدموا قصر صلاح الدين .

هذا ما نقله عن مؤرخ هذه الحقبة . عبد الرحمن الجبرتي رحمه الله .

ثم نراه يقرر — فيما بعد — أن مباني القلعة قد ضاقت بسكانها مما جعل أحد الفرنسيين ينقل سكنه إلى جامع السارية بعد ما نقلوه إليها من العتاد والغلال والذخائر والأحطاب مع ما هدموه من أمانتها وسووا أبواب الميدان واقتصروا على باب السبع حدرات في النزول والطلوع إلى الميدان المذكور .

وأخيراً حينما يسوء حال الفرنسيين في مصر بعد هزيمتهم قبالة الإنجليز في معركة كانوب ( الإسكندرية ) التي دارت في ٢١ مارس ١٨٠١ يعقد مجلس حربى بقيادة الجنرال بلياز في القلعة ويقوم بينهم شارحا موقف الجيش الفرنسى وكان ميالا إلى التسليم فيعارضه بعض أعضاء المجلس .

وتنتهى المفاوضات بين ممثل الإنجليز والفرنسيين بالاتفاق على جلاء الجيش

الفرنسي عن القاهرة وقلاعها وقلاع بولاق والجيزة وعن جميع الجهات التي تحتلها القوات الفرنسية في مصر . وحدد للجلاء عن القاهرة وبولاق اثنا عشر يوما على أن يتم الجلاء في أقرب وقت بحيث لا يزيد على خمسين يوما بعد يوم التصديق على الاتفاق .

أخلى الفرنسيون قلعة الجبل وباقي الحصون وانتقلوا إلى الروضة وقصر العيني والجيزة استعداداً للرحيل من رشيد ودخل الجنود العثمانيون القاهرة في ١٤ يوليو سنة ١٨٠١ .

ثم أخلى الفرنسيون قصر العيني والروضة والجيزة وأقلعت سفنهم إلى رشيد . وبذلك تم جلاؤهم عن القاهرة وضواحيها وأخذوا معهم رفات الجنرال كليبر . وساروا من رشيد إلى أبي قير وأبحرت بهم السفن في أوائل أغسطس عام ١٨٠١ إلى فرنسا ، ثم وقع الجنرال مينو اتفاقية الجلاء النهائي عن وادي النيل يوم ٣١ أغسطس ، وبجلاء الفرنسيين بعد احتلال ثلاثة أعوام وشهرين طويت صحيفة احتلالهم وبدأت تتنازع السلطة في مصر ثلاث قوات : الأتراك والإنجليز والمماليك . وظهرت قوة رابعة على مسرح النضال السياسي هي : الشعب المصري .

\*\*\*

بدأت القلعة المجيدة التي وصلت إلى ذروة المجد في أثناء حكم السلاطين المماليك تفقد بالتدريج مكائنها الرفيعة نتيجة لإهمال حكامها من الولاة الأتراك الذين كانوا لا يستقرون بالبلاد مدة حتى تصلهم أوامر الباب العالي بالعودة أو بتقلد ولاية أخرى أو ربما فصل الرأس ، ولم يكد ينتهي القرن السادس عشر حتى آلت أكثر منشآت قلعة الجبل إلى أحضان الخراب . ولما زار الرحالة سافاري (Savary) القلعة في خلال القرن الثامن عشر ( ١٧٧٧ — ١٧٧٩ ) قال عنها :

« إنها لا تتألف إلا من مجموعة خرائب وأنقاض تلوح عليها علام الحزن ، ولم يتبق منها سوى بعض أما كن قليلة صالحة للسكنى » .

وبما يذكر أنه كان يقام بالقلعة ، إبان الحكم التركي ، المهرجانات الرسمية لاستقبال الولاة ، أو حفلات الأعياد القومية والدينية كغرة شهر رمضان والمولد النبوي ووقاء النيل .

وفي أول المحرم عام ١٢٠٠ هـ ( ١٧٨٥ ) وصل محمد باشا يكن الوالى الجديد ، وقد تمياً له في الفترة القصيرة التي قضاها في مصر أن يعمر قصراً ويترك أثراً يتحدث عن عمارته . . . فعلى مقربة من باب الجبل إلى داخل الحائط تقرأ كتابة باللغة التركية يستدل منها على بنائه قصراً في الجهة الجنوبية الشرقية من القلعة . وقد أطلق على هذا الجزء كلمة ( سراى ) لدى وصول الحملة الفرنسية ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) . وخير وصف لحال القلعة ، حينما وصل إليها الفرنسيون وصعدوا إليها واتخذوها قاعدة لعملياتهم في القاهرة ما نوره بعد <sup>(١)</sup> :

تنقسم قلعة القاهرة إلى قسمين : القسم الأعلى حيث يقيم جنود الإنكشارية على ارتفاع مائة متر تقريباً من سطح النيل ، والقسم الأسفل حيث يقيم جنود العرب ويفصلهما عن بعض سور . وفي داخل القسم العلوى سور صغير يلف حول برج صغير اسمه خزانة القلعة ، وبرج الإنكشارية أقوى أبراج القلعة ، أما برج يوسف فيوجد في جهة أخرى خلف القسم العلوى ، كما أن هناك سوراً آخر يطلق عليه سور الأغا .

---

(1) Le Description de l'Egypte Vol. XVIII, deuxième Partie.  
Page 282-283.

## القلعة في أيام محمد علي وخلفائه

١٨٠٥ — ١٩٣٦

مرت أعوام أربعة ، بين جلاء الفرنسيين وتولية محمد علي على مصر ، لم تنعم البلاد خلالها باستتباب الأمن وأسباب السلام . .

وتتوالى الأحداث سراعاً . فيحاصر الشعب المصري القلعة ، ويدعون الوالى خورشيد باشا لما آل إليه أمره ، ويضطر لتسليمها صاغراً ، في يوم الاثنين ٥ أغسطس سنة ١٨٠٥ ( ٩ جمادى الاولى سنة ١٢٢٠ هـ ) ، وينزل الوالى حريمه وأتباعه وجنوده في اليوم التالى من باب الجبل إلى باب النصر فبولاق . ويتقدم محمد علي وبصحبه بعض الزعماء ويشدون على يديه مودعين ، على ظهر السفينة التى أقلته إلى الإسكندرية .

ويخلو الجو ، ويصبح محمد علي والى مصر ، ويرنو إلى أفق المستقبل بعين ملؤها الأمل والثقة . ويبدأ فى تنفيذ خطته الكبيرة .

وتشاء الظروف أن ينتقل محمد علي إلى القلعة ويتخذها معقلاً له ومقرّاً . حين شبت فى القاهرة فتنة الجند الأرناؤود . ومنذ ذلك اليوم ، بدأ النشاط يسرى فى كل ركن من أركانها .

فقد أصلح أسوارها ، وأحيا أبراجها وأبوابها ، وشيّد فيها ثكن الجند ، ودواوين الحكم ، ومصانع الذخيرة ، ومدارس الجيش ، وقصوراً للسكنى ، كما أمر ببناء مسجد .

ومن ثمّ تنتقل إلى عرض منشآت محمد علي فى القلعة ، على حسب تاريخ عمارتها .

دار الضرب :

تقع هذه الدار شمال شرق ديوان الكتخدا (قاعة العدل) وشرق جنوبى مسجد محمد علي . وهذه القاعة أنشئت أصلاً فى عام ١٧٠٩ م ، وظلت باقية إلى أن جدها محمد علي عام ١٨١٢ ، وأثبت هذا التجديد فى لوح رخامى ، على بابها الوسطى ، ونصه :



د جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد علي باشا والى مصر حالا .

ودار الضرب بناء مستطيل له فناء مكشوف ، أحدثت به حجرات متجاورات  
يعلوها قباب مبنية بالطوب فتحت بأعلامها مناور . ويتوسط الفناء غرفة بيضاوية  
الشكل مقامة بالحجر .

ويرى إلى الآن بعض الغرف التي كانت بها آلات الضرب .

وما يذكر أن هذه الدار كانت تجمع عددا كبيرا من الصنائع أوفى في سنة ١٨١٢  
على خمسمائة صانع .

قصر الجوهرة:

يقع هذا القصر جنوبي مسجد محمد علي . وكان موضعه أبنية قديمة بناها الملك  
الأشرف قايتباي والسلطان الغوري . وقد نسب المؤرخ الجبرتي إلى محمد علي هدمها  
ضمن حوادث عام ١٨١٢ . فقد ذكر :

« أن محمد علي ، هدم سراية القلعة وما اشتملت عليه من الآما كن . فهدم  
المجالس التي كانت بها والدواوين وديوان قايتباي وهو المقعد المواجه للداخل إلى  
الحوش علو السكّار الذي به الأعمدة وديوان الغوري الكبير وما اشتمل عليه من  
المجالس التي كانت تجلس بها الأفندية والقلفاوات أيام الدواوين ، وشرع في بنائها  
على وضع آخر واصطلاح روى وأقاموا أكثر الأبنية من الأخشاب .

والمدخل الرئيسى للقصر في الجهة الشرقية أمامه مظلة محمولة على عمد رخامية  
ومكتوب على أعلى الباب « يامفتح الأبواب افتح لنا خير الباب » سنة ١٢٢٨ هـ .  
ويفضى هذا الباب إلى طرقة كبيرة بها عقود حجرية تنتهى إلى سلم فباب كبير  
مكتوب عليه بالخط الفارسي « الله ولي التوفيق » ، ١٢٢٩ هـ .

وعلى يسار هذا المدخل أبنية تسودها البساطة متصلة بديوان الكتبخدا ، وبنياته  
الشرقية البحرية قاعة مستطيلة لها سلم مزدوج يوصل إلى الميدان الواقع أمام دار  
الضرب ومكتوب على أحد أبواب هذا الجناح « من آمن بالقدر أمن الكدر » ،  
١٢٢٩ هـ وكان هذا الجناح مخصصا للوظفين .

أما قصر الجوهرة فكان مخصصاً لاستقبالات محمد علي وبه قاعة كبيرة عرفت بصالة العرش يتوصل إليها من الباب الأوسط المكتوب عليه « الله ولي التوفيق » وحجرة العرش أو الفرمانات أكبر حجرة بالقصر بجدرانها بقايا نقوش وسقفها على شكل بيضاوى به نقوش مذهبة تمثل آلات حربية وموسيقية تتوسطها سرة خشبية مذهبة بها مجموعة من الفواكه وهي تشرف على ميدان صلاح الدين .

ويحتوى القصر على عدة غرف كبيرة وصغيرة ولها أبواب تصل إلى القاعة الكبرى التى نقش على أعتابها صور لسفن الأسطول ، وعلى أعتاب هذه الغرف نقش صور سفن حربية ، وبالحلة الشرقية يوجد حمام فرشت جدرانه وأراضيه بالرخام المستورد من محاجر بنى سويف وبه حوض رخامى من قطعة واحدة .

وقد زار محمد علي فى هذا القصر كثير من الأعلام المشهورين منهم الأديب الفرنسى «شاتوبريان» والكرونت «دى فور بان» الذى وصف فى كتابه مدينة القاهرة كما وصف حفلة استقبال ( ١٨١٧ — ١٨١٨ ) فى القصر . ولما زار مصر السلطان عبد العزيز عام ١٨٦٢ احتفل به الخديو إسماعيل احتفالاً كبيراً ، وأقام بهذا القصر سبعة أيام (١) .

#### الدفترخانة ( دار المحفوظات ) :

شيدت دار المحفوظات على أنقاض طبليخانة بيرس وتقع خارج الباب الجديد إلى اليمن ، وقد أمر محمد علي ببنائها فى عام ١٨٢٨ ( ١٢٤٤ هـ ) ووجهاتها مبنية بالحجر ، والباب الاصلى لهذه الدار يعلوه لوح رخامى مكتوب باللغة التركية .

ويعلو هذا اللوح سبع كوابيل تحمل « خارجة » حجرية بها ثلاث نوافذ تفتى من أعلى بكورنيش هرمى .

ويؤدى الباب العمومى إلى طريقة معقودة تنتهى إلى فناء مكشوف تحيط به عقود استعمل ظهرها ممراً حول الحوش ينتهى بسور فتحت به المزاغل . وبالحلة الشمالية للفناء باب آخر يوصل إلى فناء داخلى أحدها به العقود الحجرية خلفها عمارات

---

(١) حسن عبد الوهاب — مجلة المارة ، العددان ٣ و ٤ عام ١٩٤١ ص ٢٨ — ٣٢

معقودة على جانبيها غرف أعدت للمحفوظات يعلوها دورتان . وطراز دار  
المحفوظات من طراز السور الشمالى الممتد من الباب الجديد إلى شارع الحجر بما فيه  
الباب المسدود .

### قصر الحرم :

يقع هذا القصر فى داخل قلعة صلاح الدين ويشرف على جبل المقطم والخطابة  
وقد أمر محمد على بإنشائه فى عام ١٨٢٧ م ويتألف من أجنحة ثلاثة .

فالجنح الشرقى ويصل إليه من باب معقود بواجهته القبلىة مكسو بالرخام  
الابيض عليه زخارف بارزة ولوح رخامى به كتابة تركية .

ويفضى هذا الباب إلى دركاة بها صفوف وعقود حجرية على يسارها حجرة  
للحارس . وهذه الدركة تؤدى إلى فناء مربع يحده السور الشمالى باب به دركاة على نسق  
السابقة توصل إلى فناء آخر تشرف عليه واجهة القصر ، على امتداد الجناحين  
الآخرين . ويحيط بهذا الفناء أبنية مكونة من طابقين .

وواجهة هذا الجناح مؤلفة من ثلاثة أدوار .

وقد نقش الجدر الداخلى برسوم زيتية ملونة تمثل جواسق وستائر وأفارين  
وزخارف شجرية فيها بعض الزهور .

والقصر يشتمل على غرف كبيرة نقش جدرها وأسقفها بنقوش جميلة بعضها  
مذهب .

وهناك سلم مزدوج يوصل من الدور الأرضى للعلوى — وهنا يوجد الزائر  
ردهة كبرى بها أربع إيوانات فى بعض أركانها بابان لغرفتين — وفى بعضها غرفة  
وطريقة توصل إلى باقى أجزاء القصر .

وهذه الردهة أبهى ما فى الجزء الشرقى من القصر ، وكذلك حجرة الفسقية  
الموجودة بالطرف الشرقى البحرى منه .

والنقوش التي تعلو جدر الغرف تدور حول مناظر الزهور فيما عدا السقف  
فزخرفته هندسي الشكل .

## الجناح الأوسط

يتوصل إلى هذا الجناح من حديقة الواسعة التي تبلغ مساحتها  $٧٠ \times ٥٧$  متراً  
تقريباً . أحيطت بتكايب الكرم تتوسطها نافورة معلوها جوسق . وتطل على  
الحديقة واجهة القصر ويتوسطها باب كبير ركب عليه مصراعان عليت حشواتهما  
بنقوش بارزة — وهذا الجناح يحتمل أنه كان المدخل الرئيسي للقصر — ويؤدي  
الباب إلى سلم مزدوج يوصل إلى الدورين العلويين ، والدور الأرضي يحتوي على ردهة  
كبيرة بكل ركن من أركانها غرفتان ، وجدرها محلاة بصور زيتية وكذلك  
الأسقف . ويوجد بهذا الدور حمام يتألف من طرقة مستطيلة مغطاة بسقف جصى  
حلى بزجاج ملون ، ثم باب أول وهي غرفة مقسمة إلى إيوانين بينهما درقاعة يغطي  
الجميع سقف جصى من الزجاج الملون وواجهة كل من الإيوانين محمولة على عمد  
رخامية قواعدها مربعة ومطعمة برخام أحمر اللون .

والقسم الداخلى (بيت الحرارة) يوصل إليه من باب بالغرفة الأولى على جانبيه  
نافذتان لتوصيل الملابس منها وهو مقسم إلى أقسام أكبرها أوسطها، يغطي الجميع  
سقف جصى بتقاسيم زخرفية، والسقف محمول على عمد رخامية وبالصدر حوض  
رخامى كبير من قطعة واحدة

ومن السلم المؤدى يصل المرء إلى الدور الثالث وينتهى إلى ردهة كبيرة تبلغ  
مساحتها  $٢٦ \times ١٤$  متراً تقريباً بها أربعة إيوانات مقاس بعضها  $١٣ \times ١٠$  متر  
تقريباً . والسقف والجدر مزخرفة ومنقوشة بالصور .

## الجناح الغربى

يمتد سوره الخارجى مع الجناح الأوسط — ويصل إليه من باب فى السور  
القبلى — يوصل إلى فناء كبير مساحته  $٧٥ \times ٦٠$  متراً تشرف عليه واجهة الجناح  
المتصلة بباقي الواجهات . ويتوسطها باب يوصل إلى القاعة الكبرى بالدور الأرضي



والى السلم المزدوج — وتصميم هذا الجناح يماثل تقريبا تصميم سابقه وله واجهة أخرى تطل على مدخل القلعة . وقد طرأ عليه تغيير كبير إذ أبدلت بسقفه أخرى حديدية فأزييت زخارفه .

وجميع أجزاء القصر يتصل بعضها ببعض — كما أن بفناء كل جناح سوراً به باب يوصله بالجناح الآخر<sup>(١)</sup> .

#### دار الصناعة :

لعل هذه الدار كانت أهم منشآت محمد على العسكرية بالقلعة . . . فقد كانت الصناعة في مصر محصورة قبل محمد على في نسج الكتان والصوف والنجارة والسبك وصناعة الحصر وما إليها من الصناعات المختلفة . فلما تولى محمد على بدأ بالتقاط من تبقى من أرباب الصنائع وحشدهم في القلعة سنة ١٢٢١ هـ ( ١٨٠٦ م ) وجمع لهم ما في المخازن من الخشب والحديد فشرعوا في صنع آلات الحرب وصب المدافع وما يلزمها من العجلات والعربات .

ومع إنشاء محمد على للصنائع الحديثة أوفد البعثات من نجباء التلاميذ المصريين إلى أوروبا لإتقان الصناعات حتى تستغنى البلاد بهم عن اليد الأجنبية .

أنشأ محمد على في القسم الجنوبي من القلعة دار صناعة كبرى تضم مصانع متنوعة أهمها مصانع للأسلحة الخفيفة ولطرق النحاس والصب المدافع ونسج القوسان ورماحهم واللجم والسروج وملحقاتها وصناديق الذخيرة وغيرها .

وكانت هذه المصانع تمتد من أسفل قصر الناصر بن قلاوون إلى باب العزب . وما زالت آثارها إلى اليوم تشغلها ورش وبعض مخازن مصلحة الأسلحة والمهمات .

قبل بدء إنشاء دور الصناعة بالقلعة كان بها في عام ١٨٢٣ مصانع تافهة ، بيد أن من المؤكد أن أرجاءها قد اتسعت عام ١٨٢٧ . وكان أهم مصانعها وأكثرها نشاطاً معمل صب المدافع الذي كانت تصنع فيه كل شهر ثلاثة مدافع أو أربعة عيار

(١) حسن عبد الوهاب — مجلة العمارة ج ٣ و ٤ ص ٣٨ — ٤١ .

ثمانية أرتال ، وصنعت فيه مدافع الهاون ذات الثماني البوصات ومدافع قطرها ٢٤ بوصة .

وقد أشرف على إدارة هذه المصانع اللواء إبراهيم أدهم باشا ، وكان يعمل فيها تسعمائة صانع ينتجون شهرياً من ٦٠٠ إلى ٦٥٠ بندقية ، وقد بلغ تكاليف البندقية الواحدة ١٢ قرشا . وكان لرؤساء الصناعات مرتبات ثابتة وللعمال أجور يومية

ولما زار الماريشال « مارمون » دار صناعة القلعة عام ١٨٤٤ أعجب بنظامها وأعمالها وقد قال عنها : بما أعجز عن توفيته حقه من المدح مصنع الأسلحة الذي يبدع من هذه الأسلحة أكثرها استجماعاً لضروب الكمال والإتقان . والمعامل من هذا القبيل في مصر ثلاثة . زرت منها معمّل القلعة باحثاً مدقّقاً منتقداً . فرأيت أن الأسلحة التي تصنع قد جمعت وسائل الإتقان المتوفرة فيما تصنعه معاملنا من نوعها ، والنوع الذي يصنع فيها منقول عن الطراز الفرنسي — وجميع الاحتياطات الكفيلة بجودة هذا السلاح تتخذ في معاملنا سواء — وقد اتبعت فيها طريقة توزيع العمل والمراقبة المتبعة في معاملنا . فإن كل شيء يعمل بالقطعة وفقاً للنظام المقرر . وخلاصة القول فإن معمّل السلاح الذي زرتة يناظر أحسن معامل فرنسا وأرقاها نظاماً وجودة وأكثرها رعاية لأصول الاقتصاد (١) .

## جامع محمد علي

رأينا محمداً علياً قد شيد في القلعة القصور ودواوين الحكم والمدارس ودار الضرب ثم أصلح أسوارها وعمراً أبراجها ، وسنراه يشيد مسجداً لأداء الفرائض وليكون له المقر الأخير ، فعهد إلى المهندس التركي يوسف بوشناق بوضع تصميم له فوق اختياره على مسجد السلطان أحمد بالاستانة واقتبس منه مسقطه الأفقي . أفيه الصحن والنافورة مع تعديلات قليلة .

شرع في بناء الجامع سنة ١٢٤٦ هـ ( ١٨٣٠ م ) واستمر العمل سائراً بلا انقطاع حتى توفي محمد علي سنة ١٢٦٥ هـ ( ١٨٤٩ م ) فدفن في المقبرة التي أعدها

(١) كلوت بك — لحة عامة في مصر ج ٢ ص ٤٥٤ — ٤٥٥ .

لنفسه بداخل الجامع — وكان بناؤه كاملاً من أسوار وقياب ومنازل وكتابات  
فعلوا الشبايلك الخارجية .

ولما تولى عباس الأول نهض المهندسون بأعمال النقش والتذهيب وبعض  
أعمال الرخام بالمسجد . ثم أمر بعمل تركيبة رخامية ومقصورة نحاسية . ثم عني  
بالمسجد سعيد . كما اهتم الخديو إسماعيل بعمل له أبواباً حديدية بساعات نحاسية  
وأحاطه بأسوار وأنشأ له دورة مياه ، ثم عني به توفيق سنة ١٨٧٩ فأمر بإصلاح  
رخام الصحن وإعادة رصاص القباب .

وفي حوالى عام ١٩٣١ ظهر خلل بالجامع فوضع مشروع لإصلاحه .

وانتهى الأمر بإزالة قبة الجامع الكبيرة وما حولها من أنصاف قباب وقياب  
صغيرة وإعادة بنائها . وقد كشفت عملية الإصلاح عيوباً شتى في البناء واستمر  
العمل حوالى أربعة أعوام انتهى في سنة ١٩٣٩ وبلغت تكاليف أعمال الهدم والبناء  
٦٠٠٠٠ جنيه مصرى ونفقات البياض والزخرفة حوالى ٤٠٠٠٠ جنيه .

#### وصف المسجد :

المسجد مستطيل البناء ينقسم إلى قسمين : القسم الشرقى وهو المخصص للصلاة ،  
والغربى وهو الصحن تتوسطه نافورة للوضوء . ولكل من القسمين بابان أحدهما  
قبلى والآخر بحرى .

والقسم الشرقى مربع الشكل طول ضلعه من الداخل ١٤ متراً وتتوسطه قبة مرتفعة  
قطرها ٢١ متراً وارتفاعها ٥٢ متراً من مستوى أرضية المسجد محمولة على أربعة  
عقود كبيرة متكئة أطرافها على أربعة أكتاف مربعة يحوطها أربعة أنصاف قباب  
وذلك خلف أربع قباب أخرى صغيرة بأركان المسجد وقد كسيت جدر المسجد  
من الداخل والخارج وكذلك الأكتاف الأربعة الداخلية الحاملة للقبة إلى ارتفاع  
١١ متراً بالرخام الوارد من محاجر بنى سويف .

ويعلو مدخل الباب الغربى المؤدى إلى الصحن دكة المؤذنين بعرض المسجد  
مقامة على ثمانية عمد من الرخام فوقها عقود — ولها سياج من نحاس يتوصل إليها

من سلم المنارتين . وبدائرة المسجد من أسفل الشبايك كتب على أعتابها من الداخل أبيات قصيدة البردة .

والمحراب من الرخام ( الألبستر ) يجاوره منبر رخامى أمر بعمله الملك السابق فاروق ، وبالقرب منه المنبر الخشبي القديم للمسجد وهو أكبر منبر فى الآثار العربية .

وفى الركن الغربى القبلى ضريح محمد على يتألف من تركيبة رخامية حولها مقصورة من النحاس المذهب جمعت بين الزخارف العربية والتركية .

وعلى طرفى الواجهة الغربية للصحن منارتان وشرفتان ارتفاعهما ٤٨ مترا من مستوى أرضية الصحن بكل منها ٢٥٦ درجة إلى نهاية الدورة الثانية .

وتبلغ مساحة الصحن ٥٢ × ٥٤ مترا يحيط به أربعة أروقة ذات عقود محمولة على أعمدة رخامية تحمل قبابا صغيرة منقوشة من الداخل ومغطاة من الخارج بالواح من الرصاص كالقبة الكبيرة . وبدائرة الإيوانات المذكورة ٤٦ شباك تشرف على خارج الجامع من الجهات الثلاث البحرية والغربية والقبلىة .

وأما الجهة الشرقية فتشرف على الجامع وبها ثمانية شبايك — ومكتوب على أعتابها آيات من القرآن بالخط الفارسي الجميل بقلم الخطاط المشهور « سنكلخ » سنة ١٢٦٢ هـ .

ويوسط الصحن قبة أنشئت سنة ١٢٦٢ هـ ( ١٨٤٦ م ) مقامه على ثمانية أعمدة رخامية وبداخلها قبة أخرى رخامية مشمعة نقش على أضلاعها عناقيد عنب وبها طراز مكتوب بالخط الفارسي آية قرآنية .

ويتوسط الرواق الغربى المطل على الصحن برج من النحاس المخرم والزجاج الملون بداخله الساعة الدقاقة التى أهديت إلى محمد على من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥ وأمام الواجهتين القبلىة والبحرية للقسم الشرقى رواقان بهما عمد رخامية تحمل قبابا صغيرة — هذا وقد تمت أعمال الإصلاح بالجامع عام ١٩٣٩ .



## تاريخ عمارة القلعة

لما بنيت القلعة في أيام صلاح الدين كانت مبانيها تشغل المنطقة الشمالية الشرقية من المساحة التي تشغلها القلعة في الوقت الحاضر . وكانت لها ثلاثة أبواب .

الباب المدرج وباب القلعة وباب القراقفة . ويقع الباب الأخير اليوم في المنطقة الشرقية للقلعة، ويرى الأستاذ كريزويل أن جزء سور القلعة الشمالى الذى يمتد من مسجد سيدي سارية إلى زاوية السور عندما يدور للاتصال بالباب الجديد من أعمال محمد على . إذ أن خريطة القاهرة التى رسمها رجال الحملة الفرنسية لم يظهر عليها هذا الجزء من السور . ومن المحتمل أن السور الشمالى كان يمر فى مكان مباني الواجهة الحالية بقصر الحريم الذى شيد فى أيام محمد على . وقد هدم لما بنى هذا القصر ثم شيد إلى شماله السور الحالى الذى يفصله عن الواجهة الشمالية لقصر محمد على الحديقة الموجودة اليوم .

وما زال جزء من السور الشمالى الاصلى موجوداً إلى اليوم خلف مسجد سيدي سارية ويتصل بمحاطة القصر الشرقى . وما زالت قاعدة البرج المستديرة القديمة الذى كان عنده منحرف السور موجودة بقاياها إلى اليوم ويبلغ قطر هذه القاعدة خمسين قدماً . ومن المحتمل جداً أن يكون الشكل العام للبرج المذكور على مثل البرجين الآخرين اللذين فى السور الشمالى الشرقى (١) .

ومن المأخوذ به أن بئر يوسف كانت تقع فى محيط القسم الاصلى القديم فى قلعة صلاح الدين ولا ينتظر أن تكون البئر التى تمتد سكان القلعة بالمياه تقع فى خارجها وعلى ذلك يتبين أن يكون السور القبلى لقلعة صلاح الدين كان قد بنى إلى جنوب السور الذى يقع فيه اليوم باب القاعة ليدخل ضمنه البئر وقد أثبت الأستاذ كريزويل بعد قيامه بأبحاثه الاثرية صحة هذا رأى كما أيد الرأى القائل بأن باب القلعة الاصلى الذى هدمه قلاوون فى ٢ سبتمبر سنة ١٢٨٦ ( ١ رجب عام ٦٨٥ هـ ) كان فى موضع جنوبى الباب الحالى المعروف بهذا الاسم والذى يواجه الباب الشمالى لمسجد الناصر

---

(١) لم توضح بقايا هذا البرج على خرائط المساحة مقاس ١/١٠٠٠ .  
( م ٦ — قلعة الجبل )

— بنى فى مكان هذا الباب قبة — وذكر أيضاً كريزويل ما قاله المقرئى عن باب القاعة كما شاهده فى أيامه وكان فى المكان الذى يقوم عليه اليوم وأن الذى شيده محمد الناصر فى حوالى عام ١٣٢٠ — ١٣٢١ م (٧٢٠ هـ) .

ومن حسن الحظ أننا نجد نقطة محدودة كل التحديد فى القسم الجنوبى للقلعة فى الكتابة المنقوشة باسم السلطان محمد الناصر على بعد قدمين إلى يسار البرج المربع الكبير فى الزاوية الشمالية الغربية من مسجد محمد على . وتدل هذه الكتابة على أنه بدىء العمل فى البرج فى جمادى الأولى وانتهى فى شوال عام ٧١٣ هـ (أغسطس — سبتمبر سنة ١٣١٣ — يناير فبراير سنة ١٣١٤ م) وإلى جنوب هذا البرج توجد عدة دعائم تربطها بعضها ببعض عدة عقود يعلوها كوابيل حجرية كبيرة ولا بد أنها بنيت لحمل الدعائم المربعة الكبيرة للقصر الأبقى الذى شيده السلطان محمد الناصر عام ٧١٣ هـ (١٣١٣ م) وانتهى منه فى عام ٧١٤ هـ ولا تزال إلى اليوم ترى أحجار هذا القصر الملونة ملقاة فى مكانها .

ويرى الأستاذ كريزويل وهو عمدتها فى تاريخ القاعة من الناحية الأثرية أن توسيع القاعة تم فى أيام حكم محمد الناصر واتجه هذا التوسع إلى الجنوب عندما بدأ بناية الخوش فى عام ١٣٣٧ و ١٣٣٨ (٧٢٨ هـ) وكانت مساحته أربعة أفدنة وقد شغل مكان الحفرة التى استمد منها ببناء القاعة الحجارة لبنائها . وكان هذا العمل كبيراً أخذ الأمراء على عاتقهم أن يشيدوه برجالهم والاستعانة بحيواناتهم لنقل الرمل ومواد البناء . وقد اشتغل عدد كبير من أسرى الحروب مع رجال المماليك . وكان العمل مضمناً فوات منهم المئات . وفى هذا نجد تفسير وجود المرتفع الصناعى الذى ترتكز عليه القاعة فى الجزء الجنوبى كما يلاحظ الأثرى عند مقارنة طبيعة الأرض فى المنطقتين الشمالية والجنوبية للقلعة (١) .

ويختم الأستاذ كريزويل بحثه الأثرى للقلعة إلى أن إعادة لإصلاح القاعة تم فى خمسة عقود .

---

(١) A brief Chronology of the Muhammedan Monuments of Egypt to AD. 1517. Professor K. A. C. Creswell, 1916, Page 69 — 74

١ — فى أيام السلطان برقوق على جركس الخليلى فى ربيع الثانى عام ٧٩١ هـ  
( مارس أبريل ١٣٨٩ م ) .

٢ — فى أيام السلطان جقمق فى ذى القعدة عام ٨٥١ هـ ( يناير وفبراير  
سنة ١٤٤٨ ) .

٣ — فى أيام السلطان قايتباى .

٤ — فى أيام السلطان طومان باى فى رمضان عام ٩٠٦ هـ ( مارس و أبريل  
سنة ١٥٠١ ) .

٥ — فى أيام الخديوى إسماعيل فى رجب ١٢٨٥ هـ ( أكتوبر ونوفمبر  
سنة ١٨٦٨ ) .

وجميع عمليات الإصلاح هذه مثبتة فى كتابات منقوشة على جدران القلعة وترى  
اليوم على الجدار الذى يقع إلى يمين المدخل الخارجى لباب المدرج . وقد كانت تلك  
الكتابات التاريخية مثبتة فى غير ذلك المكان ولا يعلم بالضبط أين كان بعضها .  
وقد ذكر الجبرتى أن والى مصر التركى إسماعيل باشا ( ١٦٩٩ — ١٧٥٤ ) قام  
بعمل عدة إصلاحات فى مباني الزاوية الجنوبية الغربية ( للقسم الجنوبى ) كما شيد  
محمد على باشا الباب الجديد حوالى عام ١٨٢٥ كما شيد دار المحفوظات فى عام ١٢٤٤ هـ  
( ١٨٢٨ — ١٨٢٩ ) وإلى جانب تجديداته شيد الكثير من المستشفيات التى  
ما زالت باقية إلى اليوم — وإلى محمد على يرجع بناء جزء من السور الذى يربط  
مسجد سيدى سارية بالطريق المؤدى إلى الباب الجديد — وإليه يرجع أيضا بناء  
المباني العلوية لأسوار القلعة التى تحتوى على أمكنة المدافع ومزاغلها ذات الطابع  
العثمانى القديم .

## النصوص المنقوشة على جدران القلعة

١ — لوحة الباب المدرج وهي من الرخام مقاسها حوالى ١٢٥ × ٦٩ سنتى مكتوبة بالنسخ الايوبى وتشغل تسعة أسطر بتاريخها ٥٧٩ هجرية نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . . أمر بإنشاء هذه القلعة الباهرة المجاورة لمحروسة القاهرة بالغرمة<sup>(١)</sup> التى جمعت نفعا وتحصينا وسعة على من التجئ إلى ظل ملكه وتحصينا مولانا الملك الناصر صلاح الدنيا والدين أبو المظفر يوسف بن أيوب محي دولة أمير المؤمنين فى نظر أخيه وولى عهده الملك العادل سيف الدين أبى بكر محمد خليل أمير المؤمنين على يد أمير مملكته ومعين دولته قراقوش عبد الله الملكى الناصرى فى سنة تسع وسبعين وخمسمائة .

ويوجد تحت هذه الكتابة داخل إطار مستدير قطره ٢٥ سنتى تقريرا سطران بالسكوفى المزهر فى حروف متوسطة الحجم كتابة نصها : « الملك لله » .

٢ — لوحة تشغل جدران مدخل الباب المدرج ودركاته وباطن قبو المدخل مكتوبة بالنسخ لايوبى تاريخها ٧١٣ هـ ( السلطان محمد الناصر ) نصها :

« اللهم أدم النصر والتمكين والفتح المبين لمولانا السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن قلاوون أعز الله نصره ( أنصاره ) فاتح الأمصار ومبيد الكفار ، حامى حومة الدين » .

« عز لمولانا السلطان العالم العادل المجاهد المرباط السلطان الملك الناصر ناصر الدنيا والدين محمد بن السلطان الملك المنصور أعز الله أنصاره وضاعف اقتداره » .

٣ — لوحة رخامية مثبتة بأعلى الكتف على الجدار الغربى للقلعة أسفل دورة مياه مسجد محمد على وميدان العلم — فى ثلاثة أسطر مكتوبة بالنسخ الملوكى نصها :

---

(١) الغرمة — من المحتمل غرمة يقال غرمة تراب أى تل من التراب .



« بسم الله الرحمن الرحيم . . . أمر بإنشاء هذا البرج المبارك السعيد مولانا  
وسيدنا السلطان المالك الملك الناصر الغازي في سبيل الله الحاج إلى بيت الله الزائر  
قبر رسول الله حصن الدنيا والدين محمد بن مولانا السلطان الشهيد المالك منصور  
وبدؤه في جمادى الأولى . والفراغ في شوال سنة ثلاث عشر وسبعمائة . »

٤ — لوحة السلطان برقوق مثبتة على بعد خمسين متراً جنوب باب العزب  
المطل على ميدان القلعة — مكتوبة بخط النسخ الملوکی تاریخها ٧٩١ هـ نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم . . . أمر بإنشاء هذا السور المبارك مولانا السلطان  
الملك الظاهر أبو سعيد عز نصره وذلك على يد المقر الأشرف السبقي جركس الخليلي  
أمير أخور . المملکی الظاهري بتاريخ شهر ربيع الآخر سنة إحدى وتسعين وسبعمائة .

٥ — لوحة السلطان جقمق مثبتة بمدخل الباب المدرج — عبارة عن سبعة  
أسطر مكتوبة بخط النسخ الملوکی . تاریخها ٨٥١ هـ نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمر  
بتجديد هذا المدرج بباب القلعة الشريفة سيدنا ومالك رقابنا الإمام الأعظم سلطان  
الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل في العالمين ملك البرين  
والبحرين خادم الحرمين الشريفين سلطان العرب والعجم صاحب السيف والقلم  
والبند والعلم أفضل من حكم في عصره بالحكم صاحب الديار المصرية والقلاع الشامية  
والثغور السكندرية السلطان الملك الظاهر أبو سعيد جقمق عز نصره بتاريخ . . .  
من ذى القعدة الحرام سنة إحدى وخمسين وثمانمائة .

٦ — لوحة السلطان قايتباي مثبتة بمدخل الباب المدرج . عبارة عن ستة أسطر  
مثبتة على يمين اللوحة السابقة . مكتوبة بخط النسخ المملوکی تاریخها « مشوه » نصها :

« بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم أمر  
بتجديد هذه القلعة الشريفة السلطانية من فضل الله وعزته سيدنا ومولانا ومالك رقابنا  
سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والمشركين محيى العدل في العالمين أبو الفقراء  
والمساكين ملك البرين والبحرين خادم الحرمين الشريفين مولانا السلطان المالك

الملك الأشرف أبو النصر قايتباي أيد الله ملكه بحمد وآله وصحبه ( عشر كلمات ناقصة ) .

٧ — لوحة السلطان طومان باي مثبتة تحت بضعة سنتيمترات من اللوحتين السابقتين أبعادها ١٥٠ × ٨٠ سنتي . حروفها أوضح من كتابة اللوحتين المذكورتين مكتوبة بخط النسخ المملوكي تاريخها ٩٠٦ هـ نصها :

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .  
أمر بتجديد هذه القلعة المباركة سيدنا ومولانا ومالك رقابنا السلطان المالك العادل صاحب الديار المصرية والبلاد الشامية والقلاع السواحلية والأقطار الحجازية سلطان الأرض الحاكم طولها والعرض القائم بالسنة والفرض المجاهد المؤيد المنصور صاحب السيف والقلم والبتد والعلم السلطان المالك العادل أبو النصر طومان باي غز نصره بتاريخ شهر رمضان سنة ست وتسعمائة .

### محمد علي

٨ — في القسم السفلي للقلعة وهو الذي تشغله بعض مخازن سلاح الأسلحة والمهمات يوجد بورش الخيامية التي يوصل منها إلى المسبك القديم وعلى بابه لوحة تذكارية من الرخام بها أبيات من الشعر باللغة التركية للشاعر خيرت وتاريخها ١٢٣٦ هـ .

٩ — الكتابة التركية المنقوشة على مقصورة محمد علي .

١٠ — الكتابة التركية المنقوشة على باب الدفترخانة وتاريخها ١٢٤٤ هـ .

١١ — الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة القديم المواجه الدفترخانة وتاريخها ١٢٤٠ هـ .

١٢ — الكتابة التركية المنقوشة على باب الجناح الشرقي لعصر الحرم وقد ذكرناها في الفصل الذي عقدناه القلعة في عصر محمد علي وتاريخها ١٢٤٢ هـ .

١٣ — الكتابة التركية المنقوشة على باب القلعة .

١٤ — الكتابة المنقوشة بالضربخانة .

لوحة الباب الداخلى — طغراء مكتوب بها — نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين يا محمد .

وحول الطغراء فى الأركان الأربعة :

أبو بكر — عمر — عثمان — على

وبأسفل الطغراء :

جدد هذا المكان المبارك الوزير الأعظم محمد على باشا<sup>(١)</sup> . . . مصر حالا وكان ذلك فى عام ١٢٢٧ هـ .

١٥ — لوحة الخديو إسماعيل من الرخام مثبتة على حائط السور قبلى باب الغرب بجانب وعلى يسار كتابة برقوق نفس المقاس مكتوبة بخط النسخ نصها :

« لانه من سليمان ، ولانه بسم الله الرحمن الرحيم . أمر بإنشاء وتجديد هذا السور المبارك . خديو مصر حالا إسماعيل بن الحاج إبراهيم بن الحاج محمد على فى تاريخ شهر رجب سنة خمسة وثمانين ومائتين وألف ، .

١٦ — الكتابة المنقوشة على باب المنبر الرخامى فى مسجد محمد على تحمل اسم الملك السابق

١٧ — الكتابة العربية المنقوشة على التركيبة الرخامية على قبر محمد على وكذلك على شاهد القبر .

١٨ — الكتابة المدونة على قاعدة برج ساعة محمد على :

« فى عهد فاروق تم ترميم هذا البرج وأصلحت الساعة المهداة إلى محمد على من ملك فرنسا لويس فيليب عام ١٨٤٥ م ( ١٢٦٢ — ١٩٤٣ )

١٩ — الكتابة المنقوشة على مدخل الباب الجديد .

٢٠ — الكتابة المنقوشة على أربع لوحات رخامية مثبتة حول قاعدة سارية العلم منها لوحتان دونت عليهما أسماء وقائع الجيش المصرى منذ أيام السلطان صلاح الدين إلى أيام محمد على

---

(١) يلاحظ أن كلمة والى غير موجودة فى النقش

## تحصين القاهرة

### ١ — الأسوار الفاطمية :

كانت المدن في أغلب أنحاء العالم في الزمن الماضي تحصن بأسوار تقام حولها لصد هجمات المغيرين عليها ، ولهذا فإنه لما أنشأ القائد جوهر مدينة القاهرة حرص على أن يقيم حولها سوراً سميكاً من اللبن وفتح فيه من الأبواب ما رآه ضرورياً في ذلك الزمان (١) .

وبعد انقضاء ١٢٠ سنة من تأسيس القاهرة رأى أمير الجيوش بدر الجمالي وكان يومئذ وزيراً للخليفة المستنصر أبي تميم معد — أن الناس بنوا خارج السور بسبب اتساع العمران ولا سيما في الجهتين البحرية والقبلية من المدينة فأحاطها بسور وصله بسور جوهر القائد يميناً ويساراً وفتح فيه أبواباً أمام الأبواب القديمة لتكون عرضاً عنها .

ولما زاد العمران بعد ذلك واتسعت حدود المدينة أخذ صلاح الدين من سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزير للخليفة العاضد عبد الله بن يوسف آخر الخلفاء الفاطميين في بناء سور جديد بالحجر بدلا من أسوارها القديمة التي كانت مبنية باللبن لكي يشمل السور الجديد ما زاد على القاهرة في غربها إلى النيل وفي جنوبها إلى مصر القديمة واستبقى أبواب بدر الجمالي لأنها كانت مبنية بالحجر .

### السور الأول :

يستفاد مما ذكره المقرئ في خطه عند الكلام على سور القاهرة (٢) أن القائد جوهر بدأ من عام ٣٥٩ هـ — ٩٧٠ م ببناء السور الذي أنشأه من اللبن على مناخه الذي نزل فيه هو وجنوده حيث القاهرة الآن ثم أداره على القصر والجامع وأدخل

---

(١) من مذكرات المؤرخ محمد بك رمزي ، وكتاب القاهرة للقائمقام عبد الرحمن زكي .

(٢) راجع الخطط المقرئية ج ١ ص ٣٧٧ .



في دائرة سور القصر ببر العظام وجعل القاهرة حارات للواصلين صحبته وصحبة مولاه المعز ، ورتب في القصر جميع ما يحتاج إليه الخلفاء .

ومن جهة تعيين موقع السور وحدوده ، فإنه يستفاد مما ذكره المقرئ عند الكلام على باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة القديمين وباب زويلة الحالي وباب البرقية وعلى جامع الحاكم وحارة بهاء الدين وعلى غير ذلك من المباني التي أقيمت بين هذا السور وسور بدر الجمالي ، يستفاد من كل ذلك أن مدينة القاهرة القديمة التي أنشأها جوهر القائد كانت واقعة بين مباني القاهرة الحالية وكانت محاطة بسور من جهاتها الأربع في المنطقة التي تحد اليوم من الجهة البحرية بخط يبدأ على رأس جارة الوساية من جهتها الشرقية حيث كان يبدأ السور البحري ثم يسير إلى الغرب حتى يتقابل بشارع باب النصر عند نقطة واقعة على مبعدة عشرين متراً إلى شمالى جامع الحاج محمود الختو المعروف بجامع الشهداء ، حيث كان يقع في تلك النقطة باب القدس الذي كان بداخل باب النصر . ومن هناك يسير السور إلى الغرب حتى يتقابل بشارع المعز لدين الله ( شارع باب الفتوح سابقاً ) على رأس مدخل شارع بين السيارج حيث كان يقع في تلك النقطة باب القوس الذي كان داخلاً في باب الفتوح ثم يمتد السور في مكان الوجهة البحرية للمباني الواقعة في شارع بين السيارج إلى نهايته الغربية عند نقطة تجاه جامع حسن الزركشى وكان السور البحري لمدينة جوهر ينتهي عند تلك النقطة .

وكان السور الغربي يبدأ من النقطة المذكورة ثم يسير متجهاً إلى الجنوب إلى أن يصل رأس شارع أمير الجيوش الجواني حيث يقع باب القوس الذي كان بداخل باب القنطرة ثم يسير السور إلى الجنوب في مكان الوجهة الغربية للمباني الواقعة بشارع الشعرائى البرانى وشارع بين السورين وشارع بين النهدين إلى باب الخوخة على رأس شارع قبو الزينة ، ثم يمتد السور بعد ذلك بالوجهة الغربية لمباني شارع جامع البنات إلى أن يلتقي برأس شارع الاستئناف الحالي حيث كانت خوخة الأمير حسين ، ثم يسير السور جنوباً إلى حيث مبنى محكمة الاستئناف على مبعدة ٢٠ متراً جنوب مدخل الاستئناف وعلى بعد عشرة أمتار في شمالى الباب الغربي لمحاكمة الاستئناف . وعند تلك النقطة كان يقع باب سعادة وهو آخر السور الغربي لمدينة جوهر .

وكان السور القبلى يبدأ من المكتف القبلى لباب سعادة ثم يسير إلى الشرق إلى شارع المنجلة من الجهة القبلىة ثم يمتد إلى شارع المنجدين من الغرب وبين شارع المعز لدين الله (شارع المناخلىة سابقا) من الشرق وكان يقع بابا زويلة القديمان اللذان أنشأهما جوهر بعضهما فى السور القبلى تجاه جامع سام بن نوح ، وفى الجامع المذكور يمتد السور القبلى حتى يصل إلى درب المحروق ، وإلى هذه النقطة ينتهى السور القبلى .

وكان السور الشرقى يبدأ من النقطة المبينة بالخريطة ثم يمتد إلى الشمال حيث موقع باب البرقية الأولى ، ثم يمتد من تلك النقطة إلى الشمال حتى يتلاقى بالسور البحرى عند النقطة التى يحدها اليوم برج الظفر .

هذه هى مواقع السور الذى أنشأه جوهر القائد حول مدينة القاهرة الأصلية . وليس لهذا السور أثر اليوم فى أية نقطة من جهاته الأربع التى كانت تحيط بالمدينة المذكورة حسب التحديد الذى ذكرناه .

#### السور الثانى :

#### ٢ — سور بدر الجمالى

يستفاد مما أورده المقرئى فى خططه لدى الكلام عن أسوار القاهرة فى أيام الدولة الفاطمية (١) أن السور الثانى بناه أمير الجيوش بدر الجمالى فى سنة ٤٨٠ هـ — ١٠٨٧ م وزاد فيه من الشمال الزيادة التى بين بابى القوس اللذين أنشأهما جوهر القائد فى سور القاهرة البحرى وبين السور الحالى الذى فيه باب النصر وباب الفتوح الحالىين ، ثم أضاف فيه من الجهة الجنوبية الزيادة التى فيما بين بابى زويلة القديمين اللذين أنشأهما جوهر فى سور القاهرة القبلى وبين السور الذى فيه باب زويلة الحالى وجعل بدر الجمالى الأسوار التى أنشأها من اللبن وأقام الأبواب من حجارة .

هذا هو ملخص تاريخ بناء السور الثانى . وأما من جهة تعيين موقعه وحدوده .

---

(١) الخطط المقرئية الجزء الأول ص ٣٧٩ .

فإنه يستفاد مما قاله المقرئى ، عند الكلام على باب النصر وباب الفتوح وباب زويلة وعلى جامع الحاكم وعلى حارة بهاء الدين وعلى السور الثالث الآتى ذكره الذى أنشأه صلاح الدين يستفاد من كل ذلك أن الزيادة التى برز بها بدر الجمالى فى الجهة الشمالية من سور جوهر هى التى تحدد اليوم من الشمال بالسور الحجرى الموجود الآن الذى يبدأ من النقطة الذى يشغلها اليوم برج الظفر ، ثم يسير إلى الغرب إلى أن يصل إلى باب النصر ثم إلى باب الفتوح وينتهى السور البحرى بحسب وضعه ورسمه المبين على الخريطة .

وتحدد هذه الزيادة من الغرب بسور كان يمتد إلى الجنوب التى يبدأ منها السور الغربى لمدينة جوهر .

وتحدد من الجنوب بسور جوهر المبين على الخريطة ، وتحدد من الشرق بسور من اللبن كان يمتد من النقطة التى فى أول الحد الشمالى من الشرق ، ومنها يسير إلى الجنوب بشكله المتعرج المبين على الخريطة .

وأما الزيادة التى برز بها بدر الجمالى فى الجهة الجنوبية من سور جوهر فتحدد اليوم من الشمال بسور جوهر المبين على الخريطة ، ومن الغرب بسور من اللبن . ثم يسير إلى الجنوب حيث كان موقع باب الفرج ، ويعاود سيره إلى الجنوب حتى ينتهى السور الغربى لهذه الزيادة عند موقع باب الخلق ، وتحدد من الجنوب بسور من اللبن يسير إلى الشرق فى مكان الوجهة القبلىة للبباني القائمة بالجهة الشمالية من شارع تحت الربع إلى أن يصل إلى النقطة حيث يقع باب زويلة الحالى ، ثم يمتد السور إلى الشرق عند مدخل حارة الروم حيث كان موقع خوخة ليد غمش ثم يمضى من هذه النقطة إلى جهة الشرق فى مكان الوجهة القبلىة للبباني الواقعة بجزء من شارع الدرب الأحمر ثم الواقعة فى حارة سعد الله ومنها تمتد إلى حيث ينتهى الحد القبلى عند البرج الذى يتبعه القارىء على السور المبين على خريطة القاهرة الحالية . وتحدد من الشرق بسور القاهرة الحالى المبين على الخريطة .

وأنشأ بدر الجمالى أسواره باللبن ما عدا الجزء الواقع بين بابى الفتوح والنصر فهو بالحجر إلى اليوم . وكذلك الأجزاء الواقعة على جانبي البابين المذكورين وعلى جانبي باب زويلة فهى بالحجر على مسافة ١٢ متراً تقريباً من كل جانب ، وقد زال

أثر الأسوار التي أنشأها بدر الجمالي بالدين ، وأقام صلاح الدين في مكانه بعض أجزاء منها أجزاء أخرى بالحجر في سورہ الثالث الذي سفتكم عنه .

## تحصين القاهرة

### ٣ - في عهد السلطان صلاح الدين

قال ابن أبي طى : إنه في سنة ٥٦٦ هـ ( ١١٧٠ م ) شرع السلطان صلاح الدين في عمارة سور القاهرة لأنه قد تهدم أكثره . وصار طريقا لا يرد داخلا ولا خارجا وولاه لوزير بهاء الدين قراقوش (١) .

ويقال لنا نص آخر أكثر وضوحا لعهد الدين ، كاتب سر صلاح الدين ، وهو شاهد معاصر كانت وثائق الدولة في متناول يديه . وقد جاء فيه :

« كان السلطان لما تملك مصر رأى أن مصر والقاهرة لكل واحدة منها سور لا يمنعهما فقال إن أفردت كل واحدة بسور احتاجت إلى جند مفرد يحميها . ولما أرى أن أدير عليها سوراً واحداً من الشاطىء إلى الشاطىء وأمر ببناء قلعة في الوسط عند مسجد سعد الدولة على جبل المقطم . فابتدأ من ظاهر القاهرة ببرج في المقطم وانتهى به إلى أعلى مصر ببروج وصلها بالبرج الأعظم . ووجدت في عهد السلطان بيت رفعه النواب ( النائب عن السلطان ) وتكمل فيه الحساب ومبلغه . وهو دائرة البلد من مصر والقاهرة بما فيه من ساحل البحر والقلعة بالجبل تسعة وعشرون ألفاً وثلاثمائة وذراعان ( بذراع العمل وهو الذراع الهاشمي ) . من ذلك ما بين قلعة القسم ( المقس ) على شاطىء النيل والبرج بالكوم الأحمر بساحل مصر عشرة آلاف وخمسمائة ذراع . ومن القلعة بالقسم ( قلعة المقس ) إلى حائط القلعة بالجبل بمسجد سعد الدولة ثمانية آلاف وثلاثمائة واثنان وتسعون ذراعاً . ومن جانب حائط القلعة من جهة مسجد سعد الدولة إلى البرج بالكوم الأحمر سبعة آلاف ومائتان ذراعاً ودائر القلعة ( من وراء القلعة ) بحيال مسجد سعد الدولة ثلاثة آلاف

(١) تاريخ القلعة لكازانوفنا — ص ٥٣٥ .



ومائتان وعشرة أذرع وذلك طول قوسه في أبدانه وأبراجه من النيل إلى النيل على التحقيق والتعديل وذلك بالذراع الهاشمي .

والمعروف أن الذراع الهاشمي يعادل ٦٥٢ من المتر .

وقد ذكر المؤرخ أبو شامة صاحب كتاب الروضتين ، عند ما أورد الكلام عن القلعة نص بن أبي طي في الفصل الذي تأتي فيه الكلام عن حوادث عام ٥٦٦ هـ ثم أورد نص عماد الدين عن القلعة في حوادث عام ٥٧٢ هـ .

ولم يفت المؤرخ المقرئ أن ينقل التاريخين بدون تعليق . ويرى الأستاذ كازانوف أن صلاح الدين بدأ يفكر في بناء السور عام ٥٦٦ هـ ، ثم عدل مشروعه عام ٥٧٢ هـ ( ١١٧٦ م ) عقب حملته إلى الشام ، وهذا الرأي هو نفس ما ذهب إليه الأستاذ كريزويل . أي أن عمارة سور القاهرة الثالث لم تستل إلا في سنة ١١٧٦ م .

#### السور الثالث :

ابتدأ السلطان صلاح الدين عمارة السور الثالث للقاهرة سنة ٥٦٦ هـ وهو يومئذ وزير الخليفة العاضد لدين الله ، وفي عام ٥٦٩ هـ انتدب الطواشي يهأ الدين قراقوش الأسدي لعمل السور فبناه بالحجارة على ما هو عليه الآن ، وأراد أن يجعل على القاهرة ومصر ( مصر القديمة ) والقلعة سوراً واحداً . فزاد في سور القاهرة الجزء الممتد من باب القنطرة إلى باب الشعرية ، ومن باب الشعرية إلى باب البحر ، ومن قلعة المقس في نهاية السور البحرى على النيل بجانب جامع المقس وانقطع السور من هناك . وكان أمه أن يمد السور من المقس إلى أن يتصل بسور مصر ( مصر القديمة ) ثم زاد في سور القاهرة الجزء الذى يلي باب النصر إلى برج الظفر ، ومن هذا البرج إلى باب البرقية ومنه إلى درب بطوط وإلى خارج باب الوزير ليتصل بسور قلعة الجبل . فانقطع من مكان يقرب الآن من الصورة تحت القلعة .

وقد ذكر المقرئ أن طول السور المحيط في أيامه بلغ ٢٩٣٠٢ ذراع ( بذراع العمل ) وهو الذراع الهاشمي .

شرع صلاح الدين في سنة ٥٦٦ هـ في بناء السور الغربى للقاهرة على الحافة الشرقية للخليج المصرى في محاذة سور بدر وسور جوهر وعلى مبعدة قليلة منهما إلى جهة الغرب، وأقام صلاح الدين فعلا قطعة من السور الغربى وهى الممتدة من النهاية الغربية لسور بدر الجمالى البحرى ومتجهة نحو الجنوب إلى باب القنطرة الذى أنشأه صلاح الدين فى السور الغربى المذكور تجاه باب القوس الذى كان يعرف بباب الرماحين .

رأى صلاح الدين أن يزيد فى سور المدينة البحرى ويمده إلى الغرب ، ثم يبنى سورها الغربى على النيل بدلا من الخليج ، وذلك لكي يدخل فى السور القسم الذى استجد خارج القاهرة فى الجهة الغربية منها ، بين الخليج والنيل ، ولكى ينفذ هذا المشروع أوقف بناء السور الغربى على الخليج بعد باب القنطرة .

وفى سنة ٥٦٩ هـ شرع بهاء الدين قراقوش فى مد السور البحرى من باب الشعرية إلى باب البحر بالمقس ، وأتمه فعلا ، وأراد أن يبنى السور الغربى للقاهرة على النيل من باب البحر إلى فم الخليج ، ليوصل سور القاهرة بسور مصر القديمة ، ولكن وفاة صلاح الدين حالت دون ذلك .

وقد اندثر أغلب سور صلاح الدين والباقي منه مبين على خريطة القاهرة الحالية فى الجهات الآتية :

( أولا ) إن النقطة التى كان قد أنشأها صلاح الدين فى السور الغربى من السور البحرى إلى باب القنطرة فى محاذة الخليج ، هذه القطعة هدم أغلبها ولم يبق منها إلى وقتنا هذا سوى قطعة طولها ١٢٠ مترا كانت ممتدة من النهاية الغربية للسور البحرى ثم تسير جنوبا فى محاذة حارة المسطاحى . فلما فتح شارع الجيش هدمت هذه القطعة فى سنة ١٩٣٠ ودخلت أرضها فى امتداد الشارع المذكور ولم يبق منها إلا جزء صغير طوله نحو عشرة أمتار ولم تزل إدارة حفظ الآثار العربية محتفظة بهذا الجزء للإرشاد إلى موقع السور القديم .

( ثانياً ) إن السور البحرى الذى كان ممتدا بين باب الشعرية الذى يعرف الآن بباب العدوى وبين باب البحر الذى يعرف الآن بباب الحديد بميدان باب الحديد

وكان قائماً إلى زمن دخول الفرنسيين مصر سنة ١٧٩٨ م وبعد ذلك اعتدى الأهل على هذا السور فهدموا معظمه ولم يتبق منه سوى بعض أجزاء لا تزال قائمة بلصق المساكن ومبينة على خريطة القاهرة الحالية مقطعة من الشرق إلى الغرب إلى قطع من السور ممتدة بين المساكن الواقعة في المنطقة التي تحد اليوم من الشمال بسكة الفجالة وشارع الفجالة ومن الجنوب بشوارع بين الحارات والشمبكي والطبالة . ومن الشرق بميدان العدوى ، وفي هذا الميدان كان موقع باب الشعرية ويليه إلى جهات الغرب الأجزاء الباقية من السور المذكور .

( ثالثاً ) السور البحري الذي فيه باب الفتوح وباب النصر سبق أن تكلمنا عنه في السور الثاني . وفي أيام صلاح الدين تجدد بناء بعض الأجزاء بالحجر بدل اللبن كما يشاهد إلى اليوم في السور البحري .

ولما فتح شارع الجيش أخذ في طريقه جزءاً صغيراً في سنة ١٩٣٠ م وبذلك أصبح السور البحري ينتهي من الغرب بشارع الجيش على رأس شارع درب البازة وقد ثبت على طرف السور عند تلك النقطة المشرقة على شارع الجيش لوحة من الرخام مكتوب عليها بالنقش هدم جزء من السور لفتح الشارع المذكور في سنة ١٩٣٠ م .

وابتدأ السور البحري في أيام صلاح الدين إلى جهة الشرق حيث موقع برج الظفر ولا يزال يوجد من هذه الزيادة جزء من سور القسم الشرقي المجاور لبرج الظفر .

( رابعاً ) أما السور الشرقي لمدينة القاهرة فلا يزال يوجد منه بعض أجزاء قائمة إلى اليوم ، منها الجزء الذي يمتد من برج الظفر يتجه جنوباً بطول ٤٠٠ متر وبناءه متخرب ، وتتولى إدارة حفظ الآثار العربية الآن ترميمه وإصلاحه ، وفي هذا الجزء يقع الباب الجديد ، أحد أبواب القاهرة القديمة . ومن السور المذكور الجزء الذي يبدأ من برج درب المحروق ويسير إلى الجنوب بطول ٧٦٠ متراً إلى أن ينقطع خلف زاوية الشيخ مرشد بشارع باب الوزير . وهذا الجزء هو أطول الأجزاء القائمة من السور الشرقي وحائطه أغلبه سليم إلى اليوم ، ومنه جزء آخر يمتد إلى الجنوب بين الحائقة النظامية ( جامع النظامي وقد خرب ) وبين بقايا جامع السبع

سلاطين ( خرب ) وطول هذا الجزء ١٢٥ متراً ، ويتصل من نهايته الجنوبية بسور القلعة .

وأما الباقي من السور الشرقى ، وهو الجزء الذى يمتد من قلعة الجبل إلى سور مدينة مصر فإنه لما تكلم المقرئ عن السور الثالث ( ج ١ ص ٣٧٩ ) قال إن صلاح الدين لم يتبها له أن يصل سور قلعة الجبل بسور مدينة مصر وهذا دليل على بناء السور فى الفترة المذكورة .

وباب القنطرة هذا هو غير باب القنطرة الذى يسمى خطأ باسم باب الشعرية بالقاهرة .

ولما كان صلاح الدين قد عنى بصفة خاصة ببناء السور الشرقى للقاهرة من برج الظفر إلى القلعة كما عنى أيضاً ببناء سور مدينة مصر ، فإننى أرجح رأى الذى ذكره المقرئ فيما يختص بمد السور من قلعة الجبل إلى باب القنطرة ، أى إلى مدينة مصر يؤيد ذلك وجود الحائط ( العيون ) التى كان يجرى من فوقها الماء فى المسافة من باب القرافة إلى سور مدينة مصر ، وكان هذا الحائط قبل ذلك من سور القاهرة . ثم بنى فوقها قناة لنقل الماء ، من النيل إلى قلعة الجبل .

ويتبدى مما ذكر أن تكملة السور الشرقى للقاهرة فى المسافة ما بين قلعة الجبل وسور مدينة مصر لا يزال يوجد من آثاره حائط المجرى (العيون) القائمة إلى اليوم من باب القرافة بالقاهرة إلى نقط تلاقيها بحائط العيون الممتدة إلى مصر القديمة عند الزاوية القبلىة الشرقية فى جبانة السيدة نفيسة الجديدة .

ويرى القارىء مما ذكرناه نقلاً عن القلقشندى أنه قال : إن السور الذى أنشأه صلاح الدين ما بين باب البحر والكوم الأحمر برأس منشأة المهرانى التى عند فم الخليج قد سقط . وبالبحت تبين لنا أن هذا السور كان صلاح الدين عازماً على إقامته على شاطئ النيل غربى القاهرة من ميدان باب الحديد إلى فم الخليج المصرى ، ولكنه لم ينشأ بدليل ما ذكره المقرئ : وهو أن صلاح الدين زاد فى سور القاهرة القطعة التى من باب الشعرية إلى باب البحر وبين قلعة المقس فى نهاية السور البحرى على النيل بجانب المقس وانقطع من هناك ، وكان أمسه أن يمد السور



من المقس إلى أن يتصل بسور مصر القديمة من جهة فم الخليج ولكن هذا الأمل لم يتحقق لوفاة صلاح الدين رحمه الله (١).

## سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة

تعددت الأقوال وتكاثرت الكتابات عن مجارى المياه التى كانت تجلب المياه لعاصمة الديار المصرية ، من الفتح الإسلامى إلى عهد محمد على ، بل وإلى أوائل عصر الخديو إسماعيل وخلط كثير من الكتاب بين مجارى المياه والأسوار ، حتى إن مجرى العيون التى كانت توصل مياه النيل إلى قلعة الجبل اصطلح على تسميتها إلى عهد قريب ، لدى العامة وفى المكاتبات الرسمية ، بجرى صلاح الدين .

وفى العهد القريب ، من سنة ١٩١٢ إلى سنة ١٩١٩ ، وفق المرحوم على بك بهجت ، مدير دار الآثار العربية ، إلى كشف جزء من سور صلاح الدين يحد ما كشفه من أطلال مدينة القسطنطينية من الجهة الجنوبية الشرقية ، فأزاح الغموض عن كثير من الالتباسات التى وقع فيها كثير من المؤرخين السابقين ، الذين لم يبين لنا أحد منهم موقعه بالضبط . ولكن المنية عاجلته فلم يفته من كشف بقية السور إلى قلعة الجبل . وقد اكتفى قبل إخراج مؤلفه عن حفريات القسطنطينية بعمل بحسب بسيط على امتداد الجزء المكتشف إلى أن بلغ مجرى العيون .

وعندما تولى إدارة دار الآثار العربية الأستاذ المسير جامستون فبيت اقترح المرحوم الأستاذ حسن الهوارى ، أحد الأمناء ، الاسترسال فى كشف السور من المنطقة التى تركها بهجت بك متجهين إلى الجهة البحرية حيث قلعة الجبل فوافق مسير جامستون على هذه الفكرة .

وبدأ العمل بطريقة فنية وتوالى الحفر بعناية زائدة فوق موقع السور من آخر جهة يلوح فيها . وكان العمال يحفرون حتى يبلغوا الصخر ، لأن المنطقة التى بها أطلال القسطنطينية وسور صلاح الدين صخرية . فإذا ما بلغ العمال الصخر توقفوا عن العمل

---

(١) راجع هامش الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧ من كتاب النجوم الزاهرة ، المرحوم محمد رمزى بك

ووجهوا جهدهم إلى تنظيف السور وعمل صندوق أمامه ونقل هذه الأثرية إلى الجهة  
الأمامية الشرقية وتنظيفها بشكل جسر يصلح لأن تمر عليه العربات والسيارات ،  
وفي الجهة الداخلية ( الغربية ) يواصل العمال في الكشف عما عساه يوجد من دور  
الفسطاط .

ولم يكن هناك داع للكشف عن السور بطريقة أخرى غير هذه كرفع الأثرية  
طبقة طبقة وكشف ما عساه يوجد في كل طبقة على حدة ، فالمنطقة التي بها السور  
تأكد تكون على مذسوب واحد ، وعثر العمال على السور بعد الحفر لعمق متر  
أو مترين على الأكثر وأحيانا أقل من المتر ، فلا توجد هناك طبقات تستدعي  
استخدام النظريات الأركيولوجية العويصة .

وقد كان من نتائج هذا الحفر المنظم أن كشف الأستاذ جزءاً من السور يبلغ  
طوله ٨٤١,٣٥ متراً كشفت كلها كشفاً تاماً فظهرت فيه انحناءات لم يكن في الوضوح  
قبل الآن معرفتها كما ظهرت عدة دعائم ذات أشكال نصف دائرية لتقوية السور  
على أبعاد متقاربة البعد .

وفيما يلي بيان تفصيلي لما كشفه بهجت بك ، وما وفق الأستاذ الهوارى إلى  
كشفه :

#### ما كشفه بهجت بك

بيان	متر
جزء مستقيم من السور من أوله ( الجهة القبليّة )	٢٥,٠٠
» » » » بحرى السابق .	١٧,٠٠
دعامة .	٦,٠٠
باب .	٥,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣٨,٠٠
» » » »	٤٦,٠٠
دعامة .	٨,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٠,٠٠

بيان	متر
جزء مستقيم من السور .	١٣,٠٠
دعامة .	٧,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٧٣,٠٠
كسرية .	١١,٠٠
جزء مستقيم من السور .	٣١,٠٠
جملة ما كشفه بهجت بك .	٣٥٧,٠٠

ما كشف بعد وفاة بهجت بك

بيان	متر
جزء من السور مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة .	١٢٢
الدعامة رقم ( ١ )	٥,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٥,٠٠
محصور بين الدعامتين رقم ( ١ و ١ ) .	٥٥,٠٠
الدعامة رقم ( ١ )	٦,٠٠
جزء من السور مركب من خطين مستقيمين	٧٠,٠٠
محصور بين الدعامتين رقم ( ٢ و ٣ ) .	٤٠,٠٠
الدعامة رقم ( ٣ )	٦,٠٠
جزء من السور مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة	٨٠,٠٠
محصور بين الدعامتين ( ٣ و ٤ )	٢٠,٠٠
	١٩,٠٠
الدعامة رقم ( ٤ )	٧,٠٠
جزء من السور مركب من ثلاثة خطوط مستقيمة	٦٨,٠٠
محصور بين الدعامتين ( ٤ و ٥ ) .	٣٨,٠٠
	٢٥,٠٠

بيان	متر
الدعامة رقم ( ٥ )	٦٠٠
جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين الدعامين ( ٥ و ٦ )	٦٣٣٠
الدعامة رقم ( ٦ )	٦٠٠
جزء من السور عبارة عن ثلاثة خطوط مستقيمة محصور بين الدعامين ( ٦ و ٧ )	٥٩٢٥
	١٩٢٥
	١٦٠٠
	٢٤٠٠
الدعامة رقم ( ٧ )	٧٠٠
جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين الدعامين ( ٧ و ٨ )	٦٣٥٠
الدعامة رقم ( ٨ )	٩٣٠
جزء من السور عبارة عن خط مستقيم محصور بين الدعامين ( ٨ و ٩ )	٦٥٥٠
الدعامة رقم ( ٩ )	٦٠٠
جزء من السور عبارة عن خطين مستقيمين محصور بين الدعامين ( ٩ و ١٠ )	٦٣٥٠
	٤٠٠٠
	٢٣٥٠
الدعامة رقم ( ١٠ )	٦٩٠
جزء مستقيم من السور	٤٦٠٠
	٨٤١٢٥

وتكون جملة المكتشف من السور  $٢٥٧٠٠ + ٨٤١٢٥ = ١١٩٨٢٥$  مترا .

وعما يذكر أن بهجت بك كان يرغب أن يدرس سور صلاح الدين على حدة في بحث خاص ، كما يستدل على ذلك من كلامه من كتاب حفريات القسطنطينية حيث قال في آخر باب من أبواب هذا الكتاب ما نصه :

« وإن أعمال الحفر أظهرت أجزاء من هذا السور ( سور صلاح الدين )



بما كان أعد لحماية القسطنطينية من الجهة الشرقية ، وسلبين فيما بعد الظروف التي وضع فيها هذا المشروع وكيف نفذ ، وندرس تفاصيل بنائه ، . إلا أن المنية عاجلته فلم يستطع تحقيق أمنيته .

والآن وقد ظهر من السور جزء كاف يمكننا من تحديد أبعاده على وجه كاف من الدقة لأن ما ظهر بجوار أطلال القسطنطينية بين لنا زاوية القبلة الشرقية وزاوية البحرية الشرقية محدودة ببرج الظفر والجدار الغربي كان محاذيا لمجرى النيل في عهد صلاح الدين .

كان كازانوفا ، الأثرى المعروف ، قد تسنى له في سنة ١٨٩١ عندما كتب عن ( تاريخ قلعة القاهرة ووصفها ) بوساطة النصوص التي أوردها المقريري من تعيين تخطيط هذا السور تعيينا افتراضيا وقد حققت الحفريات ظنونه ، وقد صرنا الآن في مركز أحسن بكثير نظراً لكثرة الأجزاء التي كشفت من هذا السور .

فعلاوة على الجزء الذي كشفته دار الآثار العربية في عهد المسيو فينت فإن هناك أجزاء أخرى أظهرها الكشف عن سطح الحاجز الجاري تحت إشراف الدار أيضا وهذه الأجزاء واقعة من الجهة القبلة من أطلال القسطنطينية ، وهي على صغر أطوالها هامة لأنها تبين ميل السور في هذه الجهة واتجاهه نحو شاطئ النيل .

وإلى شمالي القلعة وفي الجهة الشرقية . تم كشف جزء عظيم على امتداد الجناح الشرقي لبرج الظفر بفضل الأستاذ كريستوفل .

وفضلا عن سور السلطان صلاح الدين فقد ظهر جزء عظيم من سور القائد بدر الدين الجمالي في الجهة البحرية من القاهرة الفاطمية ، بين باب الفتوح والخليج المصري . وقد هدمت منه مصلحة التنظيم الجزء الذي اعترض شارع الجيش وهذا الجزء من السور كان في حالة حسنة على عهد صلاح الدين ، وكان لا يزال هو الحد البحري لمدينة القاهرة ، ولم تمتد المدينة إلى الجهة الشمالية بل اكتفت بالأرض الفضاء الغربية التي خلفت عن انحراف مجرى النيل عما كان سببا لاستبقاء سور بدر الجمالي

حدا بحريا ومدته فقط من الجهة الشرقية إلى برج الظفر ومن الجهة الغربية إلى شاطئ النيل الجديد .

وقد ظهر في أوائل القرن العشرين بابان من أبواب سور القاهرة الذى بناه بدرالجمالى أولها باب القنطرة وقد أصلحت لجنة الآثار برجيه وعملت حوله خندقا ، ولكنها عادت وردمته لأنه كان معيقا لحركة المرور ، ومن جهة أخرى فقد أخذ العامة يلقون أتربتهم وأوساخهم فى الخندق مما جعل منظره قذراً واستدعى ردمه ، والثانى باب البرقية وهو واقع على الشارع المعروف بشارع قطع المرأة الموصل إلى قراقة المجاورين وقد ردمته مصلحة التنظيم أيضاً من أجل إصلاح الشارع .

على أن هذين البابين لا أهمية لهما فى شخص سور صلاح الدين لأنهما ليسا منه ، بل من سور بدر الدين الجمالى ولم يستعملهما صلاح الدين .

وهناك نقطة أخرى حققها بهجت بك ، وهى أن الجزء الشرقى من مجرى العيون ابتداء من التقاء هذه المجرى بسور صلاح الدين مشيد على بقايا سور صلاح الدين .

ولكن الآن قد أصبح لدينا عدة نقاط من سور صلاح الدين تحدد على وجه قريب جداً من الدقة موقعه الأصيل وتبين مقدار طوله .

١ — جزآن صغيران من السور واقعان بين المهاجر فى الجهة القبلىة من أطلال القسطاط .

٢ — الجزء الذى يحد أطلال القسطاط من الجهة الشرقية وجملة طوله ١١٩٨,٢٥ متراً منها ٣٥٧ متراً كشفها بهجت بك أو ٨٤١,٢٥ متراً كشفها الهوارى وبه باب واثنى عشرة دعامة ( لم يكن مكشوفاً منه عندما كتب الكاتب كريسويل وصفه الوجيز إلا ٣٥٧ متراً ) .

٣ — جزء ضائع هدمه عمال المهاجر ولم يبق منه شيء مطلقاً يبلغ طوله وكان على امتداد الجزء السابق إلى الشمال .

- ٤ — جزء لم يكشف بأجمعه ولكن بهجت بك عين فيه عدة نقاط بمجسات عملها على امتداد الجزء المكشوف .
- ٥ — جزء من السور أقيم فوقه جزء طويل من مجرى الميرون وهو المجاور لقلعة الجبل .
- ٦ — جزء كبير من السور مشيد فوقه عدة مساكن من قرب باب الوزير إلى قرب الدراسة .
- ٧ — النهاية البحرية من الجانب الشرقى للسور، وتنتهى ببرج الظفر .
- ٨ — جزء يبدأ من برج الظفر متجهاً إلى الجهة الغربية حيث يختفى السور تحت الأرضية .
- ٩ — جزء يبدأ من نقطة اختفائه تحت الأرضية إلى باب النصر .
- ١٠ — من باب النصر إلى برج سلم باب الفتوح وطوله ٢٥٨ متراً و٦٩ سنتيمتراً .
- ١١ — من باب الفتوح إلى شارع الجيش .
- ١٢ — عرص شارع الجيش .
- ١٣ — من الضفة الغربية لشارع الجيش إلى جامع أولاد عنان وهذا الجامع في موضع جامع القس الذى كان مشرفاً على النيل وبه عدة أجزاء بين المساكن مرسومة في خريطة القاهرة ( ١ : ٥٠٠٠ ) ذكرها الأستاذ كريزويل
- ١٤ — الجزء المحاذى للنيل من جامع القس إلى فم الخليج .
- فإذا جمعنا هذه الأربعة عشر جزءاً بعضها إلى بعض ألفينا أن طول سور صلاح الدين كان ٢٥٠٠ متراً تقريباً به جزء صغير في الجهة البحرية من سور بدر الدين الجمالى وهى من الخليج المصرى إلى شرقى باب النصر<sup>(١)</sup> .

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة : الجزء ٦ ص ١٧٦ و ١٧٧ .

وراجع

A Brief Chronology of the Muhammadan Monuments of Egypt to A. D. 1517. professor K. A. C. Creswell.

## أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدي الملقب بهاء الدين

### مشيد القلعة

لا تكاد مصادر التاريخ تذكر شيئاً واضحاً عن نشأة قراقوش . إذ كل ما يعرف عن نشأته أنه فتي رومي خصي ، ولد ببلاد آسيا الصغرى ، وكبر بها ثم اتصل بأسد الدين شيركوه ، وكان هذا الضابط يعمل هو وأخوه نجم الدين أيوب في خدمة ملك عظيم من آل زنكي ، هو عماد الدين المعروف بالشهيد ، ثم مات هذا الملك ، وخلفه على حكم الشام ولده نور الدين محمود ، فقرب هذين الضابطين الآخرين ، وانتفع بهما اتفاقاً عظيماً .

وفي دمشق تسمى الفتي الخصي بأمم بهاء الدين عبد الله الأسدي . فأما تسميته بابن عبد الله . فكناية عن أنه لا يعرف له أب مسلم . وأما وصفه بالأسدي فنسبة إلى أسد الدين شيركوه ، ولعله اشترى هذا الفتي بماله وتملكه ثم اعتقه ، أو لعله نسبته لنفسه لأن الفتي أسلم على يده . والولاء كان في العرف بطرق ، من أهمها هاتان الطريقتان ، وكثيراً ما يكون بهما معاً . ثم لما مات أسد الدين ، واتصل الفتي بخدمة ابن أخيه صلاح الدين ، صار يدعى بهاء الدين بن عبد الله الأسدي الناصري .

والظاهر أن رجال الجيش في دمشق كانوا قد أنسوا من هذا الفتي الرومي رشداً ووجدوا في أخلاقه ميلاً إلى الشدة والصلابة ، والقدرة على مواصلة العمل فأدنوه منهم ومنحوه الرتب العسكرية التي شجعتهم على خدمتهم ، وضربوا به المثل في الصبر والجلد والمثابرة ، فما لبث بهاء الدين قراقوش أن أصبح أميراً من أمراء الجيش ، الذي كان يرأسه أسد الدين شيركوه ، وهو الجيش الذي دخل مصر يوم دعى نور الدين إلى التدخل في شئونها ، وإلى تهدة الأحوال بها ، ثم إلى ضمها جملة إلى التاج الأتابكي ، فذهب إليها أسد الدين ومعه ابن أخيه صلاح الدين ، وبصحبتهم ذلك الفتي الرومي ، الذي شهد بعينه انهيار الدولة الفاطمية ، وقيام الدولة الأيوبية .



## قراقوش في حراسة القصر الفاطمي

وفي عام ٥٦٤ هجرية اضطرب رجال القصر الفاطمي ، وعمهم الذعر والفزع ،  
وسعى بينهم من حذرهم عاقبة الوزارة الجديدة ، وهي وزارة صلاح الدين .

ومن أجل ذلك دبرت المؤامرات في داخل القصر وخارجه ، وأخذت هذه  
المؤامرات تظهر واحدة فواحدة ، وكانت أولاها مؤامرة داخل القصر الفاطمي ،  
دبرها خصي أسود اسمه «المؤتمن» ، أراد بها إسقاط صلاح الدين والقضاء على جنده  
وعلى من أتوا معه من أهله وعشيرته . وكاد النجاح يكتب لهذه المؤامرة لولا سيف  
الملك شمس الدولة بن أيوب وهو الأخ الأكبر لصلاح الدين .

في هذه الآونة فكر المؤتمن ورجاله أن يملثوا أيديهم من ذخائر القصر  
الفاطمي التي توشك أن تضيع منهم إلى الأبد ، وكان من أغراضهم في ذلك أن  
يستعينوا ببعض ثمنها على تشجيع الجند ، وتوفير المال اللازم لرجال المؤامرة .

عرف ذلك صلاح الدين ، فلم يمض وقت طويل حتى هداه تفكيره إلى بهاء  
الدين قراقوش ، فجعله متولى القصر الفاطمي ، يحرسه ويصون ذخائره ، على كثرتها  
ودقتها وسهولة حملها وإمكان إخفائها .

ثم مات الخليفة الفاطمي . وكان صلاح الدين قد انتهى من قطع اسمه من الخطبة  
وذكر اسم الخليفة العباسي بدلا منه فربيع من بالقصر . وتولاهم الخوف والفزع .  
فدعا السلطان الملك الناصر صلاح الدين صديقه بهاء الدين قراقوش . وزوده  
بالأوامر لمواجهة الحالة الجديدة . منها أن تزداد عنايته بالقصر . فلا يخرج منه شيء  
أويدخل فيه شيء إلا بإذنه . ومنها أن يضاعف الحيلة من أهل الخليفة وذوى قرابته ،  
وأن يخرجهم من القصر إلى مكان عينه له ، ترسل إليهم فيه كسوتهم وأزوادهم فنقلوا  
إلى ( دار برجوان ) ، وهي دار كبيرة واسعة بالحارة المسماة بهذا الاسم من حارات  
القاهرة ، ومن تلك الأوامر التي تلقاها الأمير بهاء الدين قراقوش أن يعزل الرجال  
في القصر عن النساء لئلا يتناسلوا ويكثروا ويمتد ظلمهم . فيساعد ذلك على أن  
يعيدوا الدولة الفاطمية :

فماد الأمير إلى القصر ، وفتح عينيه يومئذ على كنوزه ، فن ملابس وجواهر إلى قلائد ودرر ، إلى ياقوت وزمرد إلى مصوغات ذهبية وأوان فضية ، ومنسوجات مغربية ، و صوان صينية ، وأخرى منقوشة بالمينا ، ومن قطع ثمينة من الخزف ، إلى تماثيل عظيمة من البلور ، على هيئة الوحش أو الطير ، إلى حلل وثياب ، إلى طيب وطرائف ، إلى عقود من الزبرجد والجوهر ، الذي لا نظير له في العالم كله ، إلى تحف مصنوعة من خشب الصندل والعود والأبنوس ، إلى بسط خيوط بالذهب والفضة ، إلى ستائر وأغطية من الديباج ، وقد نسجت فيها الرسوم الفاخرة ، عدا الأسلحة والسروج ، والخيم والبند وأما العرش الفاطمي نفسه فكان مرصعاً بالدر والجوهر ، وكانت عتيانه مغطاة بالذهب الخالص .

أما خزانة الكتب فقد ذهب المؤرخون أيضاً إلى أنه لم يكن في جميع بلاد الإسلام أعظم منها ، فقد كانت بالقصر مكتبة مفرسة ، فقيل يوماً للأمير بهاء الدين قراقوش : إن هذه الكتب قد عاث فيها العث ولا بد من تهويتها وإخراجها من الرفوف إلى أرض الخزانة . وكان قراقوش لا خبرة له بالكتب ، ولا دراية له بأسفار الأدب ، فأخرجها ، ثم ظهر أن هذا الطلب إنما كان حيلة مدبرة من تجار الكتب ، يريدون بها تفريقها ونخاط أنواعها ، فتم ذلك ، واختلطت كتب الأدب بكتب النجوم وكتب الشرع بكتب المنطق ، وكتب الطب بكتب الهندسة ، والكتب المجهولة بالكتب المشهورة .

وكان في خزانة الكتب مؤلفات يشتمل كل كتاب منها على خمسين أو ستين جزءاً مجلداً إذا فقد منها جزء لا يخلف أبداً ، ففرق الدلالون هذه الأجزاء ، لنقل قيمة الكتب وتباع بأبخس الأثمان ، هذا مع أنهم كانوا يعرفون مواضع أجزائها ويستطيعون جمع شملها بعد شرائها .

وكان الأمير قد استأذن مولاة صلاح الدين في بيع هذه الكتب الهائلة ، فأذن له السلطان في بيعها ، ولم يظهر حرصه عليها ، لما زعم يومئذ من اشتغال أكثرها على كتب في عقائد الشيعة الفاسدة وآرائهم الدينية المتطرفة ، وهو إنما أتى إلى مصر لأغراض من أهمها محاربة هذه العقائد والآراء حتى لا يبقى في مصر من يعيل إليها ، أو يأية لها .

فعمل الأمير بأمر مولاه في الكتب ، كما عمل بأمره في غير الكتب وجعل لبيعها في القصر يومين من كل أسبوع ، واستمر البيع فيها وفي ذخائر القصر مدة طويلة .

وكذلك نجح الأمير قراقوش في القيام بهيمته ، لحافظ كل المحافظة على نفائس القصور وذخائرها ، وبذل عنايته في صونها ، وكان آمينا كل الأمانة في بيعها ، وجمع المال الحاصل من ثمنها ، وإذا صح أنه غلب على أمره في شيء من ذلك كله ، فهو «خزانة الكتب» وله في ذلك عذران واضحان : أولها جهله بقيمة هذه الكتب ، وثانيها خوف صلاح الدين من هذه المكتبة وإساءته الظن بها إساءة جعلته لا يهتم من أمرها أكثر من جمع المال الحاصل من بيعها .

فاحتال في اقتناء هذه المكتبة ، وفي انتهاز هذه الفرصة النادرة ، كثيرون من التجار وأهل الأدب ، وكان نصيب القاضي الفاضل منها نصيب الأسد ، فقبل إنه ظفر يومئذ بألوف من الكتب ، أسس بها مدرسة نخمة سماها باسمه ، وخدم بها مذهب السنة ، الذي انهارت بسببه دولة ، وقامت له دولة ، وأتى صلاح الدين كما قلنا للنشر والقضاء على جميع المذاهب التي كانت تناقضه .

## قراقوش منشئ الأعمال الحربية

احتاج السلطان صلاح الدين إلى منشآت حربية ومدنية كان من أهمها إذ ذاك إقامة الجسور ، وتطهير الترع ، وتشديد القلاع والأسوار المحيطة بالبلاد ، لتقيها شر الغارات التي تأتي إليها من جانب الفرنج تارة ، والشيعية المنبئين في بقاع كثيرة من العالم الإسلامي تارة أخرى .

ولعل أول ما أقام الأمير من ذلك قلعة الجبل ، بناها على قطعة مرتفعة تنفصل من جبل المقطم وتشرف منها على القاهرة كلها . ولم يتم فيها السلطان صلاح الدين . وبعد موته سكن القلعة من بعده ابنه العزيز ، ثم في عهد الملك الكامل من ملوك بني أيوب ، تم بناء هذه القاعة العظيمة ، واتخذت منذ ذلك اليوم مقرا للحكومة ، واستمر الحال على ذلك إلى أيام محمد علي : ثم لم يكن إلا في عهد إسماعيل أن انتقلت دواوين الحكومة إلى دور أخرى وسط مدينة القاهرة . غير أنه ما كاد الأمير قراقوش

يفرغ من بناء قلعة الجبل حتى اشتغل في بناء قلعة أخرى يقال لها قلعة المقس وهي برج كبير بناه الأمير على النيل . وبني بالقرب منه أبراجا أخرى على النمط الإفرنجي لا النمط البيزنطي ، وسبب ذلك فيما يظهر أن صلاح الدين اختلط في أثناء الحروب الصليبية بالفرنج المقيمين بالشرق في أثناء هذه الحروب وعرف كيف يبنون قلاعهم وحصونهم ، ووازن بينها وبين حصون الفاطميين وقلاعهم فظهر له أن حصون الفرنج أصلح من الوجهة الحربية . ثم ما كاد الأمير يستريح أيضاً من بناء هذه الأبراج والحصون ، حتى شغل نفسه بإقامة سور عظيم حول مصر والقاهرة ، قطع الحجارة له من الأهرام الصغيرة وبناء تجاه الجزيرة على مسافة بعيدة منها .

أقبل الأمير قراقوش على بناء السور وبني فيه جامعاً ، وحفر في القلعة بئراً وكانت هذه البئر من عجائب الأبنية . يدور البئر من أعلاها ، وينقل الماء من وسطها ، وتدور أبقار أخرى في وسطها فينقل الماء من أسفلها وجميع ذلك حجر منحوت ليس فيه بناء ، وقيل إن أرض هذه البئر مسامتة لأرض بركة القيل ، وإن ماءها كان عذبا في أول الأمر ، ثم أراد قراقوش الزيادة في ماؤها فوسعها فخرجت منها عين مالحة غيرت حلاوتها ،

وكان هذا السور الذي بناه قراقوش هو ثالث الأسوار التي أحاطت بالقاهرة إلى عهده ، أما الأول فكان قد بناه جوهر الصقلي . وأما الثاني فكان قد بناه الوزير أمير الجيوش بدر الجمالي الفاطمي ، وكان هذان السوران الأولان قد بنيا من اللبن . أما الثالث فقد بناه الأمير قراقوش من الحجارة ووقف عند قلعة المقسى ، لم يستطع أن يصلها بمصر .

بذلك أصبحت لقراقوش خبرة بمثل هذه الأعمال الحربية الجليلة ، وكان السلطان كلما احتاج إلى عمارة قلعة ، أو تجديد حصن ، أو تقوية جسر أو إقامة سور ، أو بناء برج . عهد إليه في هذا العمل ، فقام به على خير طريقة .

ولعل آخر ما قام به من ذلك عمارته لسور عكا سنة ٥٨٥ هـ ، وذلك في أثناء المحنة التي مرت به وبالمسلمين .



## قراقوش وابن مأتى

تلك صفحة الأمير بهاء الدين قراقوش الأسدى ، وتلك أعماله المجيدة وبلاؤه الحسن فى خدمة الدولة الايوبية ، لم نذكرها كلها ، وإنما ألمنا بالمهم منها من جهة وما اتفق عليه المؤرخون جميعاً من جهة ثانية ، فلم نذكر أنه اشترك فى فتوح السلطان صلاح الدين بأوسع من هذا المدى الذى وصفناه ، ولم نذكر أن السلطان العظيم كان يعتمد عليه بين حين وحين فى إخماد الثورات التى كانت تشتعل فى القاهرة نفسها ، دفاعاً عن الدولة الفاطمية التى انتهى أمرها ، وشاء القدر أن تقضى على يديه نحبها .

ولكن شاء القدر أن يسلط على هذا القبس العظيم دخان كثيف يحول بينه وبين الناظرين إليه ، فلا يصل إليهم حتى يؤذى العين منظره ولا يسر النفس أن تدنو منه . وهكذا الشمس المشرقة إذا اصطلحت على إخفاؤها السحب ، بل هكذا الحق الأبلج حين تكتنفه الريب .

ذلك أن أديبا جليل الخطر ، هو ابن مأتى ، عرف أنه كتب فى هذا الأمير كتاباً كله سخرية ، فانتشر الكتاب وذاع ، وتسلى الناس بقراءته ، وتمعنوا بفكاهته . وحات فى أذهانهم هذه الصورة الجديدة محل الصورة القديمة (١) .

ولكن يكفى أن مؤرخاً جليل القدر كان خلجان يقضى على هذه الصورة المشوهة فيما كتبه عن الأمير الجليل . . .

وقد لفظ الأمير قراقوش أنفاسه فى مستهل رجب سنة ٥٩٧ هجرية بالقاهرة وورى فى تربته المعروفة به بسفح المقطم .

---

(١) كتاب حكم قراقوش — الدكتور عبد اللطيف حمزة — مطبعة مصطفى البابى الحلبي .  
وعن هذا الكتاب اقتبسنا ما تقدم .

## ولاية القلعة

أشرفت القلعة على جميع النظم العسكرية ، في خلال حكم الدولتين : الأيوبية والمملوكية ونهض في أرجائها التنظيم الحربي الباهر ، الذي التسمت به الدولة المملوكية في مصر . وقد عرف عن سلاطينها جهادهم المعروف في مقاومة الصليبيين والمغول وكذلك العثمانيين مدة ثلاثة قرون ونيف .

ونحن لا نتناول هنا وصف هذا التنظيم الراقى ، الذى تميزت به جيوش السلاطين المماليك في وادى النيل . بل سنقصر الكلام على أسماء السادة وكبار الموظفين الذين تولوا الإشراف على القلعة ، من حيث الإدارة العسكرية والمحافظة على الأمن فيها .

كان يهيمن على القلعة ، في أيام المماليك ، ضابطان يختصان بوظيفة الإشراف عليها : أولهما نائب القلعة أو والى القلعة ، وثانيهما والى باب القلعة ( كتاب ديوان الإنشاء الذى نقل عنه الأستاذ المستشرق كازانوف ويرجح أن مؤلفه هو صاحب كتاب النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة — جمال الدين أبو المحاسن نغرى بردى )<sup>(١)</sup> .

ويقول كازانوف إن الفصل الأول من هذا المخطوط الهام اشتمل على ذكر الرتب الحربية الست الأولى لقادة الجيش المملوكى المعروفين بأرباب السيف حسب الترتيب التالى :

١ — الأمراء المقدمون الذين يقودون حوالى ألف من المشاة أو مائة من الخيالة<sup>(٢)</sup> .

---

(١) المكتبة الأهلية بباريز — مخطوط رقم ١٥٧٣ .

(٢) قيل للأمراء المقدمين — أمراء مائة مقدمو ألف — والمقصود بتلك النسبة المركبة وظيفه واحدة .

وكان أصحاب هذه الرتبة أعلى مراتب الأمراء . وشوهد أصحاب هذه الرتبة ، أيام المماليك ، يتولون جميع المناصب العليا بمصر ، أمثال نائب السلطنة ، ونائب الغيبة ، ونائب الوجه البحرى والدوا دار الكبير والأستادار ونائب حلب وما يضارع ذلك من الوظائف الكبرى .

٢ — أمراء الثمانين أو السبعينات الذين يقودون ثمانين أو سبعين

٣ — أمراء الطبلخانة ( الفرقة الموسيقية ) ويقودون أربعين<sup>(١)</sup>

٤ — أمراء العشرات<sup>(٢)</sup>

٥ — أمراء الخمسات قادة الخمسة<sup>(٣)</sup> .

٦ — الجند وهم يكونون جنود الحلقة أو الممالك السلطانية .

وقد تكلم المؤلف ، في المقصد الثالث ، عند تناوله الحديث عن أمراء الطبلخانة أنه كان عددهم اثني عشر أميراً يحملون لقب هذه الوظيفة (أمراء الطبلخانة) تاسعهم نايب قلعة الجبل ، وواجبه المنوط به الإشراف على أعمال حراسة الأبواب والأبراج ، والمحافظة على المعتقلين بها والذخيرة ، وعلى فتح باب القلعة وغلقه ، وإليه ترفع المحاكمات في القلعة من عامته ، وهو الذي يدير أعمالها عند خروج السلطان ويلاحظ الأسوار والمنافذ ، وهو الأمر بمهارة ما يحتاج إليه ( المخطوطة المذكورة ) .

وفي المقصد الرابع ، عند ما تحدث عن أرباب الوظائف من أمراء العشرات وكان عددهم ثمانية أمراء — كان خامسهم والى باب القلعة وهو الباب الثاني بعد الباب المدرج وكان مسئولاً عن غلقه وفتحه ومراقبة حراسه وله بالتقرب منها دركة وله جماعة تحت أمره يأمرهم بالأعمال التي يتخيرها لهم .

وقد كان باب القلعة في وقت ما ، الباب الثاني في الأهمية بعد الباب المدرج ، لأن باب السر كان لا يستخدم إلا فيما ندر ، وكان باب القراقة المواجه لباب

---

(١) كان لأمراء الطبلخانة الأحقية في دق الطبول على أبوابهم كما يفعل السلطان وأمراء المئات . ولسكن على صورة مصغرة . ويظهر أنهم كانوا يسمون بأمراء الطبلخانة تمييزاً لهم عن من هم أقل منهم في الرتبة وليس لهم طبلخانة . وفي الوظائف التي جرى إسنادها إليهم وظيفة الدوا دار الثاني ووالى القلعة ووالى القاهرة ونائب الإسكندرية ونائب طرابلس وحام بالشام ( محمد مصطفى زيادة — السلوك ص ٢٣٩ ) .

(٢) كان يشغل أمراء العشرات وظائف والى القسطنطينية وشاد الدواوين ووالى القراقة .

(٣) معظم أمراء الخمسات كانوا من أولاد الأمراء المتوفين ، تعطى لكل واحد منهم هذه الرتبة رعاية لسلفه ، وكانوا يعتبرون من أكابر الأجناد .

المدرج والذي يطل على جبل المقطم من الشرق قد أهمل أمره في القرن الرابع عشر .  
واقد ظلت وظيفة نائب القاعة أو واليها محتفظا بها حتى دخل العثمانيون مصر  
عام ١٥١٧ فأهمل أمرها ولم يصل إلينا إذا كانت قد استبدلت بها أخرى .  
هذه هي واجبات صاحب هذه الوظيفة ، وسنذكر أهم أمراء الجيش الذين  
تقلدوها منذ إنشائها .

١ — الأمير علاء الدين طبرس المنصوري وإلى باب القلعة المنسوب إليه  
العبرة فوق قنطرة انجنون على الخليج الكبير خارج القاهرة ، وكان حاكما حازما  
توفي في عام ٧٠٨ هـ ( ١٣٠٨ م ) .

٢ — علم الدين سنجر الأحمدى متولى قلعة الجبل في أول صفر عام ٧٢٠ هـ  
( ١٣٢٠ م )

٣ — بيبرس الأحمدى ( الأوحدي ؟ ) عين في ٨ صفر ٧٢٠ هـ وعزل .

٤ — كندغلي العمري . ولي القلعة في الثاني من ذي القعدة عام ٧٣٦ هـ  
( ١٣٣٥ م ) .

٥ — وقد ذكر أحد المؤرخين أنه ولي القلعة هؤلاء الثلاثة :

عبد الملك الناصري ( ٧٢٣ هـ — ١٢٣٣ م ) ثم طار نطاي ( ٧٢٥ هـ — ١٣٢٤ م )  
ثم الأمير بهاء الدين ( ٧٢٦ هـ — ١٢٢٥ م ) ثم نقل كندغلي العمري في ١٥ ربيع  
الأول عام ٧٣٨ هـ ( ١٣٣٧ م ) إلى نيابة البيرة . وفي ٢٠ منه عين عز الدين أيدير  
الزراخ أمير جاندار .

٦ — سيف الدين أيدق . عين في أول ربيع الأول عام ٧٤٠ هـ ( ١٣٢٩ )  
وعين على باب القلعة أرغون شاه أمير عشره وهو أول من يقابلنا من الموظفين  
الذين شغلوا هذه الوظيفة .

٧ و ٨ — وفي عام ٧٥٣ هـ ( ١٣٥٢ م ) عين اثنان على ولاية القلعة هما الأمير



أرنان والأمير قطلوبغا الذهبي، كما عين آخران على ولاية باب القلعة وهما الأمير كشلي السلاح دار وعلى المارداني.

٩ — وفي أيام السلطان شعبان الثاني (٧٦٤ — ٧٧٨ هـ) كان على القلعة سيف الدين المارداني الذي مات في عام ٧٨٩ هـ وكان قد ألهم عليه بإمرة طبليخانة كما ذكر المؤرخ الجوهري.

١٠ — وقد ذكر مؤرخ آخر اسماً للأمير سراج الجشبعجاوي، عين على القلعة عام ٧٨٥ هـ (١٣٨٣ م) عوضاً عن طشتمر المظفري بعد أن أضيف إليه إمرة طبليخانة وقد مات سراج عام ٧٩٠ هـ.

١١ — وكانت مدة خلفه الأمير سبيع قصيرة في ولاية القلعة وقد سماه الجوهري والي القلعة.

١٢ — بحّاس النوروزي نائب القلعة. وهو الذي وكل إليه في ٢٧ صفر عام ٧٩١ هـ التأكد من شخصية الخليفة المتوكل.

١٣ — قطلوبغا السيفي — ٧٩١ هـ — ١٣٨٨ م.

١٤ — جابان أخى مامق.

١٥ — صارم الدين إبراهيم بن يلغا ٧٩١ هـ وحكم عليه بالسجن في عام ٧٩٢ هـ ثم أفرج عنه وخلع عليه وأعيد إلى وظيفة ولاية القلعة.

١٦ — لما جلس السلطان برقوق على العرش في عام ٧٩٢ هـ عين الأمير سودون النظامي نائباً للقلعة.

١٧ — في عام ٨٠٢ هـ (١٣٩٩ م) عين الأمير قاري الإسفغاري والياً للقلعة.

١٨ — الأمير كشيغا الجمالي (٨١٣ هـ — ١٤١٠ م).

١٩ — شاهين الرومي (٨١٤ هـ — ١٤١١ م).

٢٠ — عين الملك المؤيد شيخ — الأمير — بردبك.

٢١ — أسندت ولاية القلعة للأمير أزنبا الزردكاش وكلف بتحصين القلعة وشحنها.

٢٢ — تسلم القلعة الأمير يلغا الناصري.

- ٢٣ — أزد مر حيا (٤) في عام ٨٢٠ هـ (١٤١٧ م) .
- ٢٤ — الأمير طوغان .
- ٢٥ — الأمير أحمد الملطي .
- ٢٦ — في عام ٨٢١ هـ (١٤١٨ م) تولى نيابة القلعة الأمير جقمق العلاني .
- ٢٧ — في عام ٨٢٧ هـ (١٤٢٣ م) ولي تغرى برمش نيابة القلعة .
- ٢٨ — في عام ٨٣٨ هـ (١٤٣٤ م) خلع على ثاني بك نيابة القلعة الذي عزل سنة ٨٤٢ هـ ثم توفي سنة ٨٤٥ هـ (١٤٤١ م) .
- ٢٩ — نصب جقمق النوري على نيابة القلعة سنة ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣٠ — خلع على الأمير ثاني بك البردكي ، أحد أمراء الألف ، بنيابة القلعة في ربيع الأول عام ٨٤٢ هـ (١٤٣٨ م) .
- ٣١ — وفي عام ٨٤٩ هـ (١٤٤٥ م) عين تغرى برمش الفقيه — ويحتمل أن يكون هذا الوالي نفسه الذي ولي القلعة المرة الأولى في عام ٨٢٧ هـ . وقد نفى إلى القدس في العام ذاته .
- ٣٢ — وولي في مكانه الأمير سيف الدين يونس بن عبد الله العلاني الناصري الأمير أخور في ١١ صفر عام ٨٤٩ هـ وقد مات بالطاعون عام ٨٦٤ هـ (١٤٥٩ م) .
- ٣٣ — وفي عام ٨٥٧ هـ (١٤٥٣ م) ولي قانباي الأعمش الناصري عوضا عن يونس . وكان أصله من مماليك الناصر فرج .
- ٣٤ — بعد موته قرر تعيين سودون النوروزي الساجدار . وتوفي في السبعين من عمره ، وكان من مماليك نوروز الحافظ نائب الشام . جعله الملك الأشرف إبنال نايب قلعة الجبل بعد موت قايتباي . فدام في النيابة إلى أن مات سنة ٨٦٢ هـ (١٤٥٧ م) .
- ٣٥ — استقر كسباي المؤيدي .
- ٣٦ — في عام ٨٦٥ هـ (١٤٦٠ م) عين خير بك القصري ، وفي أيامه غادر مقره في باب المدرج ، وبقي باب القلعة بغير ضابط .
- ٣٧ — عين سودون البردكي الفقيه المؤيدي عام ٨٧٢ هـ (١٤٦٧ م) وعزل .

- ٣٨ — تولى النيابة تغرى بردى ططر الظاهرى .
- ٣٩ — وفى عام ٩٠٣ هـ ( ١٤٩٧ م ) نصب ميمرس على نيابة القلعة .
- ٤٠ — تولى الامير قانباك أبوشامة .
- ٤١ — فى عام ٩٠٥ هـ عين جانبلاط .
- ٤٢ — خلع على الامير أرزمك وصار نائب القلعة عوضاً عن الامير جانبلاط .
- ٤٣ — وفى ١٩ شعبان عام ٩١١ هـ ( ١٥٠٥ م ) عين السلطان طومان باى الامير طوخ المحدى واليا على القلعة .
- ٤٤ — وفى أوائل عام ٩١٢ هـ ( ١٥٠٦ م ) كان لامير طقطباى نائب القلعة الذى ظل ينهض بأعباء وظيفته إلى ٢٠ رمضان ٩٢٢ هـ ( ١٥١٦ م ) حين عين كبيراً لامناء السلطان ( حاجب الحجاب ) وأخلع على ثنائى بك الاشرفى .
- ٤٥ — ثنائى بك الاشرفى .
- ٤٦ — الامير خير الدين ، أحد أمراء الجيش وكان آخر نواب القلعة على عهد السلاطين المماليك ( ١٥١٧ ) .
- وبانتهاء الحكم المملوكى ، قضى على هذه الوظيفة الجليلة .

## القسم الثانى

### قلاع مجيدة

شيدت فى العصر الإسلامى

- ١ - قلعة صلاح الدين فى سيناء .
- ٢ - قلعة فرعون فى خليج العقبة .
- ٣ - قلعة المقس .
- ٤ - قلعة جزيرة الروضة .
- ٥ - قلعة الطور فى سيناء .
- ٦ - قلعة نخل فى سيناء .
- ٧ - قلعة العقبة على خليجها .
- ٨ - قلعة العريش فى سيناء .
- ٩ - قلاع الإسكندرية وأسوارها .
- ١٠ - قلعة قايتباى فى الإسكندرية .
- ١١ - حصون دمياط .
- ١٢ - قلعة قايتباى فى رشيد .
- ١٣ - قلعة البرلس .



## قلعة صلاح الدين في سيناء

(٥٨٣ - ١١٨٧ م)

رأس الجندي تل صغير يعلو ٢١٥٠ قدماً فوق سطح البحر ويرتفع ٥٠٠ قدم فوق السهل المستوي المجاور له . هو ذو شكل فريد وموقع حاكم يحولاه هيئة طبيعية ظاهرة على بعد ثلاثين كيلومتراً . ويعتبر رأس الجندي أكمة منفصلة عن جبال واحة الكلسية التي تؤلف حاجزاً منيعاً بين الجزء المتوسط لسيناء الشمالية وخليج السويس .

ويقع رأس الجندي على رأس وادي البروك أحد الأفرع الرئيسية لوادي العريش الذي يشغل سهلاً فسيحاً يمتد إلى جميع المنطقة الوسطى لسيناء الشمالية . وإلى جنوب وادي الصدر الذي يخترق سلسلة جبل راحا ويفتح له سبيلاً نحو السهل الساحلي لخليج السويس .

وفي وادي صدر وعلى بعد خمسة كيلومترات من القلعة التي سنتحدث عنها تقع عين صدر الطبيعية ذات المياه العذبة التي تمتاز بها . وموقع القلعة لا يبعد أكثر من عشرين كيلومتراً عن طريق الحج القديم الذي يبتدىء من السويس وينتهي إلى العقبة ماراً بنخل . وكان الطريق الوحيد الموصل بين خليج السويس إلى شمالي سيناء وبلاد العرب .

ولذلك اشتمل هذا التل الصغير على أهم العناصر التي يتطلبها الموقع العسكري أولها القرب من المياه الوفيرة وثانيهما الإشراف التام على الطرق الهامة وسهولة المواصلات .

### وصف القلعة

نستطيع أن نصف الموقع الطبيعي الذي تقع عليه هذه القلعة إذا اقتربنا قليلاً من رأس الجندي ، فهذا التل تظهر روعته عن بعد . فهو على شكل مخروطي ذي قمة مسطحة وجوانب صخرية حادة جداً .

والجزء الاصلى من التل كبقية جبل راحا ذو طبيعة طباشيرية التكوين لا يمكن تسلق جوانبه الشرقية والغربية، وإن كان الصعود على منحدره الشمالى أو الشمالى الغربى بصعوبة .

فإذا اتخذنا طريقنا ممتازين درياضيقاً ملتويًا وسرنا فى بعض أجزاء الدرب القديم نحو المنحدر الشمالى والشمال الغربى وصلنا إلى قمة التل ، ووجدنا أنفسنا أمام جدار يتراوح سمكه بين مترين أو ثلاثة مبنى بالحجارة الجافة ، وراءه خندق كان يمتلىء بالمياه يبلغ اتساعه خمسة أو ستة أمتار ويدور هذا الخندق حول الأكمة من ناحيتها الشمالية والشمالية الغربية فيزيد فى منعها ووقايتها .

إذا عبرنا الخندق صعدنا فوق كتل من الحجارة المبعثرة بدلا من درج السلم التى وجدت فى الأيام السالفة والتى استبقى الزمن بضعة منها لا تزال راقدة فى محالها الاصلية . وإذا صعدنا عشرة أمتار أخرى وصلنا إلى الجدار الاصلى وباب القلعة .

ولنقف لحظة هنا أمام هذا الباب لنقرأ نصاً من الكتابة منقوشاً على عقد الباب المسطح . فى وسط النصف العلوى للعقد نشاهد اللوحة المنقوشة وعلى جانبيها رسم السيف والدرع اللذين اتخذهما السلطان صلاح الدين شعاراً لدولته . وعلى الجزء الأسفل فى المربع الأوسط نشاهد النجمة المسدسة الاضلاع التى كانت على ما يظهر شارة صلاح الدين المحيية إليه ، التى نراها على عملته ، وعلى مبان أخرى شيدت فى عهده . وبقية اللوحات التى من الحجر الجيرى حسنة الشكل ومزورة ببعضها البعض على الطريقة الإسلامية المستعملة إلى اليوم .

وتقرأ فى النص المنقوش بحروف ناتئة اسم باني القلعة وتاريخها كما يلى :

« اسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على محمد . خلد الله ملك مولانا الملك الناصر صلاح الدين سلطان الإسلام والمسلمين الملك يوسف بن . . . العادل الناصرى فى جمادى الآخرة سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة . » ( أغسطس ١١٨٧ م ) .

وتخطيط قلعة صلاح الدين مستطيل الشكل يتجه فى اتجاهين : شمال بشرق إلى جنوب بغرب . وطرفها الجنوبي الغربى ينتهى نصف مسدس الاضلاع . ويتراوح ضلع القلعة ما بين مائة وخمسين ومائتى متر طولاً . وأوسع عرض لها يبلغ مائة

متر وسلك سور القلعة الخارجى يبلغ مترين مازال جزؤه الأسفل باقيا . أما زوايا القلعة ( أركانها ) فقد قويت بدعامات مربعة أو مستديرة ، وكانت لكل برج دعامة تسنده .

وقد ضمت أسوار القلعة غرضا صغيرة لرجال ملحيتها ( حاميتها ) وبعضها كانت تستخدم كطابخ أو محلات للغسيل . وقد كان فى صحن القلعة عدة مبان شيدت لأغراض مختلفة على مستويات عدة من الأرض الطبيعية ، لكنها تهدمت ولم تخلف سوى الانقاض . وتشمل هذه المباني :

١ — ردهة مسطحها ٥٠٠ × ٦٠٠ أمتار وعمقها خمسة أمتار . وهى تحت مستوى الأرض الطبيعية ، ومن المحتمل أنها كانت مخزنا للشونة أو مكانا للاجتماع فى أثناء الشتاء .

٢ — مسجد بدون سقف ، وفى جداره الشرقى قبلة . وعليها كتابة منقوشة للبسملة .

٣ — صهريج تحت الأرض يحتوى على خزان حجمه ٦٠٠ × ١٠٠ × ٥٠ من المتر مازالت جداره تحتفظ بطبقة من الملاط الجيد ، وله فتحتان إحداهما لإدخال المياه منها ومتصلة بمجرى ( سرداب ) لتصريف المياه إلى داخل القلعة ، والأخرى مستديرة وضيقة لا يشك أنها كانت تعمل لسحب المياه منها . وقد كانت فوق الفتحة الأولى كتابة منقوشة بقيت منها البسملة وكلمة « صهريج » واسم ، صلاح الدنيا والدين . ويتفق أسلوب الكتابة مع الكتابة الأخرى التى ذكرناها على باب القلعة .

٤ — وأكمل أجزاء القلعة التى مازالت محتفظة برواقها القديم ، المسجد وفى أسفله صهريج للمياه لتحتفظ ببرودتها اللطيفة فى تلك المنطقة الصحراوية الحارة فى فصل الصيف ، والصهريج مبنى على الطريقة المشيد بها الصهريج السابق الذكر ولا يشتمل على كتابات منقوشة .

ومسطح المسجد ١٢٠٠ × ٦٠٠ من الأمتار وبجانبه الغربى باب له درجتان أو ثلاثة . والقبلة التى فى جداره الشرقى مزخرفة وقد كتبت عليها البسملة على أرضية

من الملاط القرمطي اللون ( Pink ) . وللمسجد في جداره الشمالي نافذتان ، و نافذة في جداره الجنوبي . وكانت هناك في الزاوية الجنوبية الغربية منارة صغيرة كما يستدل من الأساس المريح وتري آثار بعض الدرجات في الداخل وهي تحدد مكان المنبر على يمين القبلة . وكانت فوق عتبة الباب الخارجي للمسجد لوحة على السكتبة الآتية :

« بناء استعمله الملك الناصر صلاح الدين الملك العادل سيف الدين في ذي القعدة سنة ثمان وتسعين وخمسمائة .

وهذا يثبت أن تلك الإضافة عملت بعد انتهاء البناء الأصلي للقلعة بخمسة عشر عاما في أيام السلطان العادل سيف الدين .

هـ — ردهة مسطحها ١٥ متراً تحت مستوى الأرض الطبيعية ذات سقف من العقود المقببة .

### مصدر مياه القلعة

إن مسألة المياه في مقدمة ما يفكر فيه الجندي للجنود ، والذي اختار ذلك الموقع الحربي المنيع ليجعل منه قلعة حصينة لا بد أنه انتخبه بعد درس مسألة المياه في تلك البقعة الصحراوية .

هناك على بعد خمسة كيلومترات من قلعة صلاح الدين عين مياه اسمها عين صدر هي التي أمدت المسلحة بالمياه التي احتاجت إليها . وهي ما زالت إلى اليوم ياتجىء إليها كل من اجتاز الصحراء عن طريقها . بعد هذه العين وصعوبة الحصول على مياهها جعل رؤساء الجند يفكرون في طريقة أخرى لاستجلاب المياه ، فعمدوا إلى الانتفاع بمياه السيل المنهمة بغزارة في أثناء الشتاء في وديان تلك الجهة ، واختاروا واديا عميقا يعبر قريبا من القلعة من ناحيتها الشمالية وشيدوا سدا في عبه يحجز مياه السيل . وكان طول ذلك السد عشرين متراً وعلوه عشرة أمتار ، ويختلف سمكه من متر في عاليه إلى خمسة أو ستة أمتار في أسفله . ولتقويته شيدت دعامتان في منتصفه ، وما زال هذا السد المنيع قائماً إلى اليوم يشهد بمثانة بنائه وتصميمه .



وقد امتلأ الوادى فى خلف هذا السد ببقايا الرمال والأعشاب التى تحملها السيول  
الغزيرة .

وكانت مياه عين صدر ومياه السد تحمل على ظهور الجبال أو الخيول إلى سفح  
الأكمة التى شيدت فوق قمتها القلعة ، ثم تحمل على ظهور الرجال إلى أعلى الحصن  
لتخزن فى الصهاريج . ولا شك أن هذا كان مجهوداً شاقاً لرجال الحامية بجانب  
عملهم العسكى .

## أسباب بناء القلعة

والآن لنسأل أنفسنا هذا السؤال .

ما الذى دفع صلاح الدين إلى بناء تلك القلعة فى قلب الصحراء ؟ وما الذى دعا  
أخاه العادل بعد خمسة عشر عاماً إلى إضافة مبان أخرى ثم يأتى إليها بنفسه لزيارتها .

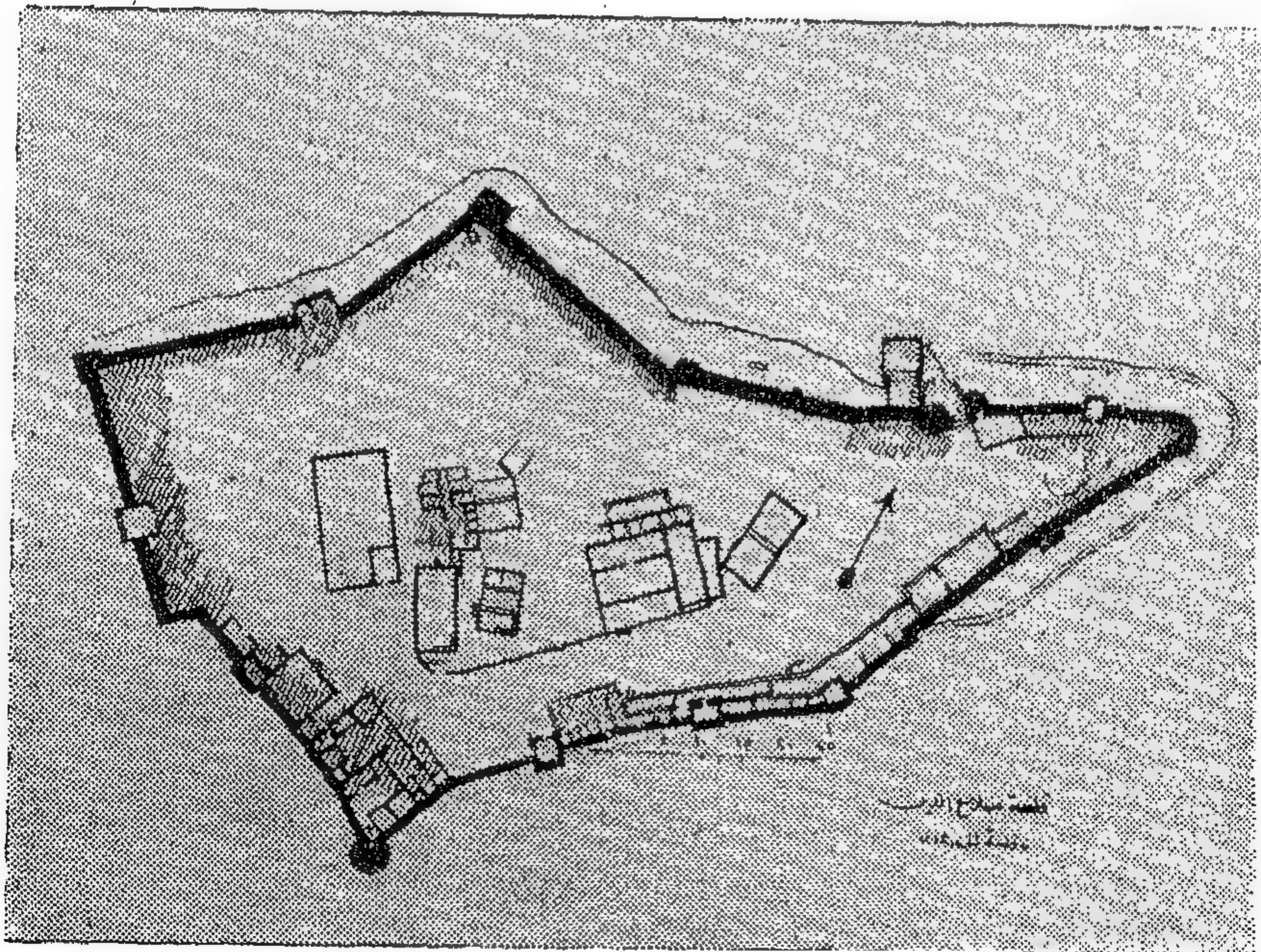
كان « ريجنالد دى شاتيلون » أمير الكرك من أعداء صلاح الدين بين  
الصليبيين . وقد أراد الشروع فى فتح بلاد العرب والاستيلاء على مدينة النبي ﷺ  
والكعبة . ولكى يحقق أغراضه اتصل بيدوسينا بالرشوة . فاستطاع بمعاونتهم  
أن ينقل قطع أسطوله عبر الصحراء من الكرك إلى خليج العقبة . ثم استولى على  
الميناء المصرية عيذاب أمام جدة وجعلها مقر قرصنته البحرية ، ثم حاصر مدينة أيلة  
( العقبة ) بحراً ومنع كل اتصال خارجى بها . فأمر الملك العادل الذى خلفه السلطان  
صلاح الدين بالقاهرة الحاجب حسام الدين لؤلؤ بالسفر إلى القلزم حيث أعد  
أسطولاً صنعت سفائنه فى مصر والإسكندرية . وسار إلى أيلة وظفر ببعض سفن  
الفرنج وحرقها وأسر من فيها . وسار إلى عيذاب وتبع مراكب الفرنج وبرد أيام  
استولى عليها وأطلق من فيها من التجار المأسورين . ورد عليهم ما أخذ منهم  
وصعد البر ثم أدرك من فر من الفرنج وأسرهم وساق منهم اثنين إلى منى ونحرهما  
فيها ثم عاد بالأسرى إلى القاهرة وضربت أعناقهم .

ولا شك أن تلك الحملة كانت جراًءة عجيبة أقدم عليها أمير الكرك بينما كان  
صلاح الدين مشغولاً بحروبه فى فلسطين . وكان هذا العمل درساً استفاد منه  
السلطان ولم يتركه يمر بدون فائدة .

فن ناحية الانتقام من أمير الكرك فقد هاجمه في عقر داره وانتقم منه أشد انتقام . ولكن ما العمل مع رجال البدو من أهل سيناء . وكيف يقاومهم ؟

رأى أن يشيد هذا المعقل الحصين في قلب ديارهم لكي يستطيع بجنوده البواسل تأديبهم ويقضي على مؤامراتهم اللعينة . فأمر بتشيد قلعته المنيعة والتي بدأ في بنائها حوالي عام ( ١١٨٣ أو ١١٨٤ م ) وكان انتهاءه منها في عام ١١٨٧ وهو ما يتفق مع التاريخ الهجري المنقوش على الباب .

وفي ذلك الحين كان صلاح الدين قد نقل مقر حكمه من القاهرة إلى دمشق وخلف أخاه العادل لينوب عنه في حكم الديار المصرية . فقام العادل بتشيد القلعة . ولما توفي صلاح الدين وتولى الحكم عام ( ١١٩٣ ) زاد العناية بالحدود الشرقية ومراقبة البدو فزار القلعة عام ١٢٠٢ هـ بعد أن أمر ببناء المسجد والصهريج كما احتفظ بحامية تحمي البلاد .



١ - قلعة صلاح الدين في شبه جزيرة سيناء

## قلعة فرعون

فى خليج العقبة ثلاث جزر . جزيرة تيران و جزيرة فرعون و تبعد هذه الأخيرة ثمانية أميال من مدينة العقبة . وهى جزيرة صغيرة محيطها نحو ألف متر مؤلفة من أكتين صغيرتين بينهما فرجة ضيقة وبينها وبين شاطئ سيناء نحو ٢٥٠ متراً .

وعلى قمتى الأكتين خرائب قلعة قديمة لم يبق منها سوى صهاريج الماء ومخزن الغلال والذخائر ومنازل الجنود . وفى جدرانها المزاغل لضرب النار . وهى الآن خرائب لا يسكنها أحد . وكان يحيط بها سور منيع له باب إلى جهة سيناء .

وقد ذكر بعض السياح الإفرنج أنه مر بالجزيرة فى أواسط القرن الماضى فرأى حجراً فوق الباب عليه اسم مشيد القلعة وتاريخ بنائها ، ولكن هذا الباب قد تهدم ، كما تهدم السور . ويرجح أن يكون بناء القلعة قد تم بأمر صلاح الدين الأيوبي ، وأنه قد بناها لمقاومة الصليبيين . وهى تشبه فى بنائها قلعة صلاح الدين ( قلعة الجندى ) فى جوار عين سدر . وقيل إن أرباط أمير الكرك حاصرها بسفنه عام ١١٨٢ م إلى أن انتصرت عليه قوات الأيوبيين . ثم هجرت بعد ذلك بمائة عام واكتفى بقلعة العقبة (١) .

## قلعة المقس

ذكر المقرئى أن صلاح الدين أمر بهاء الدين قراقوش ببناء برج كبير على النيل عام ٥٧٠ هـ . وقد دُشِفَ ، هذا البرج فى سنة نيف وثمانين وستمائة . وكان يقع فى محل قنطرة الخلفاء بجوار جامع المقس فى نهاية سور القاهرة عند باب البحر ويقال له قلعة المقس (٢) . وعلمها اليوم المكان القائم عليه عمارتا الأوقاف و رانب باشا المجاورتان لجامع أولاد عنان من الجهة البحرية الشرقية بميدان رمسيس ( باب الحديد ) .



مسطح جزيرة فرعون

عملت بمعرفة ابيكباش  
مطعم اخندي مرزي

١٨٩٢



منظر جزيرة فرعون من عدة نقاط مختلفة





## قلعة جزيرة الروضة

٥٦٣٧ - ١٢٤٠ م

من الصعب معرفة العهد الذي وجدت فيه جزيرة الروضة . ولكن أثبت بعض قدامى المؤرخين أنها لم تكن موجودة في العصر الفرعوني . ولم تذكر جزيرة الروضة كموقع له أهمية حربية إلا في عصر الفتح العربي . فقد كانت في ذلك العهد ذات حصون ومنعة كانت تزيد في قوة حصن بابليون وخطره الحربي ، لأنها كانت وسط النهر تملك زمامه ، وقد لاذ بها زعماء الروم عند محاصرة الحصن وأقاموا داخل أسوارها المنيعة المحيطة بها من جميع جهاتها بين البساتين والحدائق الجميلة في انتظار الفرج الذي لم يأت .. فطلب المقوقس الصلح . وقد دارت مفاوضات الصلح بين رسل القائد عمرو بن العاص وبين مندوبي المقوقس في هذه الجزيرة أولا . فلما فشلت هذه المفاوضات غزا العرب تلك الجزيرة وهرب الروم ، منها وبعد ذلك تم الصلح في حصن بابليون كما هو معروف . وعند ذلك دك عمرو أسوارها وحصونها فبقيت مجردة عاطلة خربة حتى أيام ابن طولون .

ففي إمارة أحمد بن طولون ( ٨٧٠ - ٨٨٤ م ) أعاد بناء أسوارها وحصونها ( ٨٧٦ م ) وجعلها مقراً لخزائن أمواله واتخذ فيها القصور . وكان سبب ذلك مسير موسى بن بغا العراقي من العراق ليتقلد الولاية على مصر . فلما بلغه الأمر استعد لحربه . فتناقل موسى عن المسير خوفاً من الهزيمة وأصيب بعلّة طالت به وكان بها موته . فكفى ابن طولون أمره . ولم يزل ذلك الحصن على الجزيرة حتى احتواه النيل شيئاً بعد شيء ، وقد بقيت منه بقايا إلى أيام القرن الخامس عشر (١) .

وما زال حصن الجزيرة عامراً أيام الأسرة الطولونية ، وأنشئت فيه دار صناعة السفن الحربية وكان فيها محل ديوان الجهاد ، فلما تقلد الأمير محمد بن طنج الإخشيد

---

(١) للقاضي ابن عمر وعثمان النابلسي كتاب عن هذا الحصن سماه « حصن السيرة في اتخاذ الحصن بالجزيرة » مفقود الآن ذكره المؤرخ القرظي في الخطط ونقل عنه ( ج ١ ص ٣٢٦ طبعة بولاق ) وذكره أيضاً السيوطي في كوكب الروضة .

إمارة مصر ( ٩٣٤ — ٩٤٦ م ) هزم جيش مصر الذي أعده أحمد بن كينغلغ وأقبل في سفينة إلى القسطنطينية فاستولى عليها، ثم أرسى بجزيرة دار الصناعة وحرقها . ثم نقل محمد بن طنج دار الصناعة إلى ساحل القسطنطينية وألشأ موضعها في الجزيرة بستانا وداراً سماها المختار .

ثم عرفت الجزيرة بالروضة نسبة إلى البستان الذي ألشأ في نهايتها البحرية الأفضل شاهنشاه بن أمير الجيوش بدر الجمالي في سنة ٥٤٩٠ هـ — ١٠٩٦ م وسماه الروضة . وما برحت جزيرة الروضة منزها ملكيا ومسكنا للناس إلى أن ولي الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل سلطنه مصر في عام ( ٦٣٧ هـ — ١٢٤٠ م ) فألشأ القلعة بالروضة فعرفت بقلعة المقياس وبقلعة الروضة وبقلعة الجزيرة وبالقلعة الصالحية وبقلعة جزيرة القسطنطين وبقلعة الجيزة كما ذكرها المؤرخ أبو الفداء (١) .

وما هو ما ذكره عن القلعة المؤرخ المقرئ (٢) المتوفى سنة ٨٤٥ هـ ( ١٤٤١ م ) في يوم الأربعاء خامس شعبان عام ٦٣٨ هـ ( ١٢٣٩ م ) : شرع في حفر أساس القلعة وأبتدأ ببنائها في آخر الساعة الثالثة من يوم الجمعة سادس عشر . وفي عاشر ذي القعدة وقع الهدم في الدور والقصور والمساجد التي كانت بجزيرة الروضة وتحول الناس من مساكنهم التي كانوا بها ، وهدم كنيسة كانت لليعاقة بجانب المقياس وأدخلها في القلعة وأنفق في عمارتها أموالا جمة ، وبني فيها الدور والقصور وعمل لها ستين برجاً وأقام بها جامعاً وغرس بداخلها أنواعاً شتى من الأشجار ، ونقل إليها عمد الصوان من البرابي وعمد الرخام وشحنها بالأسلحة وآلات الحرب وما يحتاج إليه من الغلال والأزواد والاقوات خشية من محاصرة الفرنج ، فإنهم كانوا حينئذ على عزم أن يقصدوا بلاد مصر ، وبالع في إتمامها مبالغة عظيمة . وكان الملك الصالح يقف بنفسه ويرتب ما يعمل فصارت تدهش من كثرة زخارفها وتحير الناظر إليها من حسن سقوفها المزينة وبديع رخامها . ويقال إنه كان يقع في الموضع الذي ألشأ فيه هذه القلعة ألف نخلة مثمرة كان رطبها يهدى إلى ملوك مصر لحسن منظره وطيب طعمه .

(١) المختصر في تاريخ البصر ص ١١٩ .

(٢) طبعة بولاق ج ٢ من ص ١٨٣ إلى ١٨٥ .

وقد خرب الهودج والبستان المختار وهدم ثلاثة وثلاثون مسجداً عمرها خلفاء مصر وسراة المصريين لذكر الله تعالى وإقامة الصلوات .

وكان النيل عندما عزم الملك الصالح على عمارة القلعة من الجانب الغربي فيما بين الروضة وبر الجزيرة . وقد انطرد عن بر مصر ولا يحيط بالروضة إلا في أيام الزيادة ، فلم يزل يغرق السفن في البر الغربي ويحفر فيما بين الروضة ومصر ما كان هناك من الرمال ، حتى عاد ماء النيل إلى بر مصر واستمر هناك فأشأ جسراً عظيماً ممتداً من بر مصر إلى الروضة وجعل عرضه ثلاث قصبات . وكان الأمراء إذا ركبوا من منازلهم يريدون الخدمة السلطانية بقلعة الروضة يترجلون عن خيولهم عند البر ويمشون في طول هذا الجسر إلى القلعة ، ولا يمكن أحد من العبور عليه راكباً سوى السلطان فقط . ولما كملت تحول إليها بأهله وحرمة واتخذها دار ملك وأسكن فيها بمالكه البحرية ، وكانت عدتهم نحو الألف مملوك .

وقد قال العلامة علي بن سعيد المتوفى سنة ( ٦٧٣ هـ — ١٢٧٤ م ) في كتاب المغرب في حلى المغرب . وقد ذكر الروضة . . . بنى بها قلعة مسورة بسور ساطع اللون محكم البناء عالي السمك لم تر عيني أحسن منه . . . ولم انفصل عن مصر حتى كمل سور هذه القلعة . وفي داخله من الدور السلطانية ما ارتفعت إليه همه بانها . وهو من أعظم السلاطين همه في البناء . . . وإذا زاد النيل فصل ما بينها وبين القسطة . وفي أيام احتراق النيل يتصل برها ببر القسطة من جهة خليج القاهرة ويبقى موضع الجسر فيه مراكب . وركبت مرة هذا النيل أيام الزيارة مع صاحب المحسن محي الدين بن ندا وزير الجزيرة وصعدنا إلى جهة الصعيد ثم اتحدنا واستقبلنا هذه الجزيرة وأبراجها تتلألاً والنيل قد انقسم عنها .

فقلت :

تأمل لحسن الصالحية إذ بدت	وأبراجها مثل النجوم تتلأ
والقلعة الغراء كالبدر طالما	تفرج صدر الماء عنه هلالا
ووافي إليها النيل من بعد غاية	كما زار مشغوف يروم وصالا

وعانقها من فرط شوق لحسنها      فقد يميناً نحوها وشمالاً  
جرى قادماً بالسعد فاخبط حولها      من السعد أعلاماً فزاد دلالة

وذكر المقرئ أيضاً أن مباني القلعة امتدت إلى مقياس النيل من الجهة الجنوبية .  
ومن مختصر بحوث المؤرخين يتبدى أن هذه القلعة كانت تشغل مساحة من الأرض  
لا تقل عن ٦٥ فدانا واقعة في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة . ومكانها المنطقة  
التي تحد اليوم من الشمال بشارع الملك المظفر . ومن الغرب بنهر النيل ومن الجنوب  
بسلامك قصر حسن فؤاد المناسرتلى باشا وبمقياس النيل . ومن الشرق بسيالة  
جزيرة الروضة . والسلامك المذكور كان موضع الجامع الذي أنشأه أمير الجيوش  
بدر الجالى سنة ٤٨٥ هـ على النيل بجوار المقياس من الجهة الغربية . وعرف بجامع  
المقياس . وكانت بقايا هذا الجامع قائمة إلى سنة ١٢٦٧ هـ — ١٨٥٠ م وفيها أزال  
حسن باشا تلك البقايا . وبني هذا السلامك في مكان جامع المقياس<sup>(١)</sup> .

سكن الملك الصالح هذه الجزيرة مع عماليكه البحرية — وكانت عدتهم ألف  
ملوك — بعد انتقاله من قلعة الجبل . . وقد قال المؤرخ ابن واصل إن بناء تلك  
القلعة استنفد ثلاث سنوات<sup>(٢)</sup> .

ولم تزل قلعة الصالحية عامرة حتى انتهت دولة بني أيوب . فلما ملك السلطان  
الملك المعز عز الدين أيبك التركمانى مؤسس دولة المماليك البحرية بمصر أمر بهدم  
هذه القاعة ليحمر منها مدرسته المعزية التي كانت في رحبة الحناء بمدينة مصر .  
واقتردى به ذوو الجاه فأخذوا كثيراً من سقفها وشبابيكها وغيرها . وبيع من  
أخشابها ورخامها أشياء جليلة .

---

(١) النجوم الزاهرة — ج ٦ ص ٣٢٠ و ٣٢١ من تعليقات المرحوم محمد بك رمزي .  
(٢) السلوك لمعرفة دول السلوك — نشره الدكتور محمد مصطفى زيادة — تعليق ص ٣٠١



### الظاهر بيبرس والقلعة

ثم تولى ملك مصر السلطان الملك الظاهرى ركن الدين بيبرس، فعنى بعمارة قلعة الروضة وأمر الأمير جمال الدين موسى بن يغمور بإعادتها كما كانت . فأصلح بعض ما تهدم فيها ورتب بها فرقة الجاندارية . وردّها إلى ما كانت عليه ووزع أبراجها على الأمراء وأعطى برج الزاوية للأمير سيف الدين قلاوون الألفى . والبرج الذى يليه للأمير عز الدين الحلى . والبرج الثالث من برج الزاوية للأمير عز الدين أرغان وأعطى برج الزاوية الغربى للأمير بدر الدين الشميسى . وفرقت بقية الأبراج على سائر الأمراء ( قادة الحامية ) وأمر أن تكون بيوتات جميع الأمراء ولأسطبلاتهم فيها وسلم المفاتيح لهم .

ولما آل الملك إلى السلطان الملك المنصور قلاوون الألفى ( ٦٧٨ هـ - ١٢٧٩ م ) وشرع فى بناء الماريستان والقبة والمدرسة المنصورية، نقل من قلعة الروضة ما احتاج إليه من عمد الصوان والرخام والاعتاب . كما أخذ منها فيما بعد السلطان الملك الناصر محمد بن قلاوون مما مست إليه . حاجته من عمد الصوان فى بناء الإيوان الكبير بدار العدل فى قلعة الجبل والجامع الجديد الناصرى .

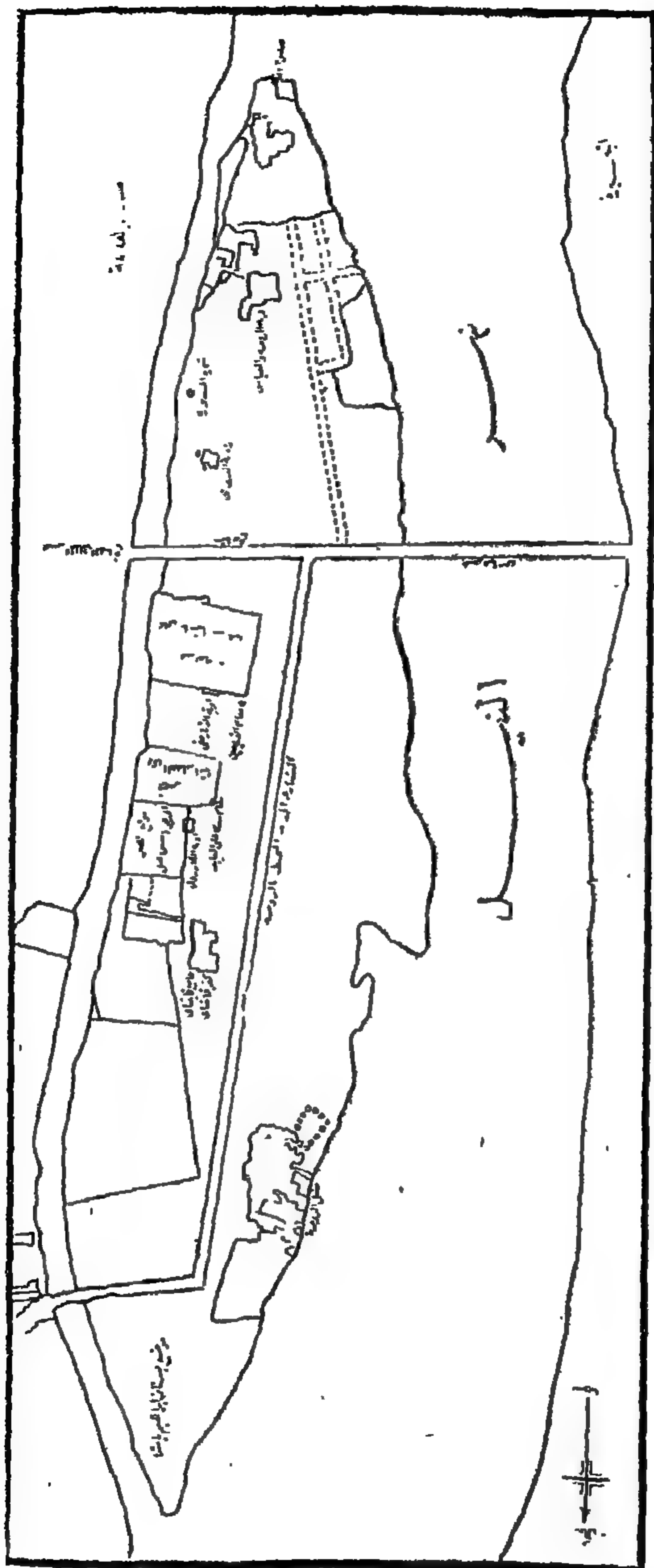
وقد ذكر فى كتاب وصف مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية ( ج ١٠ ص ٤٥٠ و ٤٦٥ ) أنه كان فى الجزيرة على عهد الاحتلال بقايا قصر بالمقياس جهة الشرق ومطل على الفرع الشرقى للنيل عرف بقصر السلطان الملك الصالح نجم الدين . ولم يكن وقتئذ باقيا منه غير قاعة كبيرة تتصل بها عدة أماكن أكثرها خرب ، ولكن يظهر لنا أن الذى أدركه رجال الحملة الفرنسية لم يكن من الأبنية الصلاحية القديمة ، بل كان مما جددّه فيه السلطان الغورى من القاعات والمسكن .

ومما يذكر عن هذا القصر نزول السلطان سليم العثمانى به مدة مقامه بمصر . وقد فضل الإقامة بالروضة ، فانتقل إليها ونزل بالمقياس .

ولما جاء الفرنسيون ( ١٧٩٨ - ١٨٠١ ) حصنوا جزيرة الروضة ووضعوا

عدة بطاريات مدفعية في كل طرف من طرفيها وجعل من المقياس شبه قلعة .  
كما حصنوا شاطئ النيل مقابل الجزيرة لحماية الملاحة النيلية . وجعلوا فم المجرأة  
طابية حصينة سميت طابية المجرأة ( أو السبع سواقي ) واتخذوا من قصر إبراهيم بك  
( قصر العينى ) مستشفى عسكرياً حصيناً يسع ألف مريض وجريح . وألحقوا به  
البيت الذى كان بجواره . وقد عرف وقتئذ بيت محمد كاشف الارناموطى وجعلوه  
مخزناً ومصنعاً لفرقة الهندسة . ثم حصنوا السور المحيط بها وركبوا عليه المدافع  
فصار حصناً منيعاً .

ولم يتبق من كل ذلك سوى أطلال من الجدران البائدة . . وقامت الدور  
الجميلة تغمر معالمها ، وشقت الطرق في حناياها وانتشرت البساتين تطوى قصتها ا



جزيرة الروضة

## قلعة الطور

كان في جنوبي مدينة الطور قلعة قديمة فوق البحر شيدت في أيام السلطان سليم أدركها الخراب في القرن الماضي واستخدم أهل المدينة حجارتها لبناء منازلهم . كما اتخذ بعض موظفي الحكومة ما بقي من حجارة أساسها لبناء منازل الحكومة . وقد كان تخطيطها ظاهراً فوق سطح الأرض حتى زال .

ومن المحتمل أن تكون تلك القلعة قد شيدت على بقايا الحصن العتيق الذي بناه هناك الملك عيسى بن الملك العادل أبي بكر بن أيوب . وكان قد أنفق عليه الأموال الجمة ، وأحكمها غاية الإحكام . فلما كان في سنة ٦١٥ هـ وخرج الفرنج من وراء البحر طالبين بيت المقدس أمر ابنه بخربها .

وكان في قلعة الطور سجل كتبت فيه صور الدعاري والحكم فيها وصكوك المبايعات . . . وهذا السجل يعرف بكتاب الام وقد حفظه أهل الطور في وكالة دير طور سيناء بناء على رغبتهم . وقد ورد فيه أسماء بعض نظار هذه القلعة .

ولما تدمت القلعة عام ١٨٢٦ لم يبق في مدينة الطور إلا ناظر يرجع بأحكامه إلى محافظة السويس ، وكان يسكن منزلاً في المدينة .

وفي سنة ١٨٩٣ ألحقت الطور إدارياً بمحافظة السويس .

ولما زحف الأتراك على مصر عام ١٩١١ كان ناظر الطور الملازم أحمد عيسوى فأمرت السلطة العسكرية بإخلاء مدينة الطور من السكان وأعدتها للدفاع .

وفي أوائل عام ١٩١٥ في أثناء تقدم الأتراك إلى مصر أرسلوا قوة مؤلفة من ٧٠ جندياً للاستيلاء على الطور بقيادة ضابط ألماني . فوصلوا ضواحي الطور في ١٨ يناير سنة ١٩١٥ واحتلوا موقعاً حصيناً في سفح جبل الحمام . ولكن تصدت لهم قوة من الجنود المصريين والهنود ، فأبادوا معظمها وأسروا من تبقى منهم ، ولم يقتل من القوة المصرية والهندية سوى جندي واحد .



## قلعة نخل

هي إحدى القلاع التي شيدت في عصر السلطان « قنصوه الغوري » ، ( ١٠٥١ هـ - ١٥١٦ م ) في بلدة نخل بدرب الحج المصري . وقد عرفت قديماً بالخان .

وقاعة نخل قائمة على مضبة عن يمين أبو طريفية قرب مصبه بوادي العريش على نحو ٨٠ ميلاً من السويس و ٧٠ ميلاً من العقبة وتعلو ١٧٥٠ قدماً عن سطح البحر .

وتخطيط القلعة مربع الشكل تقريباً طول الجانب من ٣٧ ياردة إلى ٣٩ ياردة ، وعلوها من ٢١ قدماً إلى ٢٥ قدماً ، وسمك حائطها ثلاث أقدام ونصف قدم في أسفله وقدمان ونصف قدم في وسطه وقدم في أعلاه . ولها خمسة أبراج ، في كل زاوية برج والبرج الخامس في منتصف الضلع الشمالية . وبنائها بالحجر الكلسي المنحوت .

والقلعة بوابة عظيمة مصفحة بالحديد معقودة عتبتها بقنطرة تفتح للشرق وتقفل من الداخل بمراس من الخشب تدخل من هذه البوابة في دهليز طوله خمسة أمتار فتأتي عن يسارك بوابة عظيمة أخرى تفتح للشمال تؤدي إلى فناء القلعة كانت فيه شجرة سدو قديمة .

ويحيط بالصحن طبةقتان من الغرف الضيقة المسقوفة . وكان سقفها قليل الارتفاع جداً يكاد الرجل الطويل القامة يمس برأسه ، فرمى بها بعض محافظي سيناء في أوائل هذا القرن . وجعلت فيها الطبقة العليا فيما بعد مسكناً للمحافظ وناظر القلعة والسفلى مكتباً لهما ومخازن .

وفي أعلى السور فوق سطح الطبقة العليا وفي جدران الأبراج مزاغل إلى الجهات الأربع .

وفي واجهة قاعة نخل فوق البوابة المذكورة ثلاثة أحجار تاريخية في صف واحد ، بين الحجر والآخر نحو ذراع عليها كتابة بالعربية بحروف ناتئة .

الحجر الأول عن يمين الداخل مستدير الشكل قطره نحو قدم لم يبق ظاهراً من النقش عليه سوى هذه الكلمات . . . « مولانا السلطان . . . عز نصره » .

والحجر الثاني في الوسط في شكل الحجر الأول وحجمه وعليه هذه العبارة ...  
مولانا السلطان مراد خان عز نصره سنة ... والتاريخ غير ظاهر تماماً وقد رجمها  
هذا السلطان ولم يكن مشيدها كما يظهر لأول وهلة .

والحجر الثالث عن اليسار مستطيل الشكل منقوش عليه هذه العبارة « جدد  
هذا المكان المبارك مولانا السلطان أحمد بن السلطان محمد خان عز نصره مدة راجي  
محمد باشا سنة ١١١٧ هـ — ١٧٠٦ م » .

وقد نسف رجال الحامية المصرية في ٣٠ أكتوبر سنة ١٩١٤ جزءاً عظيماً  
من قلعة نخل ودمروها عقب انسحابهم من نخل وسيناء . كما نسفوا أيضاً سداً  
للبياء كان على بعد كيلو متر من القلعة .



## قلعة العقبة

(١٥١٦ - ١٩٢٢ هـ)

العقبة مدينة صغيرة في رأس خليج العقبة على نحو ١٩٠ ميلا من السويس بطريق البحر و ١٥٠ ميلا بطريق البر . والمدينة الحالية حديثة العهد قامت على أنقاض مدينة أيلة التي ورد اسمها كثيراً في الكتب السماوية وأخضعها النبطيون واليونان والرومان والعرب .

وتقوم قلعة العقبة في جنوبي المدينة وتلصق بها من جهة الشرق وعلى بعد خمسين متراً من شاطئ الخليج . وتخطيط القلعة مربع الشكل مبنى بالحجارة المنحوتة . وكان على كل ركن من أركانها الأربعة برج فتمدت . ولها بوابة عظيمة بقنطرة تفتح إلى الشمال الشرقي يدخل منها إلى صحن القلعة بدهليز عظيم معقود بالقناطر . وفي أول الدهليز عن يمين الداخل وشماله ديوانان مشيدان بالحجر نقش على جدرانهما وواجهة البوابة بأحرف بارزة كبيرة اسم مشيد القلعة ومرمىها . أما مشيد القلعة فهو السلطان قنصوه الغوري (١٥١٦ م) أما مرمىها فهو السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ - ١٥٩٥ م) وعلى جدار الديوان الأيمن نقشت هذه العبارة :

« أمر بإنشاء هذه القلعة المباركة السعيدة مولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قنصوه الغوري سلطان الإسلام والمسلمين قاتل الكفرة والملحدین محي العدل فی العالمین » وفي واجهة القلعة على ضدغى القنطرة حجران مستديران نقش على كل منهما هذه العبارة « لمولانا السلطان الملك الأشرف . مراد بن سليم خان . عز نصره جدد هذه القلعة » وفي داخل البوابة إلى يسار الداخل حجران آخران مستديران نقش على كل منهما هذه العبارة :

« لمولانا السلطان مراد بن سليم عز نصره . جدد هذه القلعة سنة ٩٩٦ هـ -- ١٥٨٧ م : وكانت تحتل قلعة العقبة حامية من الجنود المصريين إلى أوائل عام ١٨٩٢ حينما سلمت إلى تركيا . وتمتع العقبة بمزيتين جليلتين جعلتا لها مقاما ممتازا ، هما موقعها الحربي الحصين وموقعها التجاري الفذ . فهي من الوجهة الحربية تسيطر على الخليج المعروف باسمها سيطرة مطلقة يجعل الأسطول الراسي في مينائها أمان من عقاب الجو .



## قلعة العريش

(١٥٦٠ - ١٩٦٨ هـ)

كان تخطيط هذه القلعة مربع الشكل . طول كل من ضلعيه الشرق والغرب نحو ٧٥ متراً ، وطول كل من ضلعيه الشمال والجنوب نحو ٨٥ متراً . وكان ارتفاع سورها نحو ثمانية أمتار ، وفي أعلاه ستة مزاغل لضرب النار ، وفي كل ركن من أركان القلعة الأربعة برج وضع فيه مدفع وفي أسفل كل برج قبو لحزن الذخيرة والقنابل .

كان بناء القلعة بالحجر الرملي الصلب . وقد أحاط بالقلعة قديماً خندق متسع . قامت قلعة العريش على ذلك التل المرتفع الذي يقوم عليه المستشفى الأميرى جنوبى العريش . وقد كان لها باب عظيم بقنطرة ومصفح بالحديد الصلب ، ارتفاعه نحو خمسة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار ونصف متر . وكان إلى جانبي الباب من داخل السور ثلاث غرف غرفة إلى يمين الداخل وفيها حراس القلعة ، وغرفتان إلى شماله وفيها خزانة المحافظة ومخفوظاتها القديمة . وفي فناء القلعة بناء واسع بطبقتين الطبقة العليا سكن ناظر القلعة ومفتش المحافظة ، والطبقة السفلى ديوان لكتاب المحافظة . وإلى الجانب الشرقى من السور مكتب الناظر والمحكمة الجزئية ومكتب التلغراف والبريد ، وإلى الجانب الجنوبى منازل للبوليس ومصلى . وبين بناء الوسط وبناء الجنوب حديقة صغيرة غرست فيها بعض الأشجار الظليلة . وبينها وبين بناء الشرق بئر عميقا ثمان وثمانون قدماً وقطرها أربعة أمتار وماؤها يميل إلى الملوحة .

وكان فوق باب القلعة ست قطع حجارة تاريخية من الرخام جعلت بعضها فوق بعض فى خط عمودى . وهذه صورة ما نقش فيها مبتدئاً من الأعلى .

الحجر الأول : وما النصر إلا من عند الله .

الحجر الثانى : الطغراء السلطانية وفيها اسم السلطان سليم سليمان دوتخت الطغراء صورة سيد محمد أسعد ، خليفة تاريخى سنة ١٢١٤ - سنة ١٧٩٩ م

الحجر الثالث والرابع والخامس : ثلاثة أبيات شعر بالتركية على كل حجر بيت  
١. وسنة إنشاء القلعة .

وترجمتها حرفيا :

لما أتى بهون الله السلطان لفتح الحصن أمرته الملائكة كلها في هذا الفتح الآخر  
قال وزيره الأعظم يوسف ضيا باشا تأريخا في الحروب الحالية من المصراع الثاني  
الذى نقش في طابق الحصن الأعلى — حبذا الفاتح السلطان سليم خان الثالث الغازي  
فإنه بفتح العريش قد علق سيفه في العرش الأعلى سنة ١٢١٤ هـ — ١٧٩٩ م .

الحجر السادس :

أمر بإنشاء هذه القلعة مولانا السلطان سليمان بن السلطان سليم بن السلطان  
بايزيد بن السلطان عثمان خلد الله ملكه و قدس شوكته وأعز دولته بمحمد  
وآله وسلم .

### قلعة العريش والحملة الفرنسية

طافت برأس نابليون عدة مشروعات حربية تتعلق بمدينة السويس . فلما تم له  
احتلالها اعتزم أن يرتادها بنفسه لدراسة موقعها . فخرج من القاهرة يوم ٢٤ ديسمبر  
سنة ١٧٩٨ في جماعة من كبار القواد والمهندسين وبعض الأعيان المصريين فبلغوها  
يوم ٢٦ ديسمبر ليلا ، وجاب نواحي طور سيناء وبرزخ السويس واستطلع آثار  
ترعة الفراعنة القديمة وخليج أمير المؤمنين . وعهد إلى أحد مهندسيه دراسة مشروع  
حفر ترعة تصل البحرين الأبيض والأحمر .

وبينما كان نابليون يقوم بهذه الأبحاث العلمية والعسكرية علم أن بعض قوات  
أحمد باشا الجزائر والى عكا احتلت قلعة العريش يوم ٢ يناير سنة ١٧٩٩ . فكان  
هذا الاحتلال نذيراً بزحف الجيش العثماني على مصر .

وفي ذلك الوقت تحالف العثمانيون مع الإنجليز ، فعزم نابليون على أن يسبق  
خصمه إلى العمل فقرر مهاجمة الجيش العثماني في سورية .

وكانت القوات العثمانية والمماليك متمتعة في العريش ، فزحف عليها الجيش الفرنسي  
وواجه الجيش العثماني بها بعد أن احتلت بعض قواته قطية وحصنها لتكون نقطة  
ارتكاز وتموين للجيش الزاحف .

ودار قتال شديد في العريش بين الفريقين انتهى بهزيمة العثمانيين ليلة ١٥ فبراير، واستمرت قلعة العريش تقاوم مقاومة شديدة إلى أن سلمت يوم ٢٠ فبراير سنة ١٧٩٩ .

ثم تابع الفرنسيون زحفهم إلى سوريا إلى أن حاصروا عكا وارتدوا عنها خائبين، وقد دفنت تحت أسوارها كل أحلام وآمال نابليون .

رفع الحصار عن عكا يوم ٢٠ مايو سنة ١٧٩٩ وبدأ الجيش في التقهقر عن طريق فلسطين والصحراء ، فبلغت مقدمة الجيش « خان يونس » يوم ٢١ مايو حيث استراح فيها أول يونيو ووصل إلى العريش في اليوم نفسه ، فأمر الجنود بأن يستريحوا طوال اليوم التالي . وقضى هو ذلك اليوم في تمهيد قلعة العريش التي كانت في ذلك الحين مفتاح مصر من الجهة الشرقية .

وقد كتب المسيو كوستاز . أحد مهندسي الحملة الفرنسية الذين رافقوا نابليون في حملته على سوريا رسالة عن أهمية العريش قال فيها (١) .

إن قلعة العريش تسكب من تحتها مزايا عظيمة تضمن له الانتفاع بآبار المياه العذبة التي هي وإن لم تكن في عذوبة ماء النيل أو السين إلا أنها صالحة جداً للشرب ووجود هذه الآبار يسهل إنشاء مخازن ومستودعات للجنود الذين يخترقون الصحراء من مصر إلى سوريا أو من سوريا إلى مصر . وقد كانت العريش دائماً جزءاً من مصر وهي ضرورية لضمان الدفاع عنها ، ولذلك استثنائها نابليون من القلاع التي هدمها في أثناء الحملة على سوريا ، فاستبقاها وأمر بتقويتها . ولم ينقطع العمل فيها مدة أربعة أشهر لجعلها أكثر مناعة . وأنفذ لها أخيراً طائفة من المهندسين وفرقة من العمال لإصلاح استحكاماتها وزيادة قوة الدفاع عنها . ولذلك ترك فيها نابليون جامية من الجنود وزودها بالمدفعية .

ثم تغيرت الأحوال السياسية في أوروبا وتطور الموقف الحربي للفرنسيين في مصر بعد سفر نابليون إلى فرنسا . وكان الجنرال كليبر الذي تقلد قيادة القوات الفرنسية

---

(١) جريدة كوربيه دي ليجهت - عدد ٣١ بتاريخ ٧ يوليو سنة ١٧٩٩ .

في وادي النيل يسعى سعيًا حثيثًا إلى عقد الصلح مع الأتراك بالرغم من انتصاره عليهم في معركة عزبة البرج .

وكانت تركيا قد أعدت العسدة للزحف على مصر بينما كانت سفن الأسطول الإنجليزي تراقب السواحل المصرية بدقة .

ثم انتهت مفاوضات الصلح بالفشل وكانت تجرى بين كليبر والسير سيدنى سميث لوضع معاهدة العريش .

كان الجيش العثماني بقيادة الصدر الأعظم يوسف باشا ضيا قد أتم معدات الزحف على مصر من طريق سوريا ، وتقدم من غزة قاصدا العريش فوصل تجاهها يوم ٢٢ ديسمبر سنة ١٧٩٩ وحاصرها ثم طلب من حاميتها تسليم القلعة .

وكان الفرنسيون قد عنوا بتحسين قلعة العريش وتزويدها بالمدافع والذخائر . لتستطيع رد هجوم الجيش العثماني وتعطل زحفه مدة طويلة من الزمن . لكن فريقا من حامية العريش وكانت تؤلف من ٤٥٠ جنديا فرنسيا دبّت فيهم روح التمرد والخروج على النظام واعتبروا إرسالهم إلى العريش عقوبة لهم فاشتد سخطهم وتمردهم وضعفت روحهم المعنوية ، وجعلوا يرقبون الفرصة للكف عن القتال . فلما وصل الجيش العثماني وضرب الحصار عليهم تمرد فريق من الحامية وطلبوا من القائد تسليم القلعة . فلم يجهم إلى طلبهم وهدد المتمردين بأشد العقاب . فعاد النظام مؤقتا بين الجنود واستمرت المقاومة عدة أيام إلى أن انفجرت روح التمرد يوم ٢٩ ديسمبر لمناسبة هجوم شديد من الجنود العثمانيين على القلعة . فامتنع المتمردون عن المقاومة وسلخوا القلعة . فاحتلها العثمانيون يوم ٣٠ ديسمبر وأعملوا في حاميتها السيف وقتلوا منهم ٢٣٠ وأسروا الباقين ومنهم السكان جازلاس<sup>(١)</sup>

وبإخفاق معاهدة العريش حدثت عدة معارك بين الفرنسيين والعثمانيين كانت أهمها معركة عين شمس ( ١٩ مارس ١٨٠٠ ) التي هزم فيها الجيش العثماني هزيمة منكرة وطارده نحو بلبس فالصالحية ومنها إلى الشام .

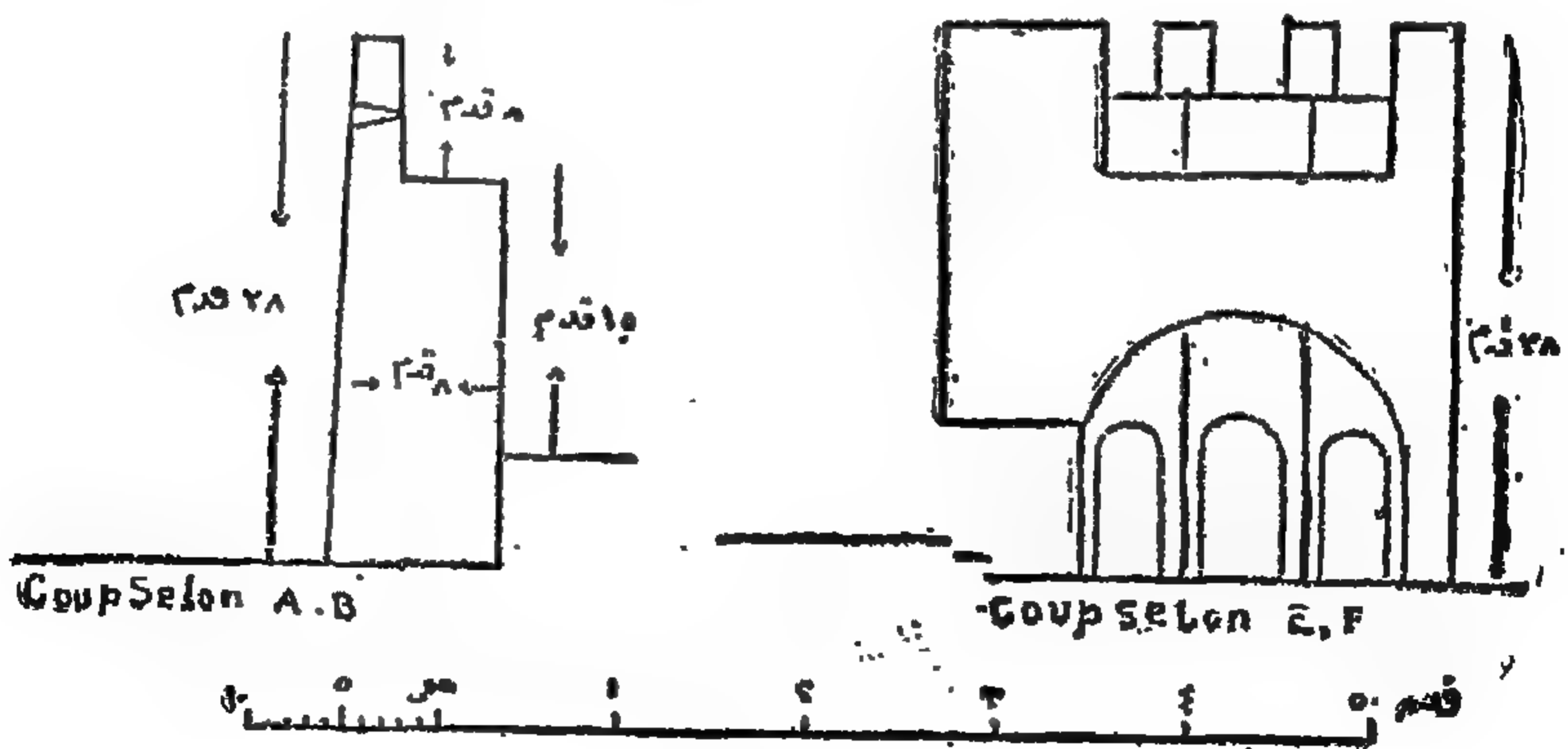
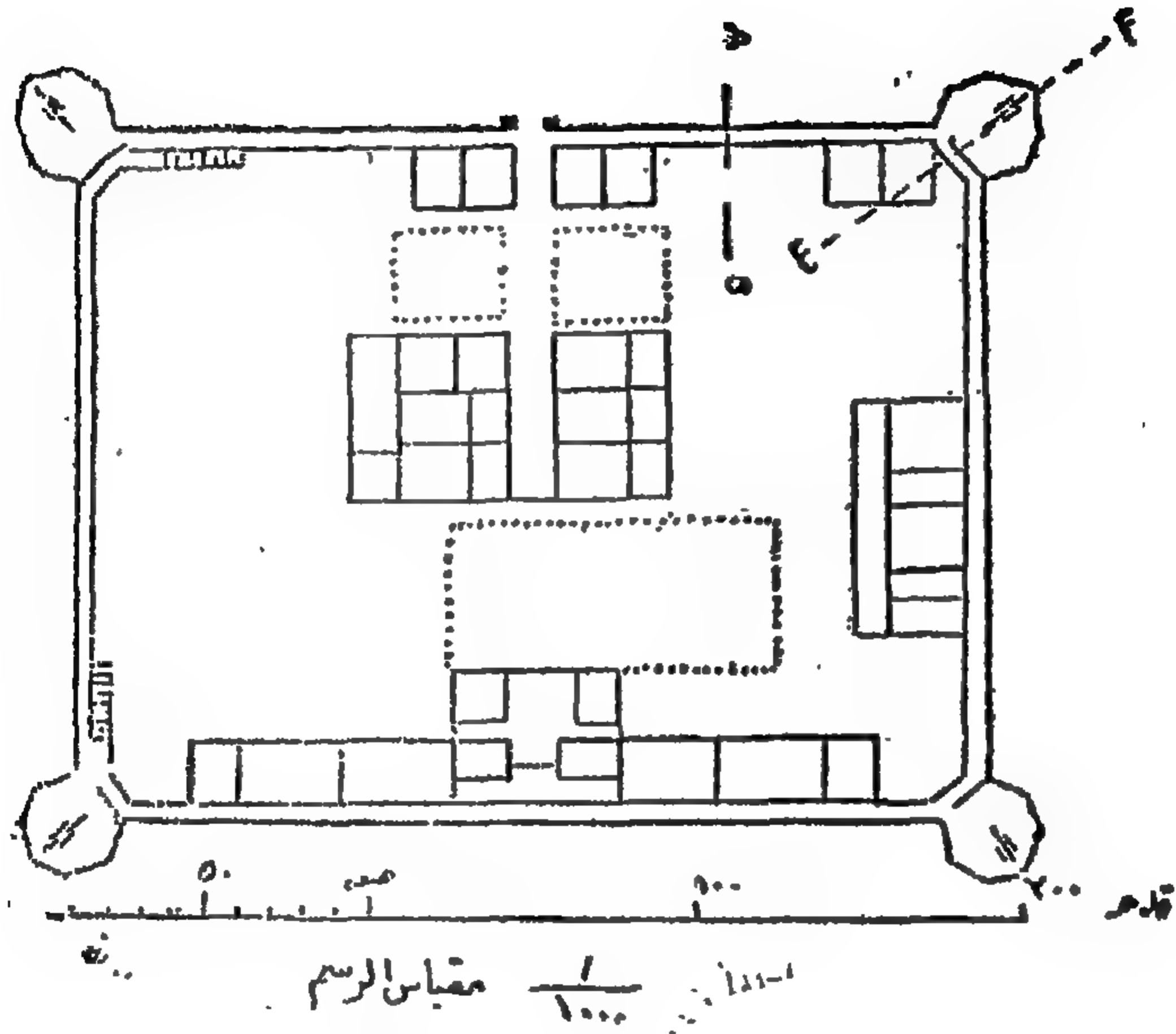
وفي ١٤ يونيو ١٨٠٠ قتل كليبر تخلفه الجنرال مينو الذي اتبع أسلوبا قاسيا في إخضاع الثورات المحلية التي نشبت في أنحاء القطر ، وأشدّها في القاهرة ، وفي أيامه انسحبت القوات الفرنسية من مصر ( ديسمبر ١٨٠١ ) .

(١) عبد الرحمن الرافعي . تاريخ الحركة القومية ج ١ ص ١٣٤ .



# قلعة العريش

— (٢٠) —



١/١٠٠٠ مقياس الرسم

٥ - مخططان لقلعة العريش في شبه جزيرة سيناء

## قلاع الإسكندرية وأسوارها

كانت الإسكندرية في عهودها القديمة منيعة بأسوارها وأبراجها وحصونها ،  
واقعد عانى المسلمون في فتحها الشدائد ، وظلوا في حصارها ومهاجمتها أربعة عشر  
شهراً حتى استطاعوا التغلب عليها .

فلما كانت خلافة عثمان بن عفان عزل عمرا عن الولاية ، وولى مكانه عبد الله  
ابن سعد بن السرح ، فلم تمض على ولايته أيام ، حتى ثارت الإسكندرية على حاميتها  
فقتلوا وملكوا المدينة وخرجوا منها لقتال العرب ، فطلب هؤلاء من الخليفة أن  
يعيد عمراً إلى الولاية لهيبته ومعرفة حرب الأهالي . فأعاده إليها وكانت حرب  
شعواء بينه وبين المتمردين ، كتب الله النصر فيها للعرب . وقد أقسم عمرو أن يفتح الله  
عليه الإسكندرية ليهدم حصونها وأسوارها . فلما انتصر بر بقسمه وسواها  
بالأرض ، حتى لا يعتصم مقاتلتها بأسوارها وحصونها .

ولما استقل أحمد بن طولون بمصر (٢٦٥ هـ — ٨٧٨ م) أحاط الإسكندرية  
بسور جديد خوفاً من غارة جنود الخليفة العباسي عليها ، وقيل إن ذلك السور هو  
الذي بقي إلى أن تغلب عليها الفرنسيون في زمن نابليون ، وقيل أيضاً إنه تهدم وإنه  
شيد ثانياً في أيام حكم المماليك البحرية وإن هذا هو الذي بقي عند وصول الحملة  
الفرنسية .

ويذكر ابن عبد الحكم في كتابه فتوح مصر<sup>(١)</sup> أن الإسكندرية كانت تضم ثلاث  
مدن بعضها إلى جنب بعض . موضع المنارة وما والاها . والإسكندرية وهي موضع  
قصبة اليوم ، ونقيطة . وكان على كل واحدة من سور ، وسور من خلف ذلك  
على الثلاث مدن يحيط بهن جميعاً .

وذكر المقرئ في كتاب الخطط أنه كان على الإسكندرية سبعة أسوار من

أنواع الحجارة المختلفة الألوان بينها خنادق وبين كل خندق وسور فصول (١).

أما خليل بن شاهين الظاهري حاكم الإسكندرية في عهد السلطان الأشرف برسبای (توفي عام ٨٥٠ هـ - ١٤٦٨ م) فيقول في كتابه زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك (٢) عند كلامه على ثغر الإسكندرية وحصونه : إن ثغر الإسكندرية يشتمل على سورين محكمين بهما عدة أبراج يحيط بها خندق يطلق فيه الماء من البحر عند وقت الضرورة . وللثغر عدة أبواب محكمة حتى إنه على كل باب منها ثلاثة أبواب من حديد ، وبأعلى الأبراج مناجيق ومكاحل ، وهذا الثغر في غاية التحصين وعلى كل برج منه أعلام وطبلخانة وأبواق وحرسية .

وربما يكون وصف النويري المؤرخ الإسكندري الذي عاش فيها حوالي القرن الرابع عشر أقرب إلى الدقة والوضوح . فقد ذكر أنه كان يحيط المدينة ثلاثة أسوار . أحدها داخلي بما يلي البلد ، وثانيها خارجي يشرف على ما يحيط بها ، والثالث بينهما . وكان هناك بين كل سور والآخر فيصل يفصل بينهما . كما أنه كان للسور الخارجي المطل على البحر أبراج وقلاع مشحونة بالعدد والسلاح والأتراش تخفق عليها الأعلام . وكان للسور الخارجي عدة أبواب كان أهمها باب رشيد في شرقي المدينة ، وهو المؤدى إلى الطريق المنتهية إلى مدينة رشيد . وباب البحر وكان يواجه الميناء الشرقية ، والباب الأخضر ، وهذان كانا في شمالي المدينة . وباب القرافة في غربيها ، وكان لا يفتح إلا في يوم الجمعة . وباب سدره أو باب العمود أو باب البهار في جنوبها . وكانت العادة في تلك الأيام إذا زار السلطان المدينة وجال فيها أن تفك أبوابها وتلقى على الأرض إلى أن يغادرها فيعاد تركيبها .

وكان هناك خندق يحيط بالسور من ناحيته الغربية عند الباب الأخضر ( باب الغرب ) ، وكان قصر السلاح بالقرب من هذا الباب ، وهو قصر يضم قاعات كثيرة مشحونة بمختلف السلاح والعناد الحربي . وبالقرب من الباب الأخضر ضريح الشيخ أبي بكر الطرطوشي وعلى مسافة يقوم الجامع الغربي أكبر جوامع المدينة وإلى جواره دار السلطان .

(١) صيغة الجمع لكلمة فاصل .

(٢) صفحة ٣٩ .

وكان للإسكندرية ميناءان ، يفصلهما لسان طويل من الأرض ، اتصلت به جزيرة منارة الإسكندرية ، وكانت الميناء الشرقية في القرون الوسطى مخصصة لسفن المسيحيين ، وإلى القرب منها باب البحر والباب الأخضر ، وقد عرفت هذه الميناء ببحر السلسلة لأنه كانت له سلسلة من الحديد تغلق بها الميناء في الليل لحراستها ومقاومة الاعتداء عليها .

وقد خرب القبرصيون الكثير من تلك الأسوار والأبواب في أثناء غارتهم المتكررة على الثغر

وفي أخريات القرن الخامس عشر أمر السلطان قايتباي ببناء حصن كبير يعرف منذ إنشائه ببرج قايتباي ، ووقف عليه الأوقاف الجلييلة ، كما عني بتحصين الإسكندرية ورشيد ومعظم الثغور في الديار المصرية وسورية ، كما عني بذلك السلطان الغوري من بعده .

وقد استطاع المؤرخ كاهلة أن يخرج من هذه الأوصاف بالنتائج التالية :

أ — السور الشمالي : يحتوى على باب البحر — باب الميدان — باب الحمام — الباب الأخضر .

ب — السور الغربي : يحتوى على باب القرافة ( الخوخة ) .

ج — السور الشرقي : يحتوى على باب رشيد .

د — السور الجنوبي : يحتوى على باب سدره أو باب الشجرة — باب العمود — باب سيدى الصورى ، وقدما كان يطلق على أبواب السورين الشرقي والجنوبي — أبواب البر .

وعند قدوم الحملة الفرنسية كان حصون الإسكندرية عبارة عن سور محيط فيه أبراج ومزاغل ومراعى للنار وحوله خندق يصل إليه ماء البحر .

وكانت الجهة الشمالية من هذا السور ( سور العرب ) تبتدىء من موقع الباب رقم ( ١٠ ) من أبواب محازن الجمر كالحالية أمام شارع البحرية ويمتد في استدارته إلى ناحية الشرق مسافة قدرها ٣٤ متراً حيث كان يوجد في نهاية هذه المسافة باب



يدعى باب البحر الغربى الباب الاخضر . وموقعه الآن عند تقابل شارع الطوبجية  
بشارع الباب الاخضر . ثم يمتد فى استدارته أيضاً إلى ناحية الشرق مسافة أخرى  
قدرها ٣٥٠ متراً إلى أن يقطع شارع دانسطاطى . ثم ينحرف إلى الجنوب قليلاً  
ممتداً مسافة قدرها مائة متر فينكسر متجهاً إلى ناحية الشمال ممتداً مسافة قدرها ١٥٠  
متراً حتى يصل إلى نقطة موقعها الآن وراء المحكمة المختلطة بقدر ٦٠ متراً تقريباً .  
ثم يعتدل مشرقاً مسافة قدرها ١٠٠ متر حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه  
باب يدعى ( باب البحر الشرقى ) كان موقعه بالقرب من تقاطع شارعى مسجد  
القطارين والسبع بنات الآن . ويمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٢٢٠ متراً  
حيث موقع البورصة الآن ثم ينكسر مرة أخرى متجهاً إلى الشمال مسافة  
قدرها ١٨٠ متراً مخترقاً شارع البورصة القديمة إلى نقطة تقابله بشارع سعد زغلول  
ثم يعود فيعتدل إلى ناحية الشرق الشمالى ممتداً مسافة قدرها ٥٨٠ متراً تقريباً حتى  
يصل إلى موقع محطة الرمل الآن . ثم يرجع فينكسر إلى ناحية الجنوب ممتداً مسافة  
قدرها ٣٢٠ متراً غربى شارع المسلة بمقدار ٣٠ متراً ثم يعتدل مرة أخرى إلى  
ناحية الشرق ويكون حينئذ فى شمال شارع السلطان حسين كامل الآن وعلى بعد  
٣٠ متراً منه ممتداً مسافة قدرها ١١٠٠ متر حتى يصل إلى موضع حدائق البلدية  
الآن من شارع بلجيكا .

وتبتدى " الجهة الشرقية منه عند تقاطع شارعى بلجيكا والسلطان حسين كامل  
فى موضع حدائق البلدية الآن ويتجه السور من هذه الجهة نحو الجنوب ممتداً  
مسافة قدرها ٢٣٠ متراً تقريباً حيث كان يوجد فى نهاية هذه المسافة منه باب يدعى  
( باب رشيد ) أو الباب الشرقى ثم يمتد مسافة أخرى فى هذا الاتجاه قدرها ٣٠٠  
متراً تقريباً حتى يصل إلى موقع شارع الأمير عبد القادر الحالى .

وكانت تبتدى " الجهة الجنوبية من السور من الجهة الشرقيه الجنوبية . ثم يمتد  
السور منها ناحية الغرب مسافة قدرها ١٠٠٠ متر تقريباً حتى يصل إلى موقع محكمة  
القطارين الجزئية الآن . ثم يميل إلى ناحية الشمال قليلاً ممتداً مسافة ١٠٠ متر حتى  
يصل إلى جنوبى كوم الدكة . ثم ينحرف إلى ناحية الجنوب قليلاً ممتداً مسافة  
قدرها ٢٧٠ متراً إلى أن يصل إلى موقع محطة مصر القديمة حيث كان يوجد فى  
نهاية هذه المسافة منه باب يدعى قديماً باسم ( باب الصورى ) ثم دعى بعد ذلك  
( م ١٠ — قلعة الجبل )

باسم الباب الجديد وباب محرم بك . ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٣٥٠ متراً إلى أن يصل إلى مبتدأ موقع شارع الخديو الأول ثم يعتدل إلى ناحية الغرب ممتداً مسافة قدرها ٣٥٠ متراً في امتداد شارع الخديو الأول حيث كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى باب صدره أو باب العمود وموقعه الآن عند تقاطع شارعى عمود السوارى والخديو الأول ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة أخرى قدرها ٩٧٠ متراً إلى أن يصل إلى موقع بورصة ميناء البصل الحالية . ويدور حولها ممتداً في استدارته مسافة قدرها ٢٤٠ متراً تقريباً إلى أن يصل إلى ترعة المحمودية .

أما الجهة الغربية من السور المذكور فكانت تبتدى من جنوبي هويس ترعة المحمودية الواقع أمام شون الاقطان ويمتد السور منها متجهاً إلى الشمال مسافة قدرها ٣٥٠ متراً حيث كان يوجد في نهاية هذه المسافة منه باب يدعى ( باب المغارات ) وموقعه الآن بشارع الكوبرى القديم أمام مكابس الاقطان . ثم يمتد في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٨٠ متراً ثم ينكسر متجهاً قليلاً إلى ناحية الشمال الغربى ممتداً في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٣٠٠ متر حيث موقع رصيف جمر ك المحمودية الآن ثم يعتدل إلى ناحية الشمال ممتداً مسافة قدرها ١٠٠ متر ماراً بموقع مخازن الجمر ك الآن ثم يستدير نحو الشرق قليلاً من اتجاهه إلى ناحية الشمال ممتداً في هذا الاتجاه مسافة قدرها ٦٥٠ متراً ماراً بمواقع مخازن جمر ك الإسكندرية ومكتب البريد حيث ينتهى بالقرب من مواقع مخازن الدخان الآن غربى شارع البحرية . أى عند بدايته في موقع الباب رقم (١٠) الآتب الذكر (١) .

وكان طراز هذا السور الحربى على ما يلوح من البناء الفاخر كما تدل على ذلك صورته ورسومه المخططة في كتاب « وصف مصر » الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية .

ونلخص هنا ما ورد في كتاب « وصف مصر » عن هذا السور :

---

(١) نقلنا هذا الوصف الطبوغرافى الخاص بسور الإسكندرية عن كتاب الأمير عمر طوسون

يوم ١١ يوليو ١٨٨٢ من ١٤ و ١٥ و ١٦

يبدو لنا أن هذا السور الذى يبلغ امتداده ٧٨٩٣ متراً قد شيد العرب أكبر جزء منه فى القرن التاسع الميلادى (الرابع الهجرى) وحالة جدرانه الآن التى يحميها خندق ضيق سيئة على وجه العموم .

وفى هذا السور خمسة أبواب منها اثنان فى واجهة المدينة الحديثة ، واحد فى الشرق يسمى باب رشيد والآخر فى الجنوب يسمى باب العمود — عمود السوارى — ثم الباب الذى فى الغرب وهو الذى يطل من البرج الهائل على المرفأ القديم (الميناء الغربية) وهذا البرج هو آخر الأبراج غرباً . وهذه الأبواب مفتوحة فى الأبراج الراكبة فوق السور . وفتحاتها توارىها من الخارج حيطان الأبراج . ومصاريع هذه الأبواب المصنوعة من خشب الجيز . وواجهاتها الخارجية مكسوة بصفايح من الحديد مثبتة بمسامير ذات رؤوس بارزة مشطوفة . ويوجد على وجوهات هذه الأبواب كتابة عربية كوفية وغير كوفية منها يعلم زمن إنشائها وما يؤسف له أشد الأسف أنه لم تنقل الكتابة المذكورة ليعلم منها اسم منشئها .

ويذكر عمر طوسون أن عدد الأبواب لا بد أن يكون ستة لا خمسة لأنه كان يوجد فى الجنوب بابان لا باب واحد .

وعدا الأبراج العديدة التى شيدت بخلال السور حسب الحاجة فى أعمال الحصون . كانت توجد قلعة فاروس (قايتباى) وهى عبارة عن سور محصن على طراز العصر الذى شيدت فيه . وتحتوى على برج مربع الشكل مشيد فى أركانه أربعة أبراج صغيرة . وبها شبه شرفة فيها مصباح يضاء الليل . وكان فى غرف هذا البرج العليا أكداس من الأسلحة المختلفة تراكم فوقها الصدأ وتدل عليها وأشكالها على أن بعضها من أسلحة الصليبيين والبعض الآخر من أسلحة حملة لويس السادس عشر المنكردة (٩) كما كان يوجد حصن آخر يقال له طابية فاروس الصغيرة لوقوعه إزاء القلعة السابقة وهو الطابية المعروفة بطابية السلسلة الحالية . وهذه الطابية كانت مشيدة فى نهاية خط الصخور التى هى نهاية الميناء الشرقية من جهة الشرق . وقد بنيت هذه الطابية للدفاع عن هذه الميناء . والصخور الموصلة لهذه الطابية الصغيرة لإبرج مربع الشكل متخرب به بعض أجزاء من مدافع شوه الصدأ عديدها من جراء رطوبة البحر التى حملت الحديد وجعلته شرائح معدنية لا قيمة لها .

لما احتل الفرنسيون الإسكندرية فصب الجنرال ماريون قائداً لها ، وقد  
عنى بتحصين المدينة وتولى الجيش إنشاء المئتين لصد هجمات البوارج الإنجليزية ،  
وكانت القلعة الأولى بكوم الدكة والقلعة الثانية بكوم الناضورة .

#### ١ — حصن كوم الدكة .

وهو الحصن الباقي إلى الآن وسموه حصن كريتان ( Cretin ) تخليداً لذكرى  
المهندس الحربى الكولونيل كريتان الذى أشرف على بنائه ثم قتل فى معركة أبى قير  
التي نشبت بين الفرنسيين والأتراك فى ذلك الحين .

#### ٢ — حصن كوم الناضورة .

وهو أيضاً لا يزال باقياً إلى الآن وسموه حصن كافاريللى ( Cafarelli )  
باسم الجنرال الذى كان مشرفاً على الأعمال الهندسية الحربية . وقد فقد  
هذا الجنرال إحدى ساقيه قبل مجيئه إلى مصر . واستعاض عنها بساق خشبية وقتل  
فى حصار عكا .

#### ٣ — حصن لو تورك .

وهو حصن أقامه الفرنسيون غربى الحصن السابق على شاطئ البحر فى  
الموضع الذى به طابية سيدي صالح الحالية ، ولو تورك اسم أحد  
القواد الفرنسيين .

#### ٤ — حصن كليوباترة .

وهو حصن شيده الفرنسيون على المرتفعات القائم عليها الآن المستشفى الأمري  
وسموه بهذا الاسم لجاورته بمسلة المساء للمسلة كليوباترة .

وقد أقاموا عدا هذه الحصون صفوفاً من المدافع و بطاريات ،  
فى المواضع الآتية :

١ — بطارية فى نهاية رأس التين فى الموضع الذى صار فيما بعد  
طابية الغفار .



٢ — بطارية في شمالى رأس التين في الموضع الذى صار فيما بعد طابية سراى رأس التين .

٣ — بطارية في موضع ميس ضباط الحرس الملكى . وكان في موضعها قبل ذلك طابية الإسبتالية .

٤ — بطارية في موضع طابية الأطة الحالية ( القضاء ) .

وقد نصب الفرنسيون المدافع في قلعة قايتباى وفي قلعة أبى قير وبنوا قلعة بحزيرة العجمى مكان البرج القديم الذى كان بها ووضعوا المدافع على مدخل الميناء في نهاية شبه جزيرة رأس التين .

ولما جاء الجنرال مارمون إلى الاسكندرية لزيارتها عام ١٨٣٥ ذكر في كتاب وصف رحلته أنه وجد قلعتى كافاريللى وكريتان كما كانتا في عهد الحملة الفرنسية ، ثم جددهما محمد على .

## قلعة قايتباي

( ٨٨٢ هـ - ١٤٧٧ )

من أظهر القلاع المصرية على الإطلاق، مكانة وأهمية حين نذكر اسمها تتوارد في الأذهان صورة متعاقبة لنضال عسكري ، تتصل أسبابه بحياة وادي النيل .

ومثل هذه القلعة التي يحتضنها ثغر الإسكندرية ، على ساحل البحر المتوسط ، تناظر -- منعة وأهمية -- قلعة الجبل التي تنهض بالقاهرة ، على سفح المقطم . ما زالتا باقيتين -- رغم تقدم الزمن -- رمزين لأجناد مصر الإسلامية .

ويرجع عهد هذه القلعة إلى عام ١٤٧٧ إذ أرسى قواعدها السلطان المجيد الذي تحمل اسمه ، على أثر أن رأى تفوق العثمانيين وقيامهم بتأسيس دولة استعمارية تهدد الدول المجاورة بالفتح وبسط السيادة . وكانت بغيته الأولى -- كما لا يعزب عن الفسح -- حماية أم ثغور ساحل مصر الشمالى .

أما موقع هذه القلعة أو إن شئت الطابية ففي نهاية لسان من الأرض يمتد غربى ميناء الإسكندرية الشرقى . أى على الجزيرة التي شيد فوقها المنار القديم بطليموس الثانى ( فيلادلفوس ) في السنة التي احتفى فيها بذكرى والديه ( ٢٧٩ ق.م ) -- وكان يعد من عجائب الدنيا السبع القديمة . وهذه الطابية مقامة على شكل مربع أضلاعه على اتجاه النقط الأربع الأصلية (١) .

وكان يقف على مدخل الطابية قديماً باب حصين فى الجنوب الغربى . أما بابها الحالى القائم فى الجهة القبلىة فبسيط البناء . يوصل إلى دور قاعة تؤدى إلى الفناء الكبير ، حيث كان يرى البرج مرتكراً أعلى للسور ، إلى أن قوضت معظمه مصلحة خفر السواحل عام ١٩٠٤ .

وهذا البرج مربع الشكل ، وفى كل زاوية من زواياه الأربع برج صغير مستدير يتصدره باب فى واجهته القبلىة . قليل الفور يعلوه قوس ستينى -- ومن دور قاعة

---

(١) هناك رأى آخر يقول إنه فكر فى إنشاء هذه المنارة فى حكم بطليموس الأول .

البرج يصل الإنسان على الشمال إلى دهليز سقفه مقبب به فتحتان للضوء . . . ويؤدي إلى الجامع الصغير في حنايا البرج . وترتفع جدران هذا الجامع حتى سطح الطابية التي أثبتت فيها فتحات متفاوتة الأحجام تؤدي إلى طبقتين مقببتين تنطوي ضلوعهما على غرف شتى معدة للزى صوب الجهات الشمالية والشرقية والغربية .

ووضع الجامع هو الوضع المتعامد ( طراز المدرسة ) ذو الإيوانات المسقفة والعقود الستينية . ويحتوى من الجهة البحرية الغربية على غرفة يجثم على صدرها خضريح — ولما كان هذا الجامع موضوعا على غير سمت القبلة فقد انحرف محرابه عن وضعه الطبيعي .

واقعد كان على باب البرج حجران منقوش على كل منهما هذا النص .

« عز لمولانا السلطان الملك الأشرف أبو النصر قايتباى عز نصره . وقد فقدنا،

وفضلا عن هذا ، فهناك كتابة أخرى على الباب المؤدى إلى الفناء ، ويرتد تاريخها إلى عهد السلطان الغورى ، وهى منقوشة على لوح من الرخام . ولخواها مرسوم سلطاني ينهى عن إخراج الأسلحة بجميع أنواعها من القلعة . وهاك نصه :

« بسم الله الرحمن الرحيم . رسم بأمر مولانا المقام الشريف الملك الأشرف أبو النصر فأنصوه الغورى خلد الله ملكه أن لا أحد يأخذ من البرج الشريف بالإسكندرية سلاح مكاحل ولا بارود ولا آلة ولا غير ذلك . ومن خالف ذلك من جماعة البرج من ممالك وعبيد وزرذكاشية وخرج منه بشيء شنع على باب البرج وعليه لعنة الله . . بتاريخ شهر ربيع الأول سنة سبع وتسعمائة من الهجرة . »

والى شمال البرج يقع السور البحرى للطابية الذى يرتفع قليلا عن مستوى مياه البحر — وهذا السور يحتوى من الداخل على دهليز طويل يمتد بطول السور ، ومقسم إلى قاعات للمكاجل والمجانيق والذخيرة والجند . وقد رمت أخيراً لجنة حفظ الآثار العربية هذا السور من الداخل والخارج ، وأحاطته بمبان قوية تحميه من أمواج البحر ، وإن كانت المياه تتدفق فى زمن الشتاء من الفتحات والمزاغل فتمتلئ الغرف بها .

## تاريخ الحصن

ذكرنا أن هذا الحصن قد شيد على أساس منار الإسكندرية القديم ولم نبين نقطة حرية بالبحث وهي أفلم يعرف حکام مصر المسلمين الانتفاع من هذا المنار ؟ .

الواقع أن هذا المنار ظل قائما يهدى السفن إلى الميناء عدة قرون بعد الفتح العربى (١) ، وكانت تفتابه عهود إهمال نتيجة لحوادث الزلازل . فكانت تخرب بعض طبقاته أو واجهاته . إلا أنه كان يسارع نواب السلاطين بإصلاحها . فعلى سبيل المثال ، أحدث زلزال هائل فى عام ١٣٠٣ تخريبا شاملا فى المنار ، وكان أن بادر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصلاحها — وقيل إن هذا السلطان كان قد شرع فى بناء منار مثله بإزائه فعاقه الموت عن إتمامه .

ولا مشاحة أن هذه الإصلاحات المتوالية غيرت ملامح البناء . فتبدل المنار مع تعاقب الأيام إلى بناء لا يمت معظمه بصلة إلى البناء المنيف الاصلى

وقد وصف حالة المنار الرحالة المعروف ابن بطوطة بعد رآه رأى العين لدى وصوله إلى الإسكندرية عام ( ١٣٢٦ م ) فى طريقه إلى مكة ، فقال إنه رأى إحدى واجهاته قد دمرت عن آخرها . ولما عاد من الحج لاحظ إصلاح تلك الواجهة ( ١٣٤٩ م ) .

ولما هاجم بطرس لوزينان ، ملك قبرص ، ثغر الإسكندرية عام ١٣٦٥ ، كان المنار فى مجموعه عبارة عن أنقاض وخرائب . ففشط أتباعه فى نهب ما تيسر حمله فى سفنهم وعادوا بباب المنار المشغول بالنحاس المطروق والذى كان قد شيد الأمير صلاح الدين بن أرام — حينما رمم بناء المنار كما أقام برجاً مستديراً .

وقد اتفق غالبية رجال الآثار على أن المنار فقد أهميته الأولى منذ منتصف

---

(١) وصف هذه المنارة كثيرون من مؤلفى العرب . ولم نجد فيها كتيوه عنها ما هو أوفى بوصفها مما كتبه أبو الحجاج يوسف بن محمد البلوى الأندلسى المعروف بابن الشيخ التوفى فى أوائل القرن السابع الهجرى حوالى سنة ١٢١٠م فى كتابة ألف باء — وقد كانت كتابته عنها سنة ١١٦٦ م ج ٢ ص ٥٣٧ .



القرن الرابع عشر ويؤيد تلك الحقيقة الرحالون الذين زاروا الإسكندرية والمؤرخون الذين تناولوا بالحديث الشئون المصرية أو الحكام . وتذكر منهم لا على سبيل الحصر وإنما على سبيل المثال غرس الدين خليل الظاهري الذي كان والياً على الإسكندرية حوالى عام ١٤٣٥ .

\* \* \*

نهض العثمانيون فى القرن الرابع عشر ، وكانت فتوحاتهم تنجبه صوب غرب آسيا وشرق أوروبا . . وبدءوا يحتككون بولاية مصر فى الشام مما جعل السلطان قايتباى فى الشام يتذرع بالحيطه لـ كيلا يأخذه على غرة . فهداه تفكيره إلى تحصين سواحل مصر الشمالية وتجديد بناء أسوار الإسكندرية وتشيد قلعة على ساحلها وأخرى فى رشيد على شاطئ النيل الغربى .

ففى اليوم الحادى عشر من شهر ربيع الأول عام ٨٨٢ هـ ( ٢٤ يونيو ١٤٧٧ ) رأس السلطان وبصحبه أعظم رجال الدولة حفلة المولد النبوى ، فى قلعة الجبل بالقاهرة ، ثم سار قاصداً الإسكندرية عن طريق البر وفى معيته كبار أمراء الجيش والموظفين المدنيين . فلما وصل إلى الإسكندرية استقبله الملك المؤيد أحمد أشرف أينال وجتمع حاكم الثغر ، وسار فى طليعة موكب رائع ، حفل بعدد غفير من أمراء الجند والمماليك المدججين بالسلاح وهم رافعون الأعلام . وكانت جموع الشعب قد خرجت مغتبطة للاحتفاء بمقدم السلطان الكبير .

واقعد أجاد المؤرخ ابن لياس وصف هذا الموكب الرائع ، ويطالعنا فى هذا الصدد بصورة طريفة لتقاليد مواكب استقبال السلاطين فى مصر خلال القرن الخامس عشر ، وواجبات كل أمير من الأمراء ، وما كان ينثره أفراد الجاليات الأجنبية وتجارهم من العملة الذهبية على الموكب أو يقدمونه من هدايا نفيسة

وسار الموكب فى طريقه المرسوم بدقة تامة ، إلى أن وصل السلطان قايتباى إلى ميناء البحرية . فترجل عن ظهر جواده ، ونزل فى المكان المعد له فى المعسكر الذى أقيم خصيصاً على شاطئ البحر . ثم تفقد منطقة الشاطئ حيث كانت أنقاض المنار القديم ، وأمر أن تشيد عليها قلعة ، وأن تستهل أعمال البناء توا

وانتهت رحلة السلطان الأولى بسلام . . .

وفي عام ٨٨٤ هـ ( ١٤٧٩ م ) قصد السلطان الإسكندرية على ظهر سفينة من سفائن الأسطول النهري من بولاق . نظراً لأن طرق الدلتا البرية كانت مغمورة بمياه فيضان النيل ، وكان الغرض من رحلة السلطان أن يشرف بنفسه على أعمال بناء قلعة الإسكندرية . وعرج على رشيد ليرى ما تم في أمر قلعتها الجديد . ثم واصل سيره إلى الإسكندرية ليكشف عن البرج الجديد الذي جاء من محاسن الزمان ومن أعظم الأبنية وأجل الآثار الحسنة ومن نوادر أفعال الملوك .

وفي هذا السياق . ننقل عن المؤرخ ابن إياس ما جاء بكتابه عن هذا الحصن :

« وكان سفر السلطان ( قايتباي ) إلى الإسكندرية في هذه المرة لأجل البرج الذي أنشأ هناك وقد انتهى العمل منه فتوجه إليه ليرى هيئته . . ثم توجه إلى رشيد وكشف عن البرج الذي أنشأ هناك بها ثم كشف عن البرج الذي أنشأ بشفر الإسكندرية مكان المنار القديم . فجاء من محاسن الزمان ومن أعظم الأبنية وأجل الآثار الحسنة ومن نوادر أفعال الملوك .

وقيل في صفة بنيان هذا البرج إن دهليزه عقد على قناطر في البحر المالح من الساحل حتى ينتهي إلى البرج وأنشأ بهذا البرج مقعداً مطلاً على البحر ينظر منه من مسيرة يوم إلى المراكب وهي داخلة إلى الميناء وجعل بهذا البرج جامعاً بخطبة وطاحونا وفرنا وحواصل وشحنها بالسلاح . وجعل حول هذا البرج مكاحل معمرة بالمدافع ليلاً ونهاراً لتطرق الإفرنج الثغر والرواتب في كل شهر وجعل شارا من خواصه وهو باش عليهم يقال له قنصوه المحمدي الخاصكي وكان والياً على دمشق وعرف فيما بعد بقنصوه البرجي . وقيل إن للسلطان صرف على بناء هذا البرج زيادة على مائة ألف دينار وأوقف عليه الأوقاف الجليلة . وجاء من أحسن الآثار ،

وفي خلال زيارة السلطان قايتباي للقلعة أمر بوضع حجرتين نقش عليهما اسمه يشبتان على بابها . وبعد أن أمضى بضعة أيام في الثغر غادره إلى دسوق حيث زار مقام الشيخ إبراهيم الدسوقي .

وقد شاهد بعض الرحالة الأوربيين هذه القلعة في أثناء تشييدها . ومنهم الرحالة الألماني توخر ( Tucher ) الذي مر بالشجر السكندري عام ١٤٧٩ — وقد وصف في كتابه بعض الأعمال التي كانت قد تمت حين وصوله .

وفي عام ١٤٨٤ م الرحالة برنارد برينباخ بالقلعة وقال في سياق ما سطره عنها إن الذي وضع تصميمها مهندس بملوك ألماني ولد في أوبنيم من دوقية ما ينس ولا يستبعد أن يكون هذا القول صحيحاً — لأنه كان في خدمة السلاطين كثير من الأرقاء الذين جلبهم الأمراء واشتروهم عن طريق المغامرين والقراصنة

وفي عام ١٤٩٧ ذكر الفارس أرنولد فون هارف الألماني من كولونيا — إن السفينة التي قدم عليها إلى الشجر قام قبطانها بتحيةة القلعة التي كان قد بناها أب السلطان (الذي كان يحكم إذ ذاك) وقد رد قائد القلعة إطلاق المدافع رداً على تحيته للدولة التي انتمت إليها السفينة ، وهي جمهورية البندقية .

## القلعة في عهد السلطان الغوري

ولما اعتلى العرش السلطان الغوري وتغلب على مزاحميه من الأمراء ، بعد معارك دموية ، أصدر في عام ١٥٠١ م — عقب توليه الحكم — مرسوماً عسكرياً ، سبق أن نوهنا عنه ، ينهى فيه عن إخراج الأسلحة من القلعة ، وينظم أعمال الأسلحة . وأمر بتثبيت هذا الأمر على جدار القلعة وهكذا نالت القلعة من عناية السلطان الغوري مثل ما نالته من السلاطين السابقين . فقد شجنت بالجنود والضباط المنظمين وصناع الأسلحة والزرد . وكانت أقسامها معمورة بالنشاط الدائب والعمل المتتابع كما كانت تضم بين جوانحها سجن الحكومة الذي انطوت جدرانه على كثيرين من كبار موظفي الدولة المملوكية جزاء لإهماله في شئون الدفاع عن صواح البلاد .

وحين استقر الحكم للعثمانيين في مصر ، تولى أعمال حفظ القلاع أفراد وجاق المتفرقة — فكان رجالهم يقيمون في قلاع الإسكندرية ورشيد والبرلس ودمياط والعريش والطور وأسوان وأبريم . وكان لكل من هذه القلاع طوائف المتفرقة المشاة والفرسان والمدفعية مع جماعة الأطباء وناخعي الأبواق والمعماريين والنجارين وكان أفراد هذا الوجاق لا يقتصر عملهم لدى هذا الحد . بل كانوا ينهضون بجمع البارود اللازم لشئون الدفاع عن مصر .

### في القرن الثامن عشر :

وقد وصف الرحالة الفرنسي فولني ( Volney ) حالة الإسكندرية من الوجهة الحربية كما شاهدها في عام ١٧٨٣ — أي قبيل الحملة الفرنسية بخمس عشرة سنة — فقال إنها من الوجهة الحربية لا قيمة لها ، ولا يوجد بها قلعة على جانب من الخطورة أما قلعة قايتباي ( المنارة ) بأبراجها العالية فإنها لا تصلح للدفاع إذ ليس بها سوى أربعة مدافع صالحة للاستعمال . وأكثر من ذلك ليس بها رماة يحسنون التسديد ، وحاميتها المؤلفة من خمسمائة من الإنكشارية المتطوعين من الأهالي هبط عددهم إلى النصف ، وإن فرقاطة واحدة لتكفي لهدم المدينة .

واتفق مع فولني — الرحالة الفرنسي سافاري الذي زار الإسكندرية عام ١٧٧٧ وكذلك المسيو مور ( Mure ) قنصل فرنسا فقد كتب في تقريره الذي قدمه إلى حكومته بصدد رغبتها في الحملة على مصر إن موانئ الإسكندرية خالية من القلاع والمدفعية والذخائر ، وليس بها من الجنود سوى الأهلين الذين انتظموا في سلك الفرق العسكرية المنشأة من عهد الفتح العثماني . أما قلعة المنارة فهي في ظاهرها ضخمة بيد أنها تكاد تكون خالية من الحامية ومن المدفعية والذخيرة — والمدافع الباقية لا تصلح للضرب . ولا تستعمل إلا في أيام الأعياد .

ففي هذه الأقوال صورة صادقة عما كانت قد وصلت إليه قلعة قايتباي من الضعف على عهد الولاة الانراك والبكوات الممالك — بعد ما كانت منيعة وخطيرة في أيام الممالك الشراكسة .

### في القرن التاسع عشر :

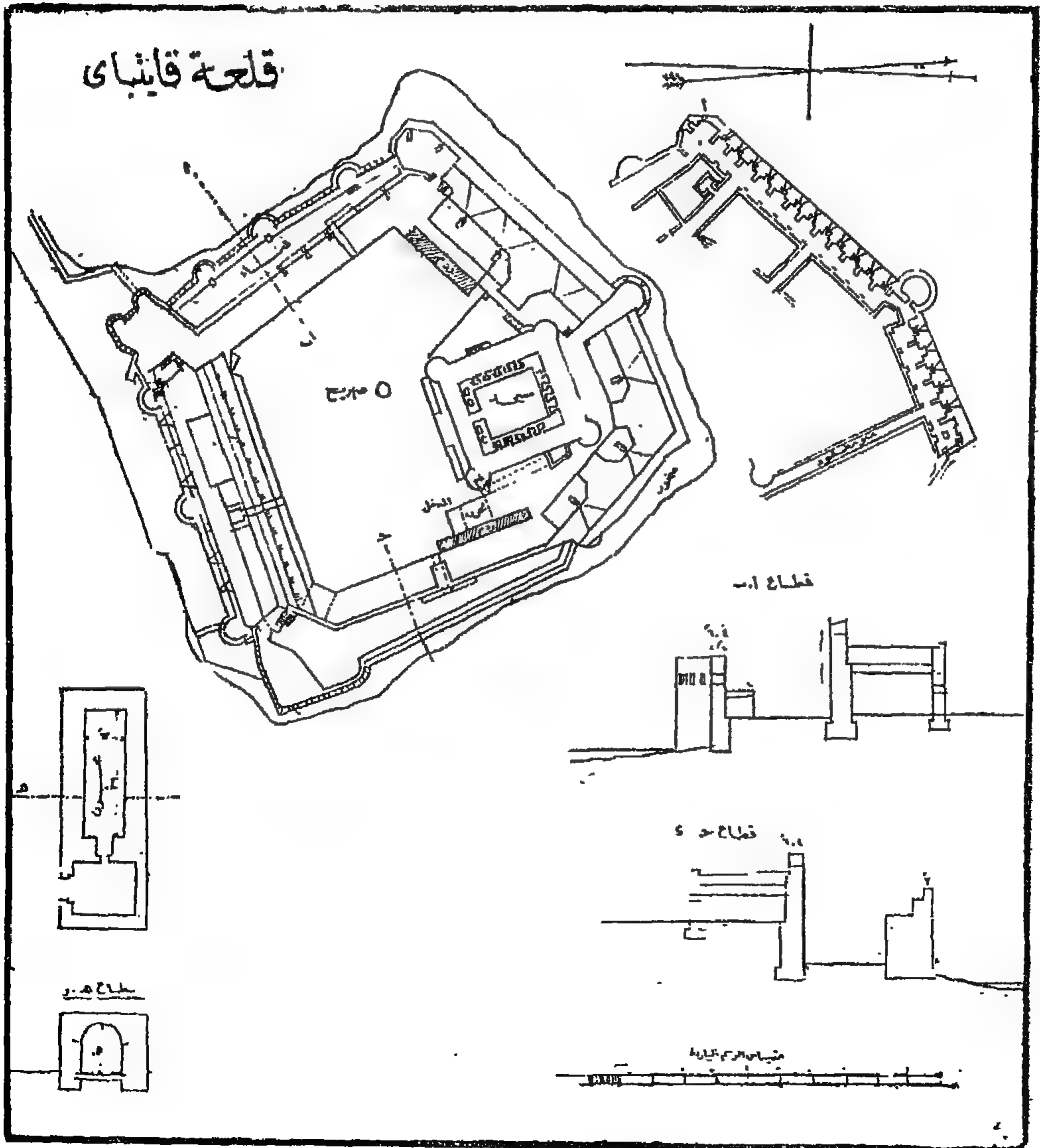
وعندما استولى الفرنسيون على ثغر الإسكندرية ( ١٧٩٨ ) ووضعوا أيديهم على قلعة قايتباي عثروا في أبراجها وأقبعتها على أسلحة كثيرة مكسدة وسيوف علاها الصدا ، واستدل من شكلها وما عليها من النقوش أنها من أسلحة الصليبيين . ومن مخلفات حملة الملك لويس التاسع التي جاءت مصر في عام ( ١٢٤٨ / ١٢٥٠ م ) . وكان الفرنسيون يطلقون على هذا الحصن ، قلعة المنارة .

ولما استتب الأمر لمحمد علي ، عني عناية بالغة بترميم القلاع وتشديد الحصون .



للدفاع عن سواحل القطر و ثغوره . وكان نصيب قلعة قايتباي من تلك العناية  
جد وفير .

ففى عام ١٧٤٠ ، زاد عدد مدافعها . فأصبحت تحتوى على ٢٠ مدفع حصون  
و ١٢ مدفع هاون وعقب ثمانية أعوام — أى فى عام ١٨٤٨ على أخريات أيام  
محمد على — تزايد عدد تلك المدافع زيادة كبرى فصار ١١٠ مدفعاً بينما تقلصت  
مدافع الهاون فصارت ستة لحسب .



٦ - مخطط يبين قلعة قايتباي فى الإسكندرية

## دمياط وحصونها

زوى أخبار الفتح العربى لمصر أن دمياط القديمة كان يحيط بها سور ، فاعله  
أنشى<sup>١</sup> فى أيام الرومان . وقد تعددت بعد الفتح غارات البيزنطيين على دمياط  
فى خلال القرون الثلاثة الهجرية الأولى ، وقد أشار المؤرخون إلى بعضها ، وهى  
التي حدثت فى الأعوام : ٩٠ ( ٧٠٩ م ) و ١٢١ ( ٧٣٨ م ) و ٢٣٨ ( ٨٥٣ م )  
و ٢٤٥ ( ٥٨٩ م ) و ٢٤٧ ( ٧٦١ م ) و ٣٥٧ ( ٩٦٨ م ) . وكانت أخطر هذه  
الغارات وأهمها الغارة التي قدمت إلى دمياط فى سنة ٢٣٨ ( ٨٥٣ م ) فى عهد  
ولاية عنبسة بن إسحق على مصر<sup>(١)</sup> فلما بلغه الخبر فى عاصمته القسطنطينية ، أسرع  
فى الحال للقضاء على المهاجمين ولكنه وصل إلى دمياط متأخرا بعد مقدرة الزوم  
لها ، فأخذ يعنى بتحصين المدينة ، وكان معظم الأسوار والأبراج قد تهدمت ،  
ولذلك أرسل الخليفة المتوكل إلى واليه عنبسة يأمره ببناء أسوار معينة تحيط بشغور  
مصر الشرقية : دمياط وتيس والفرما ، وقد أسرع الوالى بتنفيذ أوامر الخليفة .  
فبدأ فى تشييد سور دمياط وحصونها يوم الاثنين لثلاث خلون من شهر رمضان  
سنة ٢٣٩ ( ٥ فبراير ٨٥٤ ) ، وفى نفس العام شيدت أسوار تيس والفرما  
وحصونها .

وقد جاء تحصين دمياط مشمرا ، فلم تفد على دمياط غارة قوية بعد ذلك إذا استثنينا  
غارات الصليبيين عليها فى أثناء سيطرة القواطم على أيام الخليفة الفائز ( ٥٥٠ هـ —  
أغسطس ١١٥٥ ) ، وحملة جان دى برين ملك بيت المقدس ( ٦١٥ — ٦١٨ هـ =  
١٢١٨ — ١٢٢١ ) ، على أيام الأيوبيين واحتلالهم المدينة فى عهد الملك العادل  
وكان ابنه الملك الكامل محمد ينوب عنه فى الحكم . ولكن سرعان ما استردها الملك  
الكامل (٢)

---

(١) دكتور جمال الدين الشيال : مجل تاريخ دمياط . ص ١١ . إسكندرية عام ١٩٤٩  
ودائرة المعارف الإسلامية .

(٢) شن البيزنطيون بالاشتراك مع مملكة بيت المقدس هجوما على صلاح الدين الذى كان  
قد تبوأ عرش مصر وشيكا ( ٥٦٥ هـ — ١١٦٩ م ) .

وقام الملك لويس التاسع بحملته الخيئة عام ٦٤٧/٦٤٨ هـ (١٢٤٩-١٢٥٠) في الوقت الذي انتقلت فيه مصر من حكم الأيوبيين إلى حكم المماليك . وعمد المماليك إلى تدمير دمياط ليحولوا دون حدوث مثل هذه الوقائع في المستقبل ، فهدموا جميع مبانيها وحصونها ماعدا المسجد الذي ظل قائما وحده . وقامت إلى الجنوب من دمياط بقليل مدينة جديدة غير محصنة ، هي دمياط اليوم . وفي عام ٦٥٩ هـ / ١٢٦٠ عمد الظاهر بيبرس إلى سد مصب النيل عند دمياط حتى لا تدخله السفن . وكان مدخل النيل يقفل بماصرة ( سلسلة حديدية ) إبان ازدهار دمياط .

وقد وصف مؤرخ معاصر لأحداث الحملات الصليبية برج السلسلة في دمياط خير وصف . وهو شهاب الدين أبو محمد المقدسي المعروف بأبي شامة ( توفي عام ٦٦٥ هـ ) وقد رآه بعينه وأفاض في رواية استيلاء الفرنج على هذه الماصرة :

... وفيها ( عام ٦١٥ هـ ) أخذ الفرنج النازلون على دمياط برج السلسلة في آخر جمادى الأولى ، فأرسل الكامل إلى ابنه العادل شيخ الشيوخ صدر الدين يستعرج به ، فلما اجتمع بالعادل وأخبره دق بيده على صدره ومرض مرض الموت ... وهو برج عال مبنى في وسط النيل ودمياط بجذائه على حافة النيل من غربه ، وفي ناحيته سلسلتان تمتد إحداهما على النيل إلى دمياط ، والأخرى على النيل إلى البحيرة فتمنع كل سلسلة عبور الراكب من ناحيتها إذا أريد ذلك حين قتال العدو ، فهو قفل البلاد بالديار المصرية ، إذا أوثقت السلسلتان امتنع على المراكب العبور إليها ومتى لم تكن السلسلة عبرت المراكب وبلغت إلى القاهرة ومصر وإلى قوص وأسوان (١) .

ومنذ خيبة حملة لويس التاسع المذكورة أهملت حصون دمياط وتحولت إلى خرائب . وقامت دمياط الحالية التي شيد فيها خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر بعض ثكنات الجند .

(١) منتخبات من كتاب الروضتين في أخبار الفتوتين : النورية والصلاحية . وهو الجزء الخامس من مكتبة الحروب الصليبية . ص ١٦٧-١٦٨ طبعة برين دي مينار في باريس عام ١٩٠٦

## قلعة قايتباى فى رشيد

إن أقدم قلاع رشيد — القلعة الأثرية التى عرفها المؤرخون الأجانب باسم قلعة جوليان التى قالوا عنها إنها شيدت فى أثناء وجود الحملة الفرنسية بمصر (١٧٩٩ — ١٨٠١).

وتقع هذه القلعة على الشاطئ الغربى للنيل وجنوبى مدينة رشيد بحوالى ستة كيلومترات أما فيما يتعلق بتاريخ تشييد القلعة فقد ذكر المؤرخ المصرى ابن إياس أنه لما انتهى السلطان قايتباى من افتتاح قلعته المعروفة بالإسكندرية فى جمادى الأولى عام (٨٨٤ هـ — أغسطس ١٤٧٩ م) قصد رشيد ليشراف على ماتم من بناء قلعتها التى كانت تشيد فى ذلك الحين .

ولم يذكر ابن إياس شيئاً عن القلعة فى أيام قايتباى إلى أن وصل إلى الكلام عن السلطان قنصوه الغورى . فقال : إنه لما خشى غزوة العثمانيين ذهب بنفسه للتفتيش على حصون الإسكندرية ورشيد وكان ذلك فى يوم الأربعاء الموافق ٢ رمضان عام (٩٢٢ هـ — أكتوبر ١٥١٥) وشاع الخبر إذ ذاك بأن السلطان قد أمر ببناء سور لرشيد على ساحل البحر الأبيض المتوسط . وأرسل لأجل ذلك البنائين والحجارين — ولما عاد السلطان من رحلته فى يوم الثلاثاء الموافق ٢٣ أكتوبر ١٥١٥ م ندب كبير معماريه «خير بك العلائى» وعينه قائداً للآلاف للإشراف على بناء تلك الأسوار . فرحل للقيام بمهمته وأخذ فى إتمامها إلى أن عاد إلى القاهرة عام (٩٢٢ هـ — ١٥١٦ م) فى أوائل أيام نيابة المتولى الأمر (فى أثناء غياب قنصوه الغورى فى الشام لمحاربة الترك) طومان باى .

ولما استولى السلطان سليم على مصر ودخل القاهرة قصد فيما بعد الإسكندرية . ثم نزل النيل فوصل إلى رشيد (٣١ مايو ١٥١٧ م) لحيته مدافع قلعتها عندما اقتربت السفينة السلطانية منها .

وقد وصف قلعة رشيد معظم الرحالين الذين وفدوا على مصر فى القرنين السابع عشر والثامن عشر . أمثال الرحالة «سيزار لامبرث» الذى قال عنها إن البناء



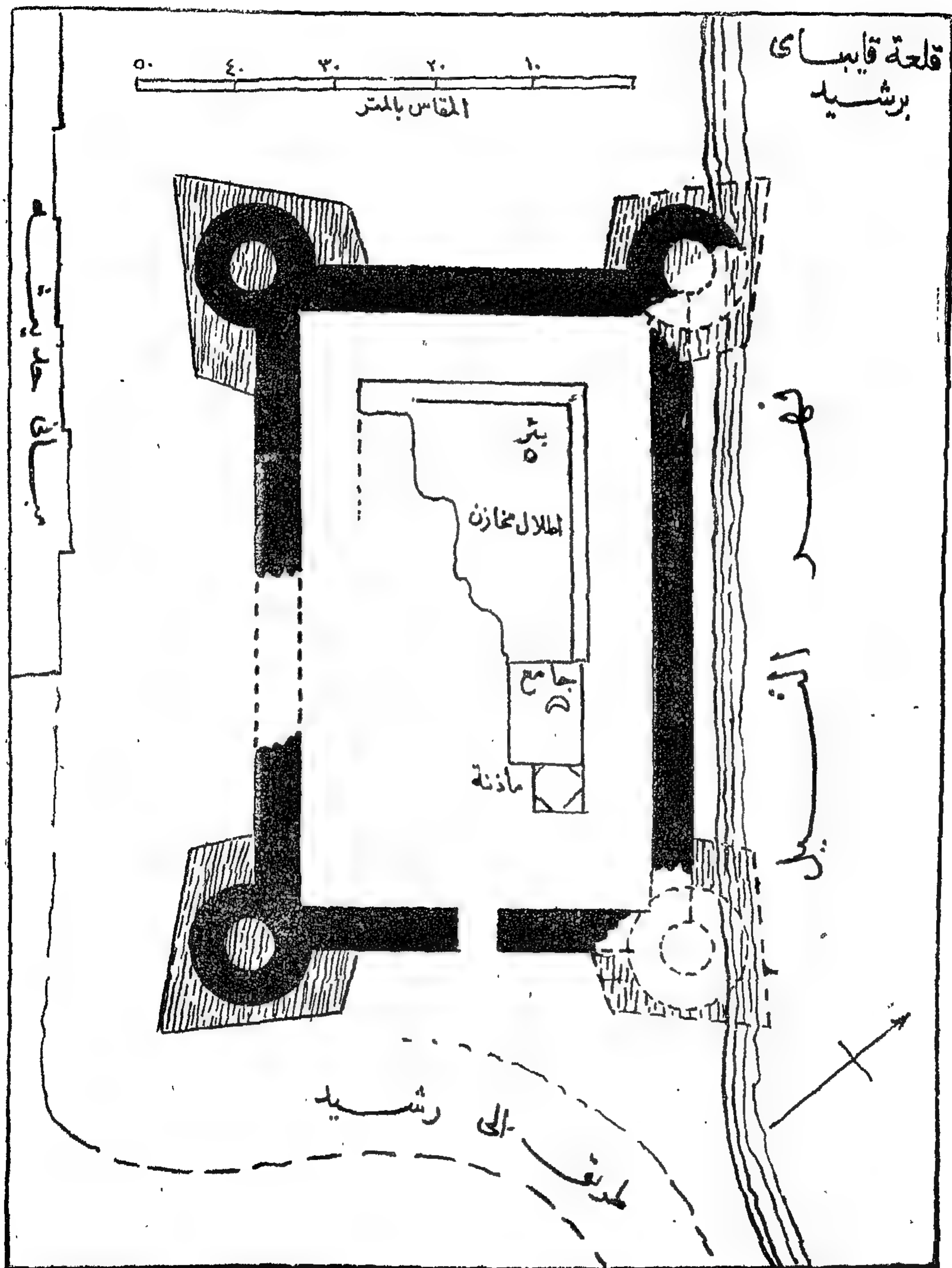
الأصلى فى تصميمه يشبه بدرجة كبيرة الحصن الداخلى فى قلعة قايتباى بالإسكندرية ،  
أى أنه كان عبارة عن بناء مربع بأبراج مستديرة فى أركانه الأربعة . وما زالت  
بعض آثار القلعة قائمة إلى اليوم .

كذلك وصف القلعة الرحالة «فانسلب» وبول لوكاس الذى زار القلعة  
عام ١٦٩٩ .

وترك الرحالة الدنمركى «نوردن» صورة واضحة لشكل القلعة . كما خاف لنا  
الرحالة ريشارد بوكوك وصفا يكاد يكون كاملا كما كانت عليه عام ١٧٣٧ . وتظهر  
فى لوحة الرحالة نوردن مأذنة الجامع القديم فى القلعة . وقد حل محله الجامع القائم  
حاليا . وهى تعلو على بناء الحصن الداخلى ..

ووصف القلعة السائح الفرنسى «سافارى» عند زيارته لرشيد ( ١٧٧٧ م )  
«ولا لارم» وسوينى . وشهدا «فيفان دينو» عام ١٧٩٨ ورسمها فى كتابه  
رحلة فى الوجه البحرى ومصر العليا ،

وفى أنقاض قلعة رشيد اكتشف بوشار أحد ضباط الحملة الفرنسية فى شهر  
أغسطس ١٧٩٩ الحجر المشهور بحجر رشيد — مفتاح اللغة المصرية القديمة .



## قلع البرلس

كانت البرلس من الثغور المصرية القديمة الواقعة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط . وإليها تنسب بحيرة البرلس الواقعة في شمالى مديرية الغربية . ويطلق اسم البرلس أيضا على المنطقة الساحلية المعروفة بإقليم البرلس الممتدة بين البحر الأبيض وبين بحيرة البرلس .

ففى العصر الأيوبي شيدت بقرية البرلس قلعة على شاطئ البحر اشتهرت بين الأهالى « بالبرج » ومن ذياك الوقت عرفت قرية البرلس باسم « البرج » ، واختفى اسمها الأصيل ، إلا أن البرلس لا تزال علما على إقليم البرلس .

وقد ذكر الرحالة « سيزار لامبرت » الذى وفد على مصر فى عام ١٦٢٧ م أنه كان فى البرلس قلعة يقوم بحمايتها ثلاثون رجلا يتناولون مرتباتهم من إيرادات صيد الأسماك .

وللأولى يرد ذكر قلعة البرلس فى خطاب مهم أرسله القائد بونابرت غداة يوم وصوله إلى فرنسا عائدا من القطر المصرى لحلفه القائد كبير بتاريخ ٢٢ أغسطس ١٧٩٩ . إذ طلب إليه أن يشيد برجاً أو بطارية للدفاع فى البرلس<sup>(١)</sup>

فبادر القائد الجديد كبير بتكليف المهندس العسكرى الكابتن لويز ترومان . ( Lewis Thurman ) لتنفيذ مشروع بناء القلعة . وقد وصل إلينا تاريخ إنشائها وسير العمل فيها مما كتبه ترومان إلى أبيه منذ بدء العمل فيها فى شهر مايو من عام ١٨٠٠ ، فقد ورد فى إحدى رسائله لأبيه .

« لقد اختار الجنرال كبير مشروعى وكلفنى بالقيام بتنفيذه »<sup>(٢)</sup> .

---

1 — Correspondence de Napoleon 1<sup>er</sup> publiee par ordre de Napoleon III, Paris.

2 — C-Bachatly — Une Inscription Francaise Inedite du Fort d'El-Borollos. B. I. d' Egypte. T. XVIII, 1935 — 1936.

ومن الرسائل التي صاغها هذا الضابط في أثناء إقامته في البرلس لأبيه المقيم في فرنسا — وجدنا المصدر الفريد عن كتابة تاريخ هذه القلعة . وكيف لا . . . فقد أورد الكابتن في تلك الرسائل كثيرا من المعلومات الدقيقة والتفصيلات الفنية التي نلخصها فيما يلي :

في يونيو عام ١٨٠٠ كتب لأبيه يقول إنه انتهى من عمل التخطيط العام للقلعة وإنه سماها قلعة البرلس . وفي يوليو من العام نفسه وضع الحجر الأساس لها ووصف لأبيه الاحتفال الشائق الذي نظمه لهذه المناسبة . وكان مما نوه به اشتراك فرقة الموسيقى التركية لقوة رشيد وجماعات الرافعات في المهرجان<sup>(١)</sup> .

وقد حمل الصندوق الذي اشتمل على الحجر الأساسى ستة من الجند الفرنسيين الأقوياء بعد وضعه على محل أتته لهذا الغرض . وغطى الحجر بسجادة فارسية جميلة الزخرف والصناعة وقد أمسك بطرفيها الأماميين أوسطى البنائين الفرنسيين وزميله أوسطى النجارين . وأمسك بمنتصفها الأوسطى التركي للبنائين وزميله الترى للنجارين أما ركنيها الخلفيان فقد أمسك بهما الربسان أحمد وشعبان ، مقدما العمال .

وجاء بعد هؤلاء ممثلو شتى الحرف التي ساهم أصحابها في أعمال الإلشاء . وقد خصص لكل حرفة محل حشبي وضع عليه العدد والآلات التي تمثل الحرفة كالبناء والنجارة والحداة وصناعة الطوب وحملة قرب المياه ، وتبعهم جماعات المشايخ يتقدمهم الكابتن تورمان

وخلال مرور هذا الموكب كانت تحييه طلقات المدافع ورصاص البنادق لرجال حامية البرلس الذين اصطفوا في ميدان الأسلحة .

ولما وصل الموكب إلى المكان الذي اختير للبناء انتظم المحتفلون في هيئة دائرة ، ووقف الكابتن بالقرب من حافة الأساس المحفور وخاطب المجتمعين باللغة الفرنسية ، ثم ترجم الخطاب إلى اللغة العربية ، ( وانتهى الاحتفال بالهتاف للجمهورية الفرنسية ومصر والبرلس وأهلا ) .

---

1 . — Capitaine Thurman - Bonaparte en Egypte. Souvenires publie avec preface et appendices par le comte Fleurey Paris, 1902 P. 151 —



ومن ثم طفقت فرقة الموسيقى التركية تشنف آذان المستمعين — وهم جالسون القرفصاء على الرمل — بأنغامها الشجية ، وخلبت الراقصات أفئدة الجماهير برقصاتهن الفناينة

وفي غمرة ذلك السرور الذي بسط جناحيه على المكان كانت تقدم أقذاح القهوة وكثوس المشروبات والطباق والترجيلات ثم وضع حجر الأساس للقاعة في مكانه بين هتاف الحاضرين .

وفي نحو الساعة العاشرة ليلاً ، تحت سقف خيمة واسعة أقيمت خصيصاً لهذا الاحتفال ، اجتمع الكابتن ثورمان بضباط الحامية ورجال البحرية وكبار رجال العمل الفرنسيين والأتراك ونخبة من المشايخ وجلسوا لتناول العشاء على الطريقة العثمانية ، والكل جالسون على الأرض . . . وبعد الفراغ من العشاء استأنف الموسيقيون عزفهم وقامت الفتيات الراقصات بحركاتهن واستمر الجمع في سرور وجور حتى تفرقوا حوالى منتصف الليل وهم على أكمل صداقة وأسعد حال .

أما الحجر الأسامي فكان قطعة من الرخام الأبيض طوله ستون سنتيمتراً وعرضه ثمانية وعشرون سنتيمتراً وارتفاعه اثنا عشر سنتيمتراً . وكان منقوشاً على أوجهه العبارات الست الآتية باللغة الفرنسية :

١ — العام الثامن للجمهورية الفرنسية في العام ١٧٩٩ المسيحى والعام ١٢١٤ الهجرى . شيد الفرنسيون قلعة البرلس .

٢ — القنصل بوناپرت الأول . القائد العام مينو . لجيش الشرق . بعد ثلاثة أعوام وشهر من وصول الفرنسيين إلى مصر .

٣ — الجنرال سانسون قائد عام سلاح المهندسين . قائد الكتائب ومدير الحصون .

٤ — شيدها لويز ثورمان — كابتن المهندسين — والمولود في كولمار — إدارة الرين الأعلى .

٥ — الترجمة العربية لما جاء في (١)

٦ — الترجمة العربية لما جاء في (٢) .

وقد أحضر ثورمان حجراً آخر وضع في داخله مجموعة من النقود المستعملة في ذلك الحين ولوحاً من الورق السميك سطر عليه العبارات السالف ذكرها التي نقشت على حجر الأساس . ودفن في مكان يبعد قليلاً عن موضع الحجر الأول (١) .

واستؤنف العمل بعد ذلك بنشاط زائد ، فقد كانت جميع حاجات البناء متوفرة وفي أثناء العمل عهد إلى الكابتن ثورمان بمهمة استكشاف خطوط الدفاع الشرقية الممتدة إلى الشام . وكانت قلعة البرلس إذ ذلك على وشك الانتهاء كما يستدل على ذلك من خطاب ثورمان إلى أبيه الذي يقول له فيه :

« انتهى العمل في قلعتي . . . »

وفي أكتوبر ١٨٠٠ غادر الكابتن ثورمان مقر عمله بالبرلس قاصداً بلبيس ولم يكن يعلم إذا كان سيعود ثانية إلى البرلس . غير أنه كان ميالاً للعودة لينجز العمل الذي استهله كما نستدل على ذلك من خطابه الأخير لأبيه . وقد ضمنه بياننا اشتمل على نقط الدفاع الساحلية التي حصنها الفرنسيون في أثناء احتلالهم لمصر وهي على ساحل البحر .

قلعة مريوط — عززت وحصنت الاستحكامات القديمة ، وهي في مكان يسهل منه الدفاع عن خطوط اقتراب السفن الحربية من الميناء القديمة للإسكندرية .

قلعة الفخار — فاروس — وهي المعروفة بطابية قايتباي تعارضها قلاع حمامات كليوباترة والمقابر لحماية مدخل الميناء من كانوبي حيث السوق القديم وممر للقوافل التجارية .

قلعة أبي قير — وكانت في حالة صالحة للدفاع مع ما لحقها من التجديد .

بطارية مد المحمودية .

برج عزبة أبو مندور .

قلعة جوليان برشيد — حالتها جيدة بالرغم من ضعف بنائها .

بطارية فارستى .

موقع دفاعى أمام قلعة جوليان .

قلعة البرلس — للدفاع عن بوغاز بحيرة البرلس .

قلاع القاهرة التى أقامها الفرنسيون .

قلعة عزبة البرج بدمياط .

قلعة أم فرجة والطينة والعريش .

وكانت هناك قلاع أخرى فى بلبيس والصالحية وقايطية والسويس والقصر  
والمنصورة وبركة الحاج . . وغيرها

وعقب انقضاء بضعة أسابيع على سفر ثورمان فى شهر ديسمبر عام ١٨٠٠  
افتتحت قلعة البرلس واحتلتها جنود الحامية الفرنسية التى كانت تعيش مؤقتا فى  
معسكر من الخيام إلى انتهاء بناء القلعة<sup>(١)</sup> .

## طايطية برج البرلس الغربية

وقلعة البرلس التى بسطنا الحديث عنها تهدمت واندرت ولم يبق منها شئ سوى  
قطعة الحجر الأساسية التى نقلت فيما بعد إلى دار الآثار العربية وأعطيت الرقم  
١٢٨٩٤ لمجموعات الدار الأثرية وكان ذلك بهمة أحد أمنائها المرحوم الأستاذ  
حسن الهوارى .

واقعد كانت هناك فى الجهة الغربية من بوغاز البرلس طايطية اندثرت بأجمعها  
ولم يبق سوى بعض أطلال قافمة مبنية بالطوب الأحمر . ومن المحتمل أن تكون  
مدافعا قد غاصت فى البحر .

---

Bachatly : B. I. a Egypte. t. XVIII. 1945. P. 199. (١)

## طابية برج البرلس الشرقية

وقد اندثرت أيضاً هذه الطابية ولم يبق منها أى شىء مطلقاً إلا أنه يوجد بالحديقة التى أمام قسم البرلس مدفع صغير من المدافع التى تتردد إلى عهد إسماعيل وهو من صنع محل أرمسترونج .

وكان بجوار القسم ثلاثة مدافع ملقاة على الأرض ومطمورة بالأتربة وعرباتها مفقودة وهى من عهد إسماعيل من صناعة أرمسترونج أحدها قطر فوهته تسع بوصات والاثنان الآخران قطر فوهة كل منهما سبع بوصات ورقم أحدهما ٢٧٩٣ ومؤرخ سنة ١٨٧٣ أما رقم الآخر وتاريخ صناعته فمطمورة فى الرمال .

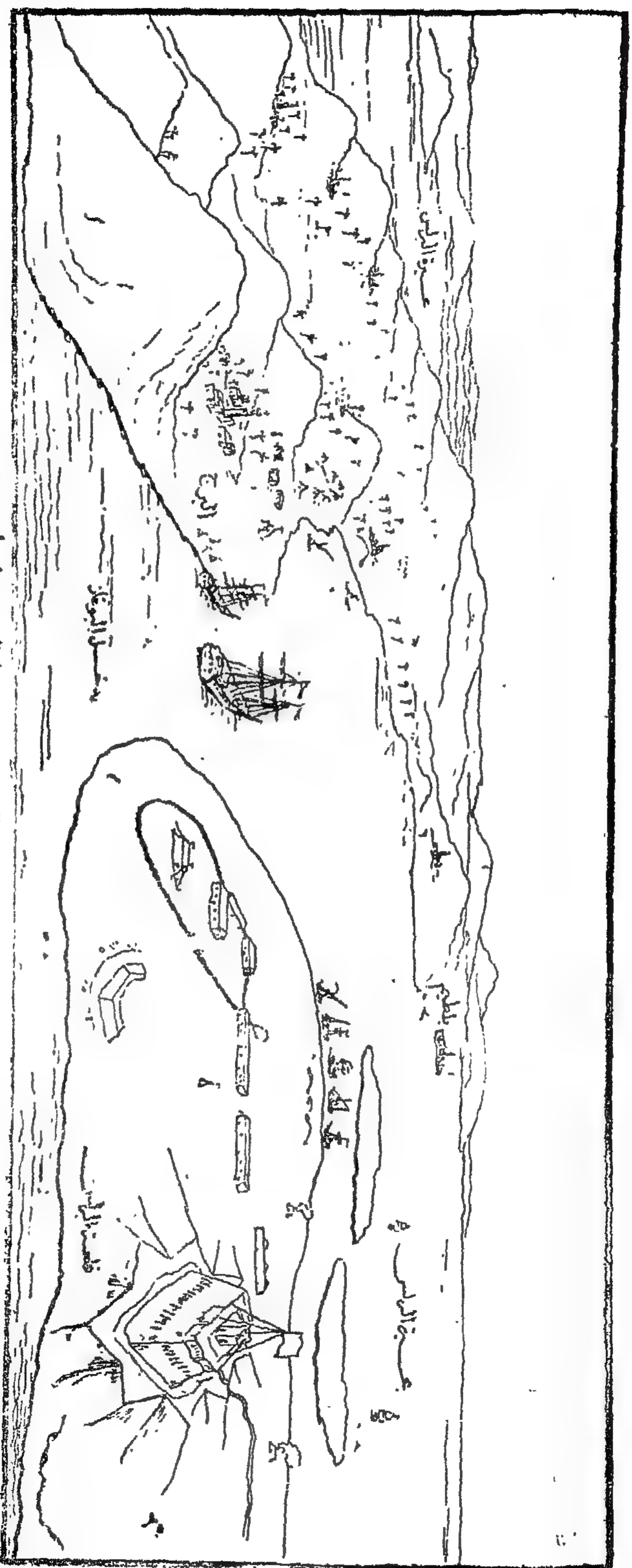
## طابية فنار البرلس

تقع هذه الطابية بجوار فنار البرلس ويوجد بها خمسة مدافع . وقد تهدمت بأجمعها وطمرت جدرانها السفلية بالرمل . وأحد هذه المدافع الخمسة لا يزال على عربته فى موضعه الأصيل على قمة تل من الرمال . ولذلك يطلقون عليه سكان تلك الجهة « المدفع المعاق » من صناعة محل أرمسترونج وقطر فوهته يبلغ سبع بوصات تقريباً . وكان بين أنقاض الطابية مدفع آخر من عهد إسماعيل وهو من صناعة أرمسترونج راكب على كرسيه وعربته لكننه ملق على جانبه ولا يزال المحور الذى كان يدور حوله مثبت فى الركيزة الرأسية التى خلعت من مكانها وأصبحت أفقية ومطمورة فى الرمال . أما الثلاثة المدافع الأخرى فهى صغيرة .

## طابية العياشى

طمرت هذه الطابية بالرمل ويوجد بها ثلاثة مدافع مطمورة أيضاً فى الرمال ومدفعان من صناعة أرمسترونج لا يزالان على عربتيهما فى موضعهما الأصيل وقطر فوهة أحدهما سبع بوصات وقطر فوهة الثانى سبع بوصات أيضاً ورقم ٢٦٦١ وتاريخ صناعته ١٨٧٢ .





رسم مظهر بوضع قلعة القدس التي عيدها الفرنسيون عام ١٧٩٩

## ملحق

### الأيويون

١١٧١ - ١٢٥٠ م

١١٧١ - ١١٩٣ م	يوسف صلاح الدين الأيوبي
١١٩٣ - ١١٩٨	العزیز بن يوسف صلاح الدين
١١٩٨ - ١٢٠٠	المنصور بن العزیز
١٢٠٠ - ١٢١٨	الملك العادل بن أيوب
١٢١٨ - ١٢٣٨	الملك الكامل بن العادل
١٢٣٨ - ١٢٤٠	الملك العادل بن الكامل
١٢٤٠ - ١٢٤٩	الملك الصالح بن الكامل
١٢٤٩ - ١٢٥٠	الملك المعظم بن الصالح
١٢٥٠	الملكة شجر الدر

وتعتبر أولى الدولة المملوكية .

### المماليك البحرية

١٢٥٠ م	الملكة شجر الدر
١٢٥٠	المعز عز الدين أيبك
١٢٥٧	المنصور نور الدين علي بن أيبك
١٢٥٩	المظفر سيف الدين قطز
١٢٦٠	الظاهر ركن الدين بيبرس
١٢٧٧	السيد ناصر الدين بركة خان بن بيبرس
١٢٧٩	العادل بدر الدين سلامش
١٢٧٩	المنصور سيف الدين قلاوون
١٢٩٠	الأشرف صلاح الدين خليل بن قلاوون
١٢٩٣	الناصر ناصر الدين محمد بن قلاوون

١٢٩٤	العادل زين الدين كتبغا
١٢٩٦	المنصور حسام الدين لاجين
١٢٩٨	الناصر (ثاني مرة إلى الحكم)
١٣٠٨	المظفر ركن الدين بيبرس الثاني
١٣٠٩	الناصر (ثالث مرة)
١٣٤١	المنصور سيف الدين أبو بكر بن الناصر
١٣٤١	الأشرف علاء الدين كوجوك
١٣٤٢	الناصر شهاب الدين أحمد
١٣٤٢	الصالح عماد الدين إسماعيل
١٣٤٥	الكامل سيف الدين شعبان
١٣٤٦	المظفر سيف الدين حاجي
١٣٤٧	الناصر ناصر الدين حسن
١٣٥١	الصالح صلاح الدين صالح
١٣٥٤	الناصر حسن (المرة الثانية)
١٣٦١	المنصور صلاح الدين محمد بن حاجي
١٣٦٣	الأشرف ناصر الدين شعبان بن حسين
١٣٧٦	المنصور علاء الدين علي بن شعبان
١٣٨١	الصالح صلاح الدين حاجي بن شعبان
١٣٨٢	يرفوق (المماليك البرجية)

## الممالك البرجية

نوفمبر ١٣٨٢	الظاهر سيف الدين برقوق
يوليو ١٣٨٩ — فبراير ١٣٩٠	( يتولى المنصور حاجي الملك )
يونيو ١٣٩٠	الناصر ناصر الدين فرج بن برقوق
سبتمبر ١٤٠٥	المنصور عز الدين عبد العزيز بن برقوق
ديسمبر ١٤٠٥	الناصر فرج ( مرة ثانية )
مايو ١٤١٢	العاذل المستعين الخليفة العباسي
نوفمبر ١٤١٢	المؤيد شيخ
يناير ١٤٢١	المظفر أحمد بن شيخ
أغسطس ١٤٢١	الظاهر سيف الدين طاهر
نوفمبر ١٤٢١	الصالح ناصر الدين محمد بن طاهر
أبريل ١٤٢٢	الأشرف سيف الدين برسباي
يونيو ١٤٣٨	العزير جمال الدين يوسف بن برسباي
سبتمبر ١١٣٨	الظاهر سيف الدين جقمق
فبراير ١٤٥٣	المنصور فخر الدين عثمان بن جقمق
مارس ١٤٥٣	الأشرف سيف الدين إينال
فبراير ١٤٦١	المؤيد شهاب الدين أحمد بن إينال
يونيو ١٤٦١	الظاهر سيف الدين خوش قدم
أكتوبر ١٤٦٧	الظاهر سيف الدين يلباي
ديسمبر ١٤٦٧	الظاهر تيمور بغا
يناير ١٤٦٨	الأشرف سيف الدين قايتباي
أغسطس ١٤٩٦	الناصر محمد بن قايتباي
أكتوبر ١٤٩٨	الظاهر قنصوه
يونيو ١٥٠٠	الأشرف جنبلط
يناير ١٥٠١	العاذل طومان باي
أبريل ١٥٠١	الأشرف قنصوه الغوري
أكتوبر ١٥١٦	الأشرف طومان باي
يناير ١٥١٧	سقوط الدولة



## مراجع الكتاب

- أبو شامة :  
كتاب الروضتين في أخبار الدولتين . جزآن . القاهرة ١٢٨٧ هـ .
- أبو المحاسن — جمال الدين يوسف بن تغرى بردى الاتابكي :  
النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة . ١٢ جزءاً — القاهرة
- على مبارك باشا :  
الخطط التوفيقية لمصر القاهرة ومدنها وبلادها القديمة المشهورة — القاهرة .
- عبد الرحمن الجبرتي :  
عجائب الآثار في التراجم والأخبار . طبعة بولاق ١٢٩٧ هـ . أربعة أجزاء .
- تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المعروف بالمقرئ :  
المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار . طبعة بولاق ١٢٧٠ هـ . جزآن  
طبعة النيل ١٣٢٤ هـ . أربعة أجزاء
- جلال الدين السيوطي :  
حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة . مجلدان — القاهرة .
- القلقشندي :  
صبح الأعشى ١٤ مجلداً — القاهرة .
- عبد الرحمن زكي ( القائمقام ) والدكتور زكي محمد حسن عميد كلية الآداب  
في مصر الإسلامية — القاهرة ١٩٣٨
- عبد الرحمن زكي ( القائمقام ) :  
القاهرة — جزآن — القاهرة ١٩٣٢ و ١٩٣٥ .  
الجيش المصري في عهد محمد علي — القاهرة ١٩٣٩ .

— ابن إياس :

مدائع الزهور في وقائع الدهور — ثلاثة أجزاء :

— محمد عبد الله عنان :

مصر الإسلامية وتاريخ الخطط المصرية — القاهرة — ١٩٣١ .

— حسن عبد الوهاب :

تاريخ المساجد الأثرية — جزآن — القاهرة ١٩٤٦

— كراسات لجنة حفظ الآثار العربية ١٨٨٢ — ١٩٢٠ — القاهرة

— الدكتور عبد اللطيف حمزة

حكم قره قوش — مطبعة مصطفى الحلبي — القاهرة .

— نعوم شقير :

تاريخ سيناء وجغرافيتها — القاهرة .

— مذكرات المرحوم الأستاذ حسن الهوارى أمين دار الآثار العربية ..

— مذكرات المرحوم الأستاذ محمد بك رمزي .

## المراجع الأفرنجية

— P. Casanova :

Histoire et Description de la Citadelle du Caire ; Memoires  
Publié's par les Membres de la Mission Archéologique  
Française du Caire. Tome Sixieme, 1897.

— Professor K. A. C. Creswell :

Archeological Researches at the Citadel of Cairo Cairo, 1924

— Description de l'Egypte, 2e édition, Paris. 1821, t XVIII  
et Atlas.

الجزء الخاص بوصف القلعة ( ص ٣٤٧ — ٣٦٣ و ٥١٨ — ٥٢٢ )  
الذى كتبه جومار .

— Stanley Lane Poole :

The Art of the Saracens in Egypt. London, 2. 186.

## بيان الصور الفوتوغرافية

- ١ — منظر من أعلى يوضح القسمين الرئيسيين لقلعة صلاح الدين والمباني الأثرية المتناثرة فيهما .
- ٢ — نسر صلاح الدين الأيوبي المنقوش على الحجر على أحد أسوار القلعة
- ٣ — لوحات الكتابات العربية الأثرية المنقوشة على الحجر فوق باب المدرج بقلعة صلاح الدين .
- ٤ — الدرج المؤدى إلى باب المدرج — القائم خلف الباب الجديد .
- ٥ — الباب المؤدى إلى ميدان العلم المطل على القاهرة ، بيدنقيه الضخمتين .
- ٦ — بقايا إيوان السلطان الناصر بقلعة صلاح الدين ، كما كان قائما في أيام الحملة الفرنسية ( عن رسم البصور هاى ) .
- ٧ — قطعة من أسوار القلعة الجنوبية وأبراجها ، وإلى اليسار مسجد محمد على .
- ٨ — منظر عام للمباني التاريخية التى يضمها القسم الشمالى فى قلعة صلاح الدين ، ويرى إلى اليمين مسجد الناصر محمد .
- ٩ — جامع السلطان الناصر محمد ، الذى يقع إلى يسار الزائر لمسجد محمد على .
- ١٠ — باب العزب بيدنقيه الضخمتين ، ويطل على ميدان صلاح الدين .
- ١١ — منظر عام لآثار قلعة صلاح الدين ، ويرى جامعاً محمد على وابن طولون إلى اليسار .
- ١٢ — قلعة قايتباى فى رشيد
- ١٣ — قطعة من أسوار قلعة قايتباى فى رشيد .
- ١٤ — قلعة قايتباى فى الإسكندرية .



## فهرس الأعلام

ألبغا (الأمير) : ٤١	(١)
أيلك (معز الدين) : ١٥ و ٣٨ و ١٢٨	إبراهيم أدهم : ٧٨
إينال (الملك الأشرف) : ١٤٤	ابن زنبيل : ٤٧
(ب)	ابن سعيد : ١٢٧
بدر الجمالي : ٨٨ و ٩٠ و ٩١ و ١٠١	ابن طولون : ١٢٥
و ١٠٣ و ١٢٦ و ١٢٨	ابن عبد الظاهر : ٥ و ٦ و ٨ و ٩
برد بك (الأمير) : ١١٣	١٤ و ١٨ و ١٩
برسباي (الملك الأشرف) : ٢٨ و	ابن عبد الحكم : ١٤٢
٤٦ و ١٤٣	ابن اليازوري : ٤٥
برقوق (السلطان) : ٢٥ و ٢٨ و	ابن إياس : ٤٥ و ٤٦ و ٤٧
٣١ و ٣٩	أبو سعيد برقوق (الملك) : ٤٤ و
برقوق (الظاهر) : ٣٣ و ٣٦ و ٨٣	٥٢ و ٤٥
بركة خان : ١٧	أبو المحاسن : ١٣ و ١١٠
بهاء الدين قراقوش : ٢ و ٦ و ٩٤	أبو الجيش خماروية : ١
١٠٤ و ١٠٥ و ١٠٦ و ١٠٧ و ١٠٨	أحمد ابن طولون : ١
و ١٠٩ و ١٢٣	أحمد كتنخدة : ٦١
بيبرس (السلطان) : ٨ و ٩ و ١٣	أحمد المملطي : ١١٣ و
و ١٥ و ١٦ و ١٧ و ٣٠ و ٤٠ و ٥٢	إسماعيل (الوالي) : ٦٢ و ٨٣
و ١٢٩	إسماعيل (الخديوي) : ٢ و ٣٧ و
بيبرس (الأحمدي) : ١١٢	٤٤ و ٨٣ و ٩٧ و ١٦٨
(ت)	آق سنقر : ٣٥
تغري بردي الظاهري : ١١٥	أقبغا (الأمير) : ٣٥ و ٤٢
	أقبردي (الدوادار) : ٣٧٠

(س)	تغرى (برمش) : ١١٣ و ١١٤
سافارى : ٧٠	تمرز (الأمير) : ٣٢
سبيع (الأمير) : ١١٣	(ث)
سراج الجشجاوى : ١١٣	ثانى بك (الأشرفى) : ١١٣ و ١١٥
السعيد (المالك) : ١٤ و ١٦	(ج)
سليم الأول : ١٧ و ٥٨ و ٥٩ و ١٢٩ و	جر كس (الخليلى) : ٤٥ و ٨٥
١٣٢ و ١٣٧ و ١٣٨	جقمق (السلطان) : ٤٦ و ٨٣ و ٨٥
سليمان باشا : ٦١	جقمق (العلائى) : ١١٣
سودون (الأمير) : ٣٢ و ٣٥	جقمق (النورى) : ١١٣
سودون (البردكى) : ١١٤	جنبلط (السلطان) : ٤٦ و ٤٧ و ١١٥
سودون النوروزى : ١١٤	(ح)
سيف الدين (الأمير) : ٤٠	حاتم ابن هر شمة : ١
سيف الدين الماردائى : ١١٣	حسام الدين (الأمير) : ١٧ و ١٩ و ٣١
سيف الدين يونس : ١١٤	حسام الدين لؤلؤ : ١٢١
سيف الدين أيدق : ١١٢	حسن الهوارى : ٩٧ و ٩٨ و ١٦٧
(ش)	(خ)
شجر الدر : ١٠	خليل (المالك الأشرف) : ١٧ و
شمس الدين القاضى : ١٥	٣٢ و ١٩
شهاب الدين (المؤرخ) : ٢١	خير بك القسروى : ١١٤
شيركوه : ١٠٤	خير بك (الأمير) : ٥٩ و ٦٠
شيخ المؤيد (السلطان) : ٢٨ و ٤٥	خير الدين (الأمير) : ١١٥
(ص)	(ر)
الصالح (السلطان) : ١٢٨ و ١٢٩	رضوان كتخدا : ٦٢ و ٦٣ و ٦٤
صلاح الدين الأيوبنى : ٢ و ٤ و ٥	

عماد الدين إسماعيل (السلطان) : ٤٢  
 عماد الدين (الملك المؤيد) : ٤٢  
 عمرو بن العاص : ١٤٢ ، ١٢٥  
 عيسى بن الملك العادل : ١٣٢

( ف )

فان برشم : ٢٣  
 فخر الدين إبراهيم : ١٧  
 فرج (السلطان الناصر برقوق) : ٣٢  
 ٥١ ، ٤٥ ، ٣٤

( ق )

القاضي الفاضل : ٩  
 قايتباي : ٢٢ ، ٤٦ ، ٥٠ ، ٨٣ ، ٨٥  
 ١٤٤ ، ١٥٠ ، ١٥٤ ، ١٦١  
 قانباك أبو شامة : ١١٥  
 قانباي الأعمش : ١١٤  
 قشبحا (الأمير) : ١١٣  
 قطز : ١٣  
 قطلوبغا : ١١٣  
 قلاوون (المنصور) : ١٥ ، ١٦ ،  
 ١٨ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٣٤  
 القلقشندی : ٦ ، ٢١ ، ٥١ ، ٩٦  
 قاري السنبغاري : ١١٣  
 قنصوه الغوري : ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٠ ،

٧ ، ١٠ ، ١٢ ، ٥٣ ، ٨١ ، ٨٤ ، ٩٢  
 ٩٤ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٥  
 ١٠٧ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٣  
 صفي الدين (ابن شكر) : ٩

( ط )

طار نطاوى : ١١٢  
 الطرطوشي : ١٤٣  
 طشتمر المظفرى : ١١٣  
 طقطباي (الأمير) : ١١٥  
 طوجان (الأمير) : ١١٣  
 طومان باي : ٤٦ ، ٨٣ ، ٨٦ ، ١١٥

( ع )

العادل : ٧ ، ١١ ، ١٢ ، ١٢٢  
 عبد الرحمن الجبرتي : ٩٣ ، ٦٩  
 عبد الرحمن كتخدا : ٦٤  
 عبد الملك الناصري : ١١٢  
 عثمان بن عفان : ١٤٢  
 عز الدين أيبك : ١٠ ، ١٢٨  
 عز الدين أيبك الفخري : ١٤  
 العزيز (الملك) : ٧  
 علاء الدين طبرس : ١١٢  
 علم الدين سنجر : ١١٢  
 علم الدين المنصوري : ١٨  
 علي بهجت : ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠٣

(ك)

كازانوف : ٢٥، ٢٣، ٢١، ١٤،

١١٠، ١٠١

الكامل (الملك) : ٣٨، ١١، ٧، ٣،

كرزويل (الأستاذ) : ٨٣، ٨١،

١٣، ١٠١، ٩٣

الكندي : ١

كوستاز (المهندس) : ١٣٩

(م)

مارمون (المارشال) : ٧٨

ماييه (القنصل الفرنسي) : ٦٠، ٧٢، ٢٦،

محمد الإخشيد : ١٢٦، ١٢٥،

محمد خان (السلطان) : ١٣٤

محمد رمزي : ٩٧، ٥٤، ٤١، ٣٨، ٣٧،

محمد علي : ٢٦، ٢٤، ١٤، ١٣، ٦،

٣٠، ٣٦، ٥٣، ٥٤، ٧٢، ٧٤،

٧٧، ٨٣، ٩٧، ١٠١

محمد بن قلاوون : ١٢٩، ٨٢، ١٧، ١٣،

محمد يحيى (الوالي) : ٦٤

محمد الألفي : ٦٩

مراد الثالث (السلطان) : ١٣٦

المقريزي : ١٠، ٩، ٦، ٣، ١،

١٤، ١٧، ١٩، ٢١، ٢٣، ٢٦،

٣٠، ٣٧، ٣٩، ٤٣، ٤٥، ٥١،

٨٢، ٨٨، ٨٩، ٩٣، ١٠١، ١٢٦،

١٢٨، ١٤٢،

المستنصر بالله (الخليفة) : ١٦

(ن)

نابليون : ١٣٩، ١٣٨،

الناصر حسن (السلطان) : ٥٧، ٤٣،

الناصر محمد (ابن قلاوون) : ١٩،

٢٢، ٢٣، ٢٤، ٤٦،

ناصر الدين محمد : ١٥

نجم الدين أيوب (الملك الصالح) : ٨

١٠، ٣٨،

نور الدين زنكي : ٤، ٢،

النويري : ١٤٣

نيوبهر (الرحالة) : ٢٦

(ي)

يلبغا الناصري : ١١٣

يوسف ضياء : ١٤٠

يونس الدوادار : ١٧



# الفهرس

رقم الصفحة

المقدمة

## القسم الأول

الفصل الأول : قلعة الجبل في العصر الأيوبي (١١٧١ - ١٢٥٠ م) : ١

موضع قلعة الجبل - أسباب بناء القلعة - صفة

القلعة - تحصين القاهرة - قصة البئر - فترة انتقال

القلعة في عهد السلطان الكامل - أبراج الحمام -

خزانة الكتب - القاعة الصالحية - موجز أعمال

العصر الأيوبي في القلعة . . . . . ٨

الفصل الثاني : القلعة في عهد السلاطين البحريين (١٢٥٠ - ١٣٧٢ م) : ١٣

الظاهر بيبرس - باب الدرفيل - السلطان قلاوون -

الأسمطة السلطانية - القسم الثالث من عمائر ابن قلاوون -

القصور الجوانية - السبع القاعات - باب النحاس -

باب القلة - دار النيابة - الطباق - الحوش -

الإسطبلات - الميدان - قناطر مياه القلعة -

القلعة في أعقاب عصر الملك الناصر بن قلاوون - ٤٢

قاعة الدهيشة - قاعة اليسرية .

الفصل الثالث : القلعة في عهد السلاطين الجراكسة (١٣٨٢ - ١٥١٧) : ٤٤

الفصل الرابع : القلعة في أيام القلقشندي والمقریزی في القرن الخامس

عشر . . . . . ٥١

الفصل الخامس : القلعة في أيام العثمانيين (١٥١٧ - ١٧٩٨) : ٥٨

مسجد السارية - مسجد أحمد كتخدا - الوالى إسماعيل

رقم الصفحة

	التركي - رضوان كتحدا الجلفى - الوالى محمد يحيى باشا
	الحامية العثمانية والأوجاقات السبعة .
٦٩	الفصل السادس : القلعة فى أيام الفرنسيين ( ١٧٩٧ - ١٨٠١ ) .
٧٢	الفصل السابع : القلعة فى أيام محمد على وخلفائه ( ١٨٠٥ - ١٩٣٦ )
	دار الضرب - قصر الجوهرة - دار المحفوظات -
	قصر الحرم - دار الصناعة - جامع محمد على .
٨١	تاريخ عمارة القلعة . . . . .
٨٤	النصوص المنقوشة على جدران القلعة . . . . .
٨٨	الفصل الثامن : تحصين القاهرة : الأسوار الفاطمية . . . . .
٩٠	سور بدر الجمالى . . . . .
٩٢	تحصين القاهرة فى عهد السلطان صلاح الدين . . . . .
٩٧	سور صلاح الدين ومجارى المياه القديمة . . . . .
١٠٤	مشيد القلعة : أبو سعيد قراقوش عبد الله الأسدى . . . . .
١١٠	ولاية القلعة . . . . .

### القسم الثانى

#### قلاع مجيدة شيدت فى العصر الإسلامى

١١٧	الفصل التاسع : قلعة صلاح الدين فى سيناء ( ٨٥٣ هـ ١١٨٧ م ) .
	وصف القلعة - مصدر مياه القلعة - أسباب بناء القلعة
١٢٣	قلعة فرعون - قلعة المقس . . . . .
١٢٥	قلعة جزيرة الروضة ( ٦٣٧ هـ - ١٢٤٠ م ) . . . . .
١٣٢	قلعة الطبور . . . . .
١٣٣	قلعة نخل ( عصر الغورى ) . . . . .
١٣٦	قلعة العقبة ( ٩٢٢ هـ - ١٥١٦ ) . . . . .
١٣٧	قلعة العريش ( ٩٦٨ هـ - ١٥٦٠ م ) . . . . .
١٤٢	الفصل العاشر : قلاع الإسكندرية وأسوارها . . . . .

رقم الصفحة

١٥٠	قلعة قايتباي (١٤٧٧-٥٨٨٢) — تاريخ الحصن —
١٥٥	القلعة في عهد السلطان الغوري . . .
١٥٨	الفصل الحادى عشر : دمياط وحصونها . . .
١٦٠	قلعة قايتباي في رشيد . . .
١٦٣	قلاع البرلس . . .
١٦٧	طاية برج البرلس الغربية . . .
١٦٨	طاية برج البرلس الشرقية . . .
١٦٨	طاية فنار البرلس — العياشى . . .
١٧٠	ملحق يبين سلاطين الأيوبيين والمماليك البحرية والبرجية
١٧٣	مراجع الكتاب . . .
١٧٧	فهرس الأعلام . . .
١٨١	الفهرس . . .
١٨٤	فهرست اللوحات والخرائط . . .

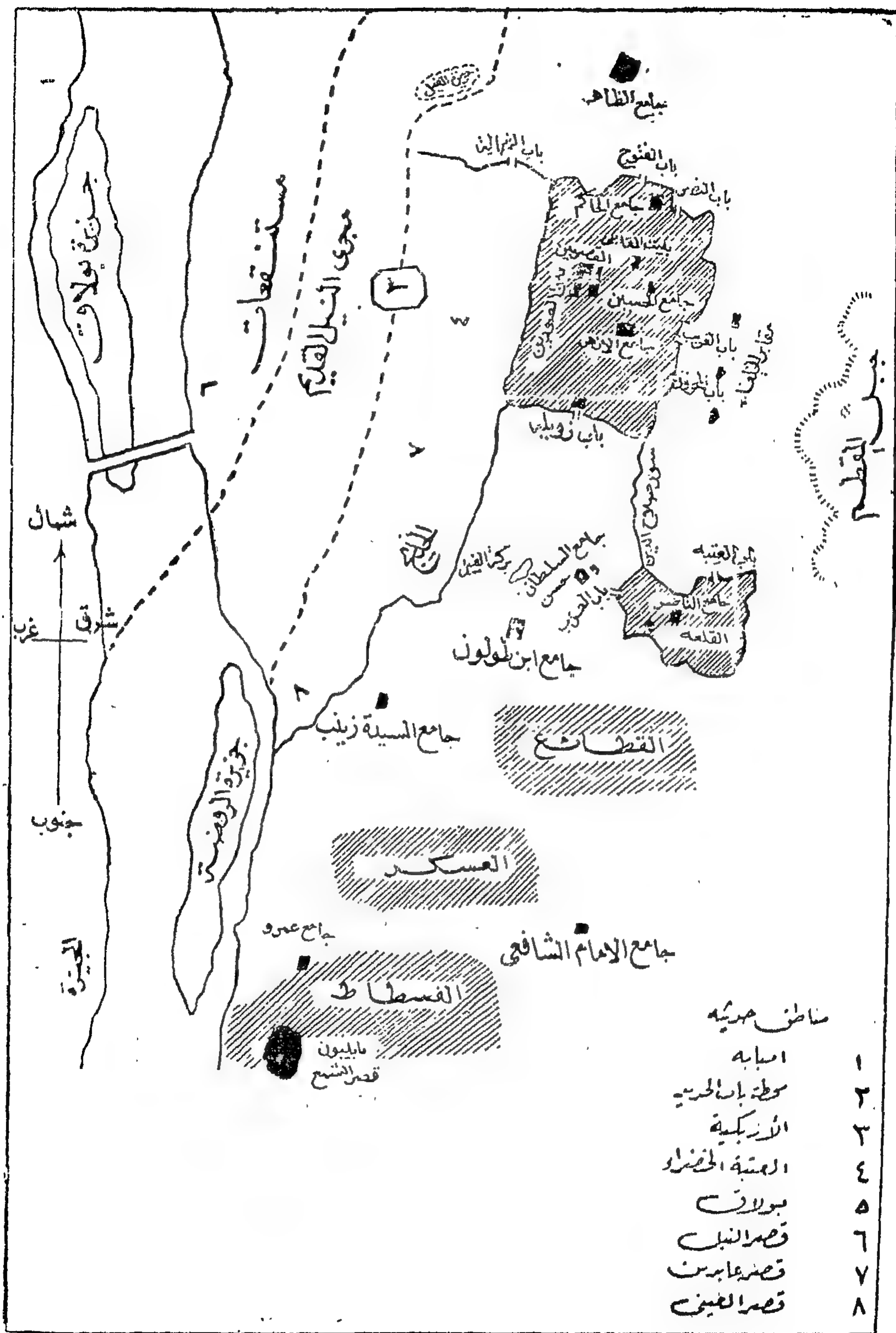
## فهرست اللوحات والخرائط

في متن الكتاب

صفحة

١٢٢	قلعة صلاح الدين في شبه جزيرة سيناء . . . . .
١٢٤	قلعة جزيرة فرعون . . . . .
١٣١	قلعة جزيرة الروضة . . . . .
١٣٥	قلعة نخل في سيناء . . . . .
١٤١	قلعة العريش في سيناء . . . . .
١٥٧	مخطط قلعة قايتباي في الإسكندرية . . . . .
١٦٢	مخطط قلعة قايتباي في رشيد . . . . .
١٦٩	رسم منظور يوضح قلعة البرلس . . . . .
	عواصم مصر الإسلامية . . . . . نهاية الكتاب
	قلعة صلاح الدين . . . . .
	حصون القاهرة في أيام صلاح الدين . . . . .
	الصور . . . . .





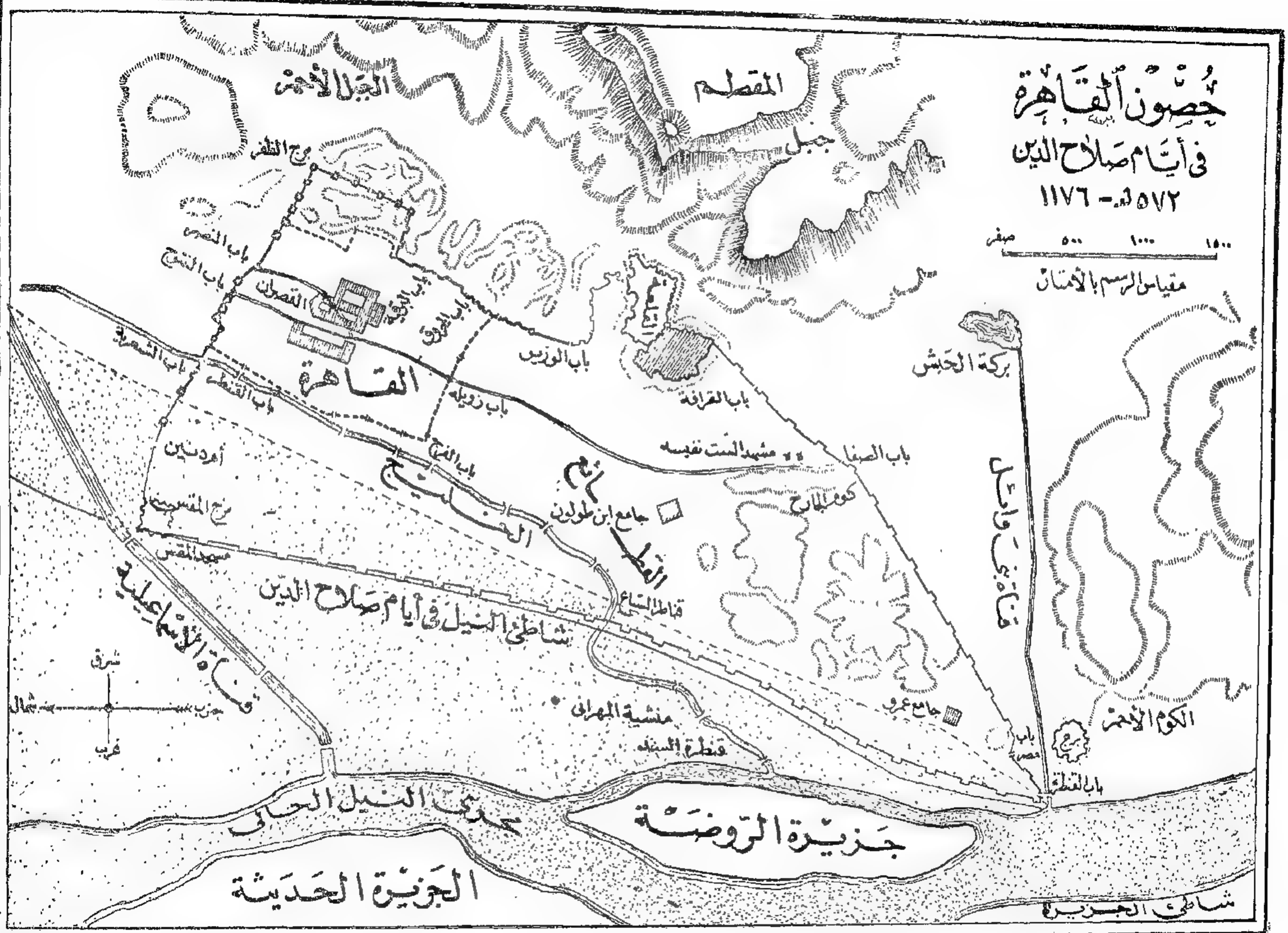




# حُصُونُ الْقَاهِرَةِ فِي أَيَّامِ صَلَاحِ الدِّينِ ٥٧٢ هـ - ١١٧٦ م

مقياس الرسم بالأمتار ٥٠٠ ١٠٠٠ ١٥٠٠

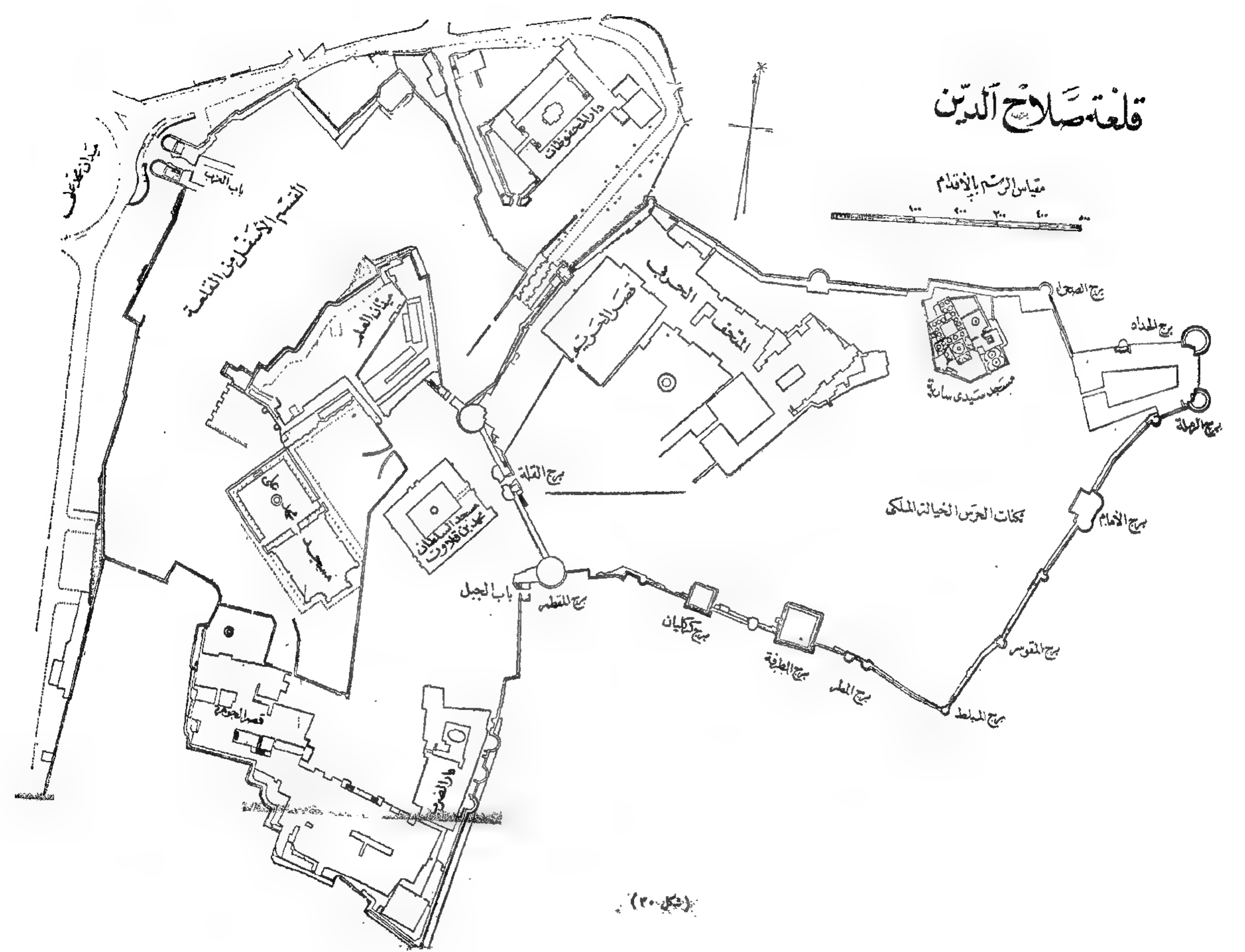
مقياس الرسم بالأمتار



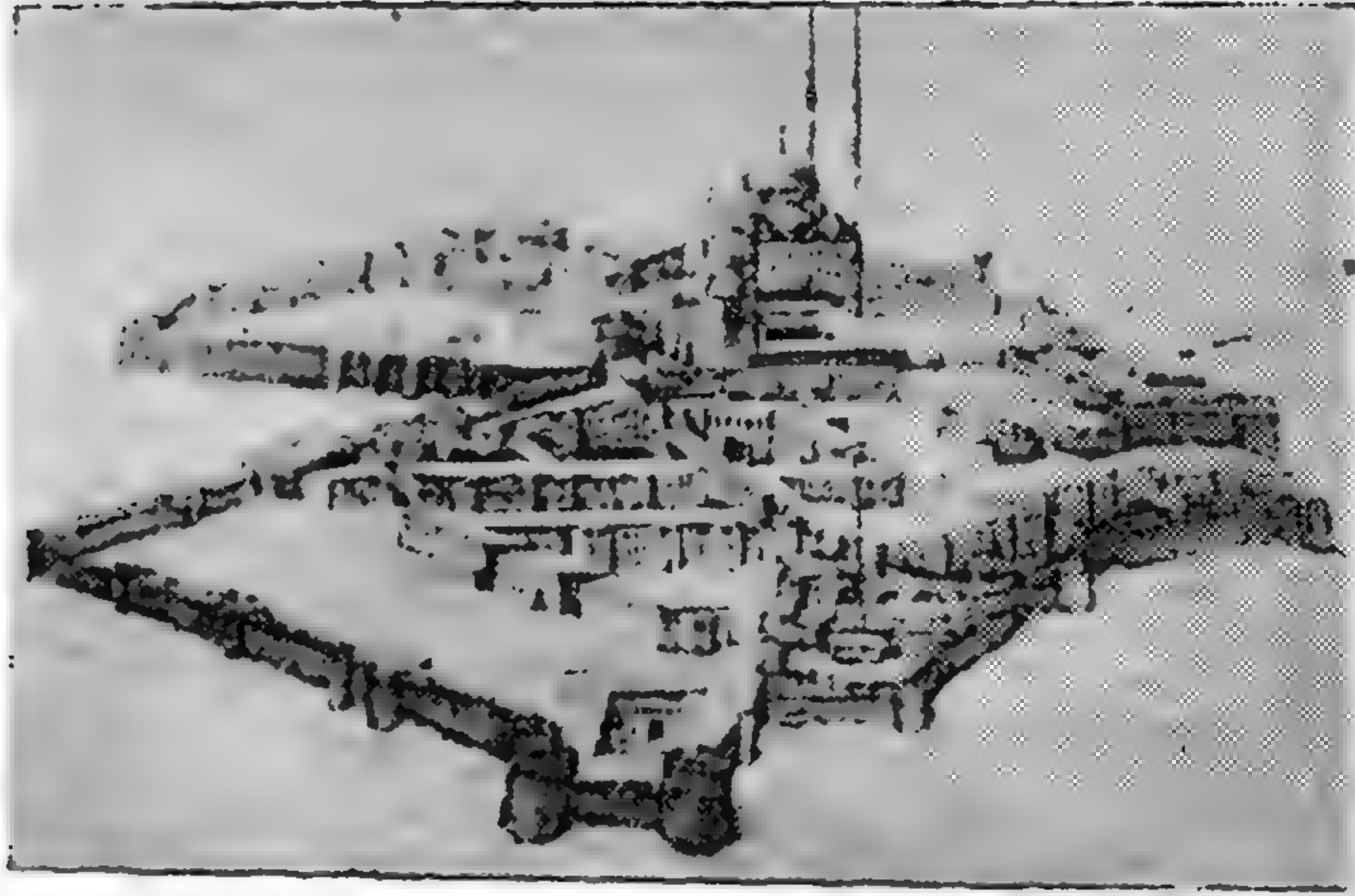


# قلعة صلاح الدين

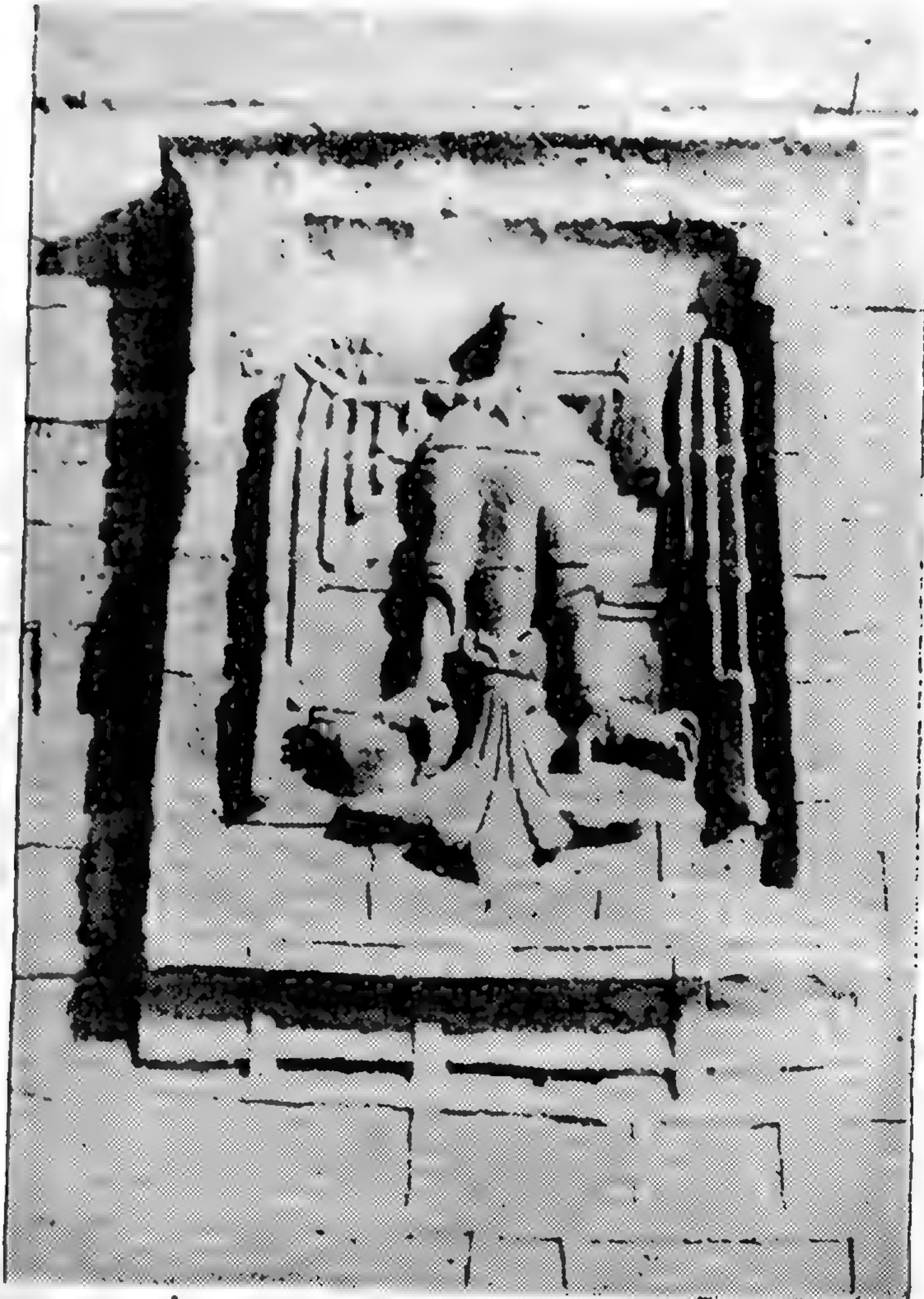
مقياس الرسم بالأقدام







١ — منظر يوضح القسمين الرئيسيين لقلعة صلاح الدين



٢ — قبر صلاح الدين الأيوبي المنقوش على الحجر



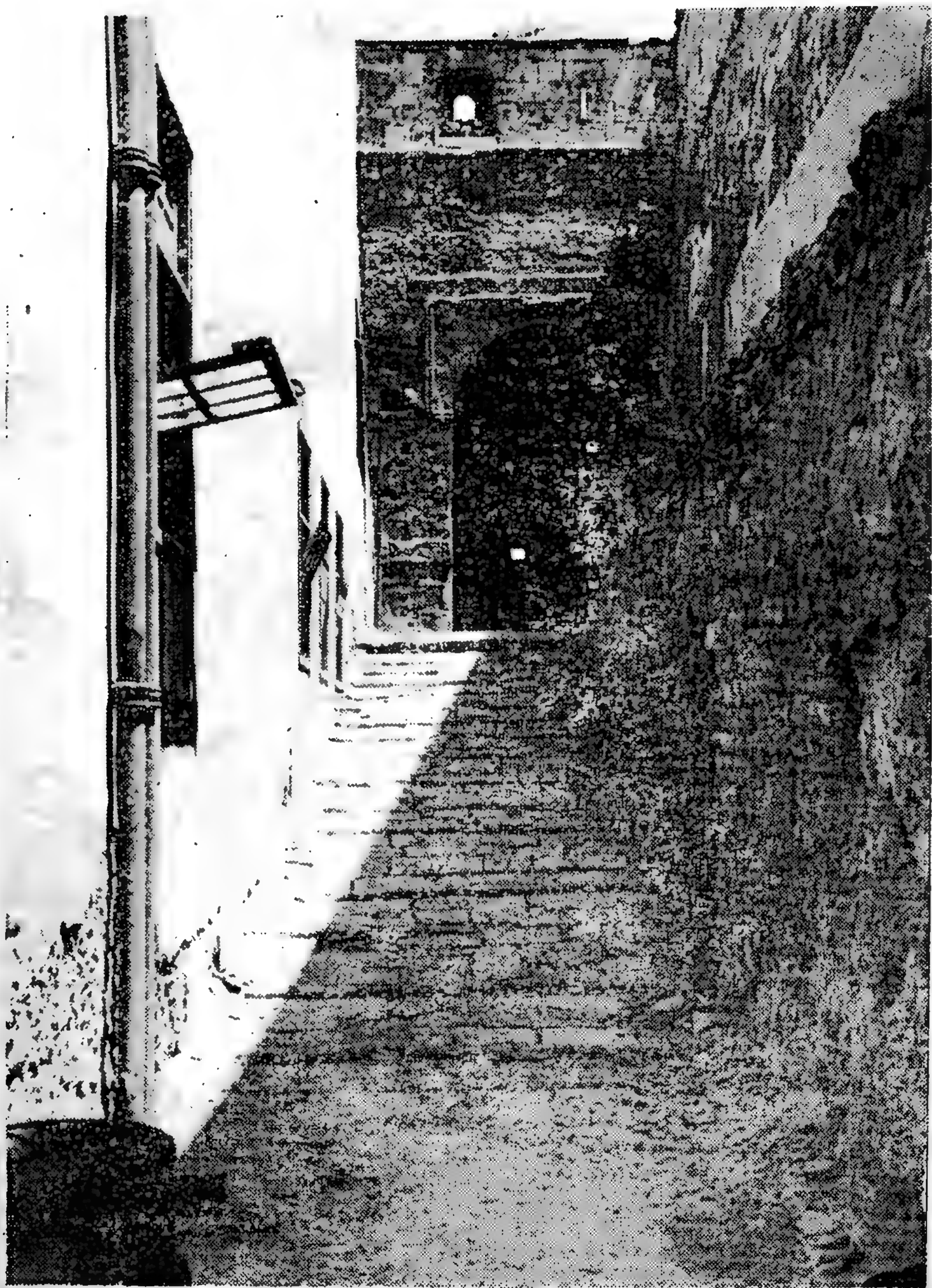




٢ - لوحات الكتابات العربية الأثرية المنقوشة على الحجر فوق باب المدرج



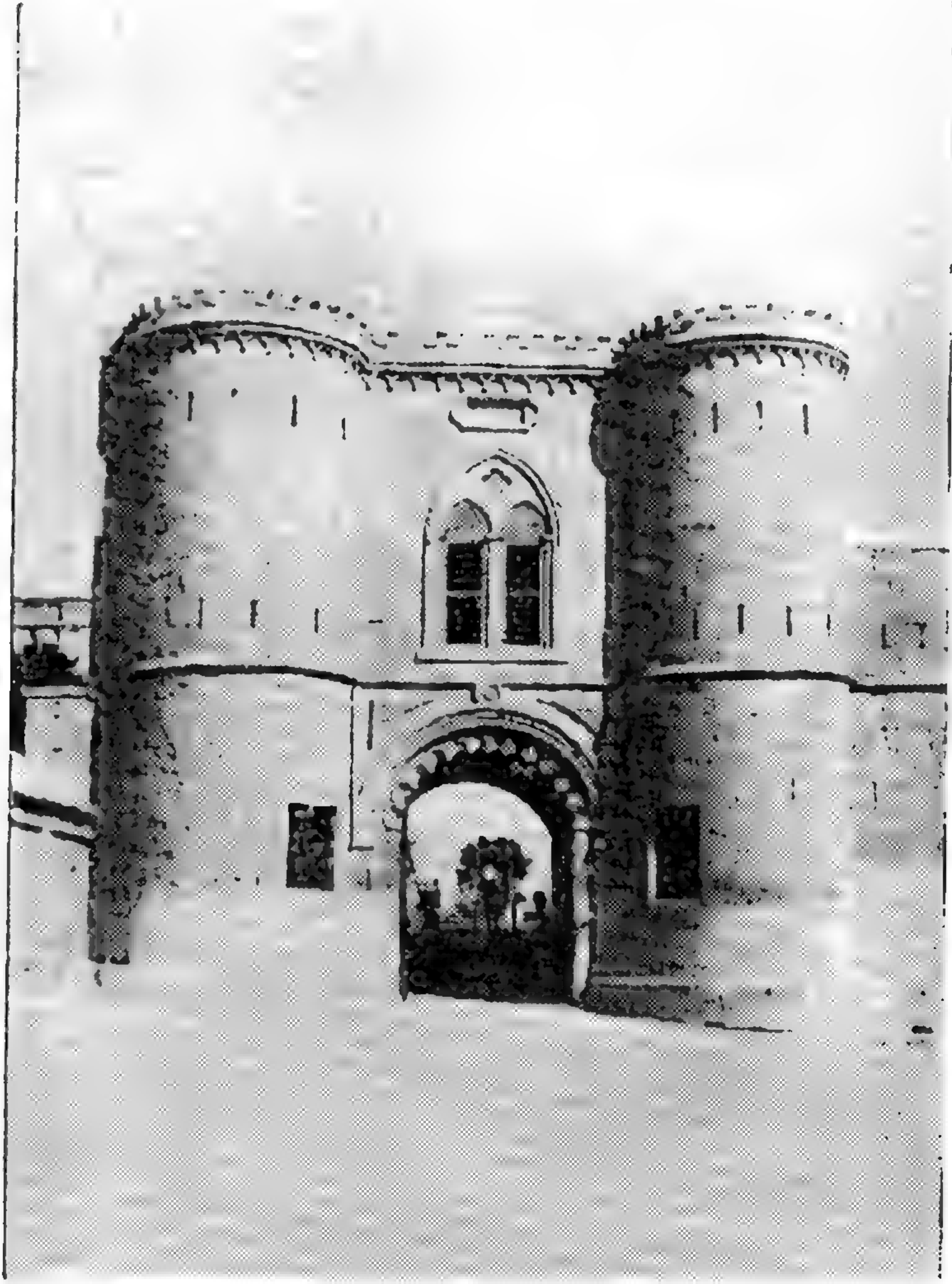




٤ — الدرج المؤدى إلى باب المدرج القائم خلف الباب الجديد





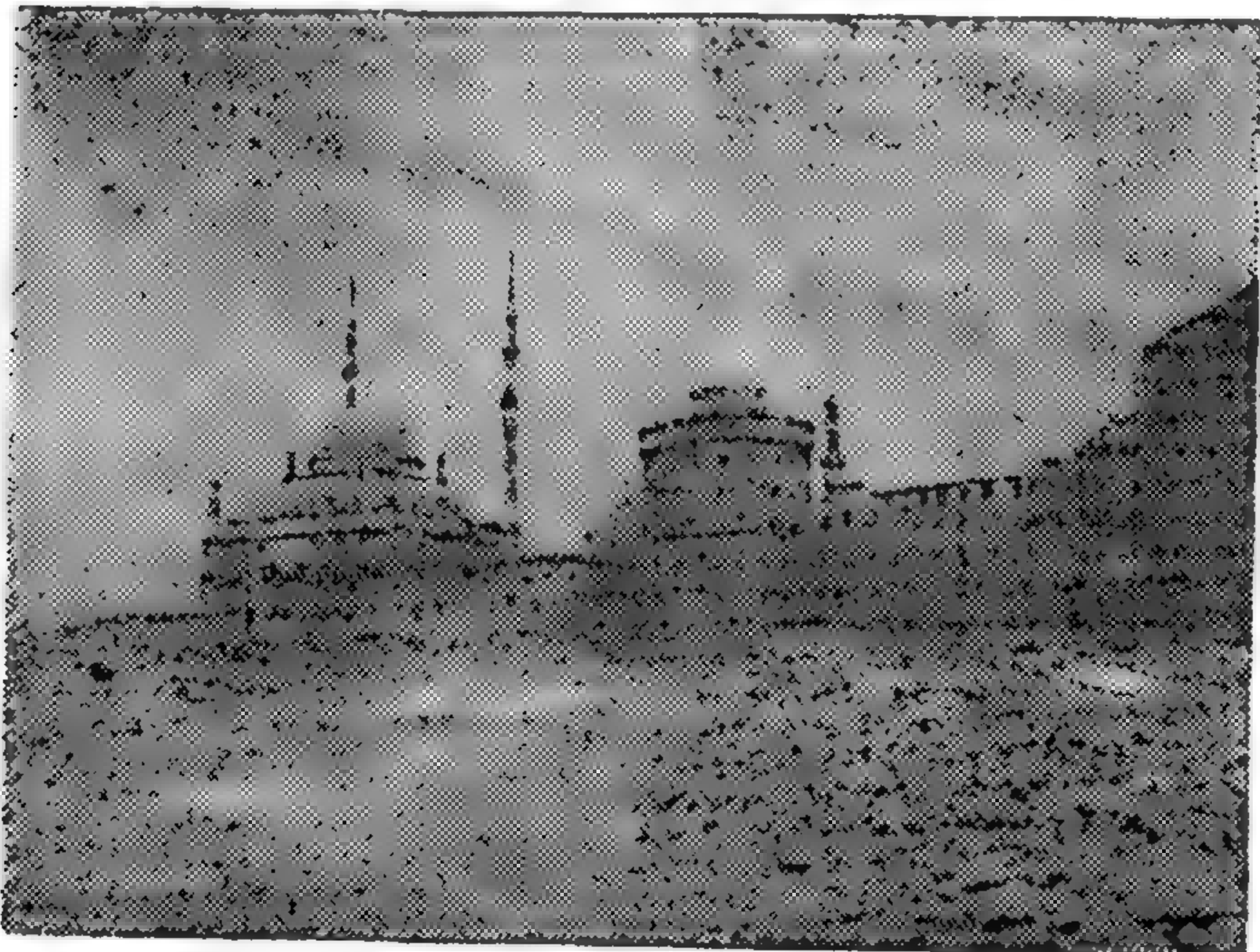


ه — الباب المؤدى إلى ميدان العلم بالقلعة





٦ — بقايا إيوان السلطان الناصر بقلعة صلاح الدين



٧ — قطعة من أسوار القلعة الجنوبية المقابلة لجبل المقطم

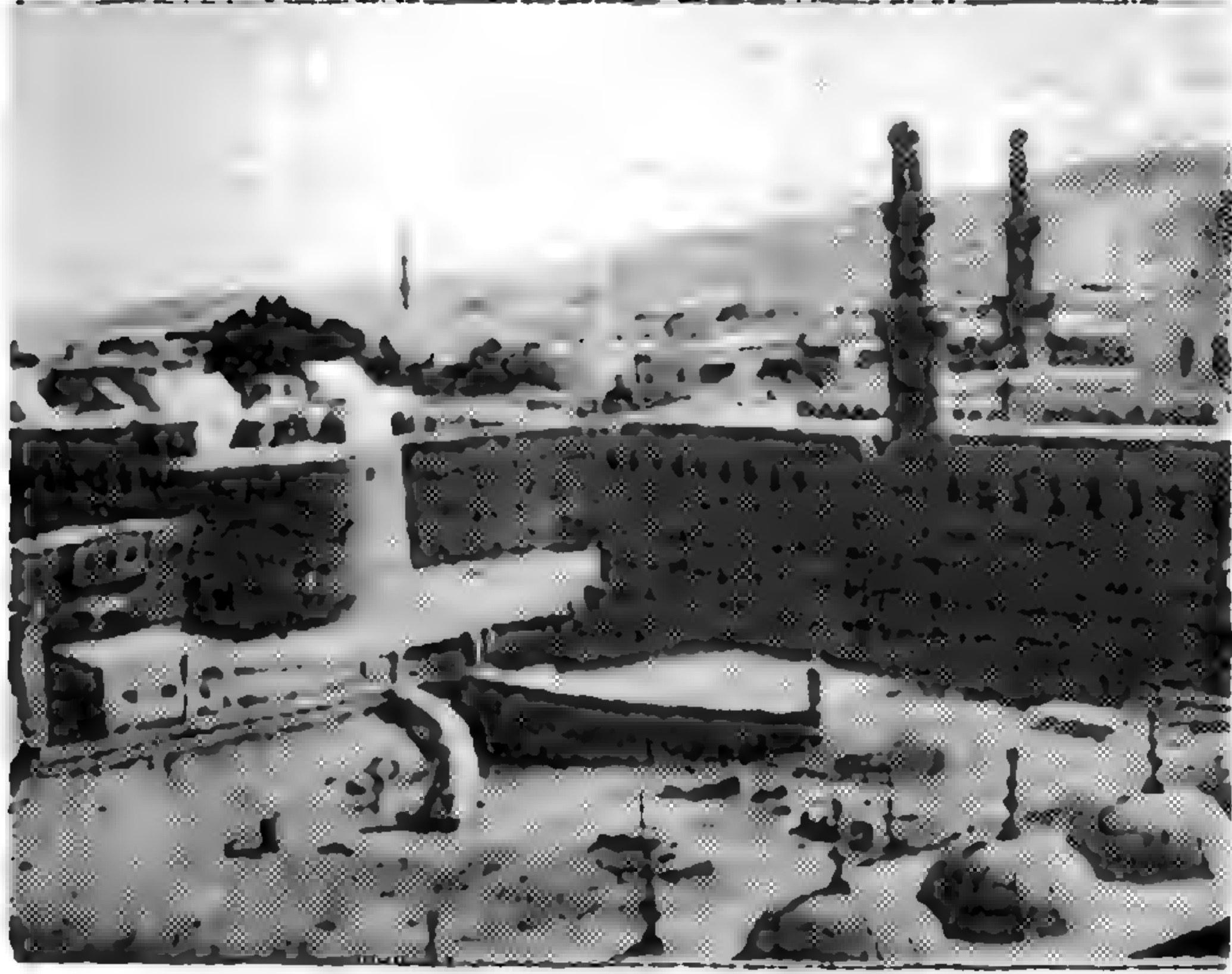




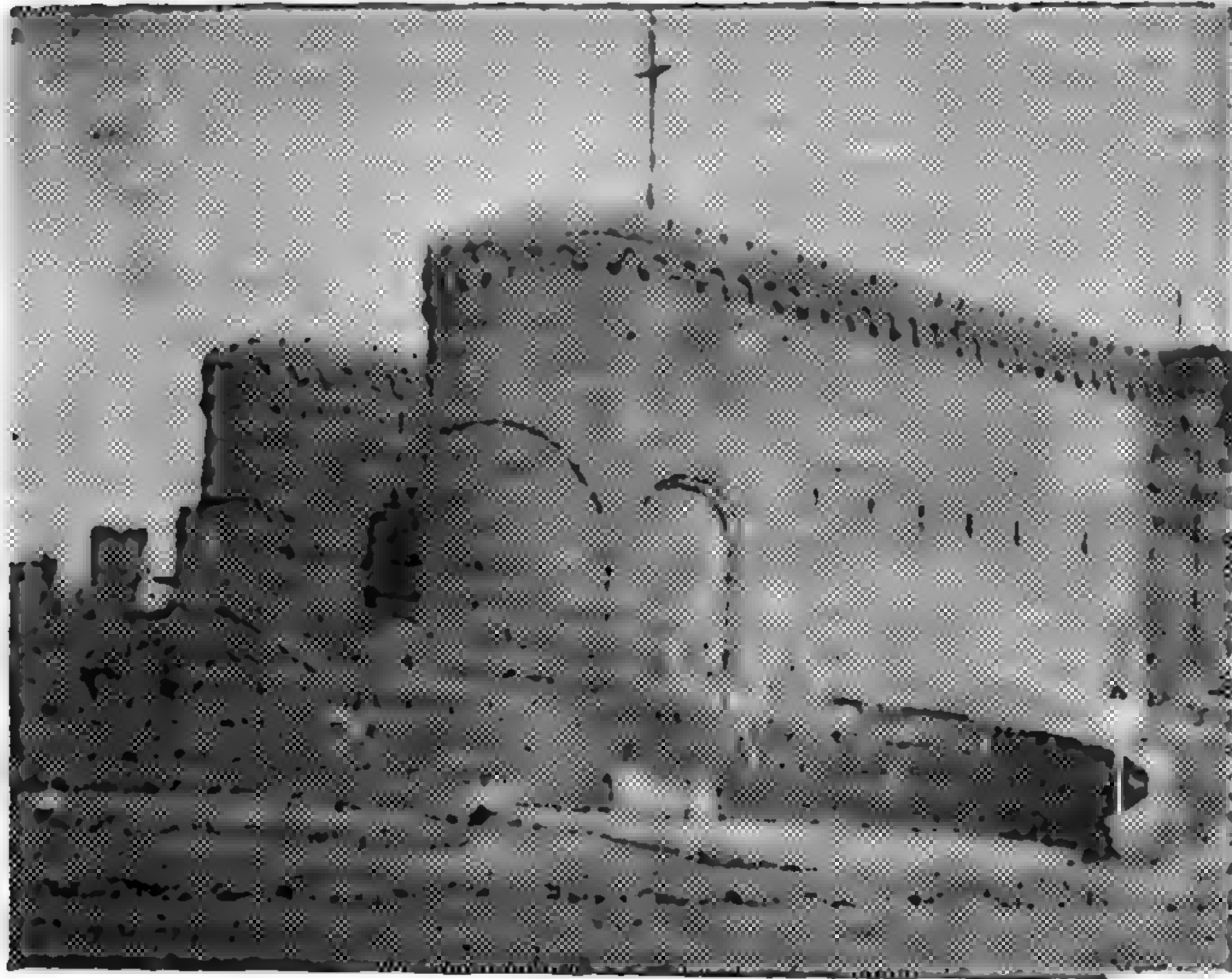


٨ - منظر عام للبناني التاريخية التي يضمها القسم الشمالى فى قلعة صلاح الدين





٩ - جامع السلطان الناصر محمد بداخل القلعة



١٠ - باب العزب المطل على ميدان صلاح الدين







١١ - منظر عام لآثار قلعة صلاح الدين ويرى جامعاً محمد علي وابن طولون إلى اليسار





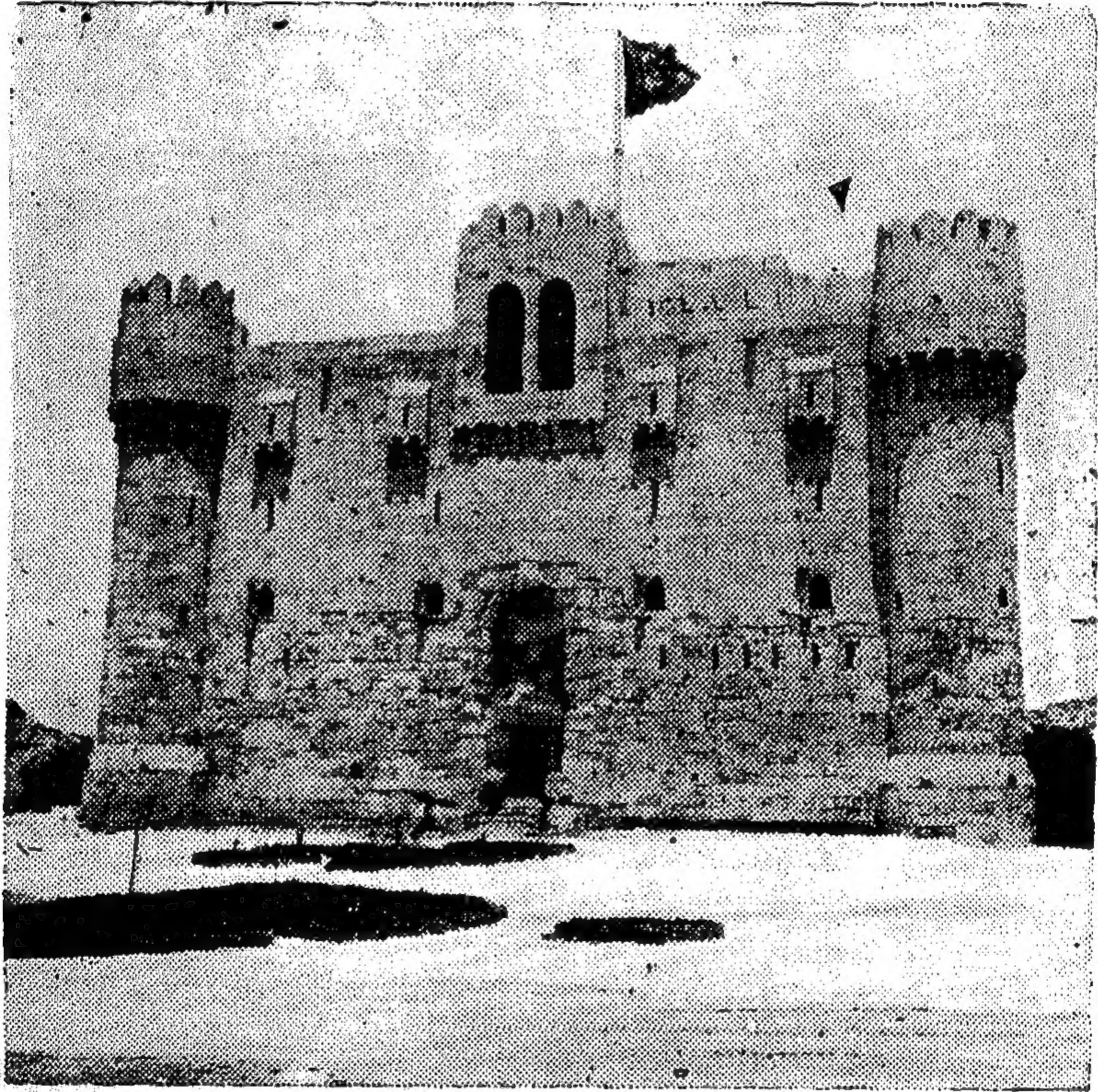
۱۲ — قلعة قایتبای فی رشید



۱۳ — قطعه من مبانی قلعة قایتبای فی رشید







١٤ - واجهة قلعة قايتباي في الإسكندرية







رَظَبَةُ خَفِيَّةٍ رَضْرُ  
الغزالة. الغزالة

Bibliotheca Alexandrina



0621771

الغزالة